سلسلة التسامح والتعصب
بين اليهودية والنصرانية والإسلام
(١)



تعصب اليهود

رسالة دكتوراه أجيزت من جامعة الأزهر الشريف

د. عمر بن عبد العزيز قريشي

مدرس مقارنة الأديان - كلية الدعوة الإسلامية
جامعة الأزهر

دار الاستقامة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعصب اليهود

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

رقم الإيداع : ٩٠٦٧ / ٩٦
I.S.B.N

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له . . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ولا ضد له ولا ند له ولا صاحبة له ولا ولد له ولا كفء له ، تعالى عن إفك المبطلين ، وخرص الكاذبين، وتقدس عن شرك المشركين وأباطيل الملحدين . . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه ، وخيرته من بريته ، وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده ، ابتعثه بخير ملة ، وأحسن شرعة وأظهر دلالة وأوضح حجة . اللهم صل وسلم وبارك على سيد الخلق وحبيب الحق ، سيدنا محمد النبى الكريم، والرسول العظيم ، الذى بشرت به الكتب السالفة ، وأخبرت به الرسل الماضية ، وجرى ذكره فى الأعصار والأمصار والأمم الخالية ، وقد منحه الله من علمه ، وأسبغ عليه من فضله ، فتركنا على النور والهدى ، فاللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا واجعلنا هداة مهتدين .

أما بعد .. فإن الله جل وعلا جعل لنا الإسلام شرعة ومنهجًا ، وضمنه كل ما ينفع الخلق فى معاشهم ومعادهم ، وتعبدهم بامتثال أمره ، واجتناب نهيه ، فجمعت شريعته – سبحانه – مصالح العباد ، وسدت ذرائع الفساد ، فكانت نعمة كاملة ، ودينا كاملا ، فيه الجواب الكافى والعلاج الشافى ، ورضيه الله دينا ، ونصب لنا الدلالة على صحته برهانا مبينا ، وأوضح السبيل إلي معرفته واعتقاده حقا يقينا ، فهو دينه الذي ارتضاه لنفسه ولأنبيائه ورسله وملائكة قدسه ، فبه اهتدى المهتدون ، وإليه دعا الأنبياء والمرسلون ﴿ **أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون** ﴾[1] فلا يقبل من أحد

(١) سورة آل عمران : ٨٣

دينا سواه من الأولين والآخرين ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (١)

فالحمد لله الذى أغنانا بشريعته التى تدعو إلى الحكمة والموعظة الحسنة ، وتتضمن الأمر بالعدل والإحسان ، والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، فله المنة والفضل على ما أنعم به علينا وآثرنا به على سائر الأمم .

أهمية الموضوع :

لقد عرف الإسلام بسماحته ، وعدله ورحمته ، ومجال هذا واضح مع أتباعه وأبنائه ، كذلك مع خصومه وأعدائه ، عرف ذلك القاصى والدانى والعدو والصديق ، ولكن فريقا من الناس أساءوا إلى الإسلام وأضمروا له العداء ، فحاولوا - بغباء - الهجوم على الإسلام ونبيه وصحابته ، وتاريخه منذ ظهر إلى يومنا هذا .. لماذا ؟ لأنه يلمح فى الأفق بوادر تجمع حول الإسلام وإيقاظ وإحياء لأمته ، فهو يحاول جاهدا إيقاف عودة الإسلام إلى ميدان الحكم والتشريع والسياسة .

لأنه يرى فى الإسلام خطرًا على العالم ، وما العالم الذى يريد إنقاذه من الإسلام ؟ إن الإسلام ليس خطرًا على أمة بعينها ، أو جنس بذاته ، إنما هو خطر داهم على الإذلال والتعصب ، وما يخاف شعب شريف الغاية من عودته ، ولا من دولته .

وهذا البحث فيه سوق الحقائق مجردة عن أهواء المغرضين ، وأكاذيب المدلسين، فهو يجلى الحقائق ويكشف عن حقيقة الإسلام فى سماحته ، وحسن سياسته ، ويفضح أهل الباطل ، ويرد على زيف شبهاتهم ، ويوضح حقد نفوسهم ، وغل صدورهم ، وهو جهد - وإن كان يسيرا - إلا أن الناس فقراء

---

(١) سورة آل عمران : ٨٥

إليه، فإن لبس الحق بالباطل عمل برع فيه كثيرون وضل به الأكثرون ، ولذلك يقول الله تعالى لأحبار اليهود : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾[1] .

وإن الناظر في حياة الناس – ولو نظرة مجردة يسيرة – لأبصر طلائع هجوم منظم على الإسلام ، وكيد متين لأمته ، فأحببت أن أتصدى للطليعة الجريئة حتى أشرد من خلفها ونعلمها ألا تهيج مرة أخرى أسباب المنايا عليها ، وإلا فهي التي بحثت عن حتفها بظلفها . . !!

ولقد أردت أن أكتب هذا البحث – وأنا مسلم أحترم ديني وأتمسك به – حين انطلقت الدعاوى الكاذبة ضد الإسلام وأهله ، وما كان الإسلام ينتظر ممن أحسن إليهم في أرضه أن يتربصوا به ويعيبوا عليه ، أو يتلمسوا لأهله الأبرياء شتى العيوب .

وعلى أية حال ، فقد رأينا في تحامل المغرضين على الإسلام فرصة مواتية لتجلية دعوته ، وشرح تاريخه ، وتبيان حقائقه وتفنيد المفتريات الموجهة إليه ، ورب ضارة نافعة ، وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود .

ومثل هذه الدراسة تلذ للنقاد المجردين ، فقد سئل عالم : ما سعادتك ؟

قال : « في حجة تتبختر اتضاحًا ، وشبهة تتضاءل افتضاحًا » .

ومن العجب أن نقرأ لبعض أعداء الإسلام اليوم ، ولبعض أعدائه بالأمس القريب والبعيد ، تهجما عليه ، واتهاما له بأنه دين التعصب الماحق للحرية ، والإكراه القاضي على الاختيار ، والجمود المانع من التطور . !!

وما من شك في أن الإسلام يقتضينا أن نرد عنه كيد الكائدين ، لا بالسباب والأباطيل – كما صنع أعداؤه ، بل بالدرس ، والاحتكام إلى البحث العلمي ،

---

(١) سورة البقرة : ٤٢ .

والتدليل المبين ، والموازنات الكاشفة ، فهذه الرسالة واحدة فى سلسلة الدفاع عن الإسلام ، لما قام بعض أعداء الإسلام باتهامه بالتعصب ، فرددت - بفضل الله - سهامهم إلى نحورهم وأظهرت أن التعصب كله عندهم ، مسطور فى كتبهم ، منظور فى واقعهم ، ومعروف فى تاريخهم ومألوف فى حياتهم ،كما أظهرت ما فى الإسلام من سماحة وحكمة وسمو .

منهج البحث :

وقد سلكت فى الوصول إلى هذه الغاية الخطوات التالية :

١ - الوقوف على الحقائق من مصادرها الأصلية بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة مع مراعاة الفهم الصحيح للآية وصحة الأحاديث التى ذكرتها مع تخريجها من مصادرها ، وقراءة الكتاب المقدس ، والوقوف على ما فيه من تسامح وتعصب ، وما يرتبط بالقضية .

٢ - عرض الحقائق مجردة ، بلا تعصب ولا تسيب ولا إفراط ولا تفريط ، وبدون تهويل أو تهوين ، كما يقتضيه الإنصاف ، ويتطلبه البحث العلمى المحايد.

٣ - التحليل والوصف فى عرض القضايا التى ترتبط بموضوع الدراسة والبحث عرضا يشمل الأقوال التى قيلت فى تلك القضايا من غير إغفال لبعض الآراء التى شاركت فيها .

٤ - التعرف على مناهج أعداء الإسلام ، والكشف عن خططهم المدمرة ، وحركاتهم الهدامة والوقوف على تاريخها ونشأتها وأشهر رجالها ومعالمها .

٥ - عزو الأقوال إلى أصحابها ، لا سيما آيات القرآن الكريم ، وأحاديث النبى العظيم .

٦ - تقرير النتائج المستخلصة من الدراسة والبحث عرضا ونقدا .

خطة البحث :

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ، وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة :

فقد اشتملت على أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومنهجى فيه ، ومحتوياته .

وأما التمهيد :

فقد اشتمل على تعريف التسامح والتعصب ، ومرادفاتهما ، ومعنى اليهودية والمسيحية والإسلام .

الباب الأول :

التسامح والتعصب في اليهودية وقد اشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التسامح عند اليهود فى كتبهم المقدسة بين الادعاء والحقيقة .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : التسامح فى التوراة

المبحث الثانى : التسامح فى التوارة بين الادعاء والحقيقة

المبحث الثالث : التلمود

المبحث الرابع : بروتوكولات حكماء صهيون

الفصل الثانى : تعصب اليهود فى القرآن والسنة .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعصب اليهود فى الجانب النظرى .

المبحث الثانى : تعصب اليهود فى الجانب العملى .

المبحث الثالث : نقض المعاهدات وتدبير المؤامرات .

المبحث الثانى : تعصب المسيحيين ضد المسلمين فى الأندلس
المبحث الثالث : مقارنة بين الأقليات المسلمة فى البلاد المسيحية والأقليات المسيحية فى البلاد المسلمة .

الباب الثالث :

«التسامح فى الإسلام» وقد اشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التسامح فى الإسلام بين النظرية والتطبيق وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : صور من التسامح فى القرآن والسنة .
المبحث الثانى : صور من التسامح فى واقع المسلمين
المبحث الثالث : صور من التسامح مع غير المسلمين

الفصل الثانى : شبهات حول التسامح الإسلامى وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الجهاد وصوره
المبحث الثانى : الفتوحات الإسلامية
المبحث الثالث : هل انتشر الإسلام بالسيف

الفصل الثالث : « شبهات وافتراءات » ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الحدود والتعزيرات
المبحث الثانى : الجزية والرق
المبحث الثالث : ظلم المرأة فى الإسلام ، بين الحقيقة والاتهام

الخاتمة :

وقد اشتملت على أهم نتائج البحث ، وأهم التوصيات التى تتصل بموضوع الرسالة .

« التمهيد »

« التسامح والتعصب بين اليهودية والمسيحية والإسلام »

لقد عرف الإسلام بسماحته ، وعدله ، بل بعفوه ورحمته ، ومجال هذا واضح مع أتباعه وأبنائه ، وكذلك مع خصومه وأعدائه ، عرف ذلك القاصى والدانى ، والعدو والصديق ، ولكن فريقا من الناس أساءوا إلى الإسلام وأضمروا له العداء، فحاولوا بغباء - الهجوم على الإسلام ونبيه وصحابته ، وتاريخه منذ ظهر إلى يومنا هذا . . لم ، ولماذا ؟!

هذا ما سنحاول التعرف عليه وعلى أسبابه من خلال بحثنا هذا .

لماذا يخاف الكثيرون من الإسلام ؟ ولماذا يشوهون وجه الإسلام ؟ ويزيفون حقائقه ؟ ولماذا يلبسون الحق بالباطل ويقلبون الحقائق ؟ فيجعلون من التسامح تعصبا ، أو من التعصب تسامحا !! والحساب من هذا كله ؟!

وعلى أية حال فإن تحامل المغرضين على الإسلام فيه فرصة مواتية لتجلية دعوته، وشرح تاريخه ، وتفنيد المفتريات الموجهة إليه .

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود .

وبادىء ذى بدء ، نعرض - من خلال التمهيد - إلى العنوان ، نتعرف على معناه .

(أ) معنى التسامح :

السماح والسماحة : الجود ، والمسامحة : المساهلة ، وتسامحوا : تساهلوا وفى الحديث المشهور « السماح رباح [١] » أى المسامحة فى الأشياء تربح صاحبها.

وسمح وتسمح : فعل شيئا فسهل فيه ، وقولهم : الحنيفية السمحة : ليس فيها ضيق ولا شدة

والمسامحة : المساهلة فى الطعان ، والضراب والعدو ، وتقول العرب : عليك بالحق فإن فيه لمسمحا ، كما قالوا : إن فيه لمندوحة .

وعود سمح بين السماحة والسموحة ، لا عقدة فيه ، ويقال : ساجة سمحة إذا كان غلظها مستوى النبتة وطرفاها لا يفوتان وسطه ، ولا جميع ما بين طرفيه من نبتته ، وإن اختلف طرفاه وتقاربا فهو سمح أيضا ، قال الشافعى : وكل ما استوت نبتته حتى يكون ما بين طرفيه منه ليس بأدق من طرفيه أو أحدهما فهو من السمح [٢].

* ومثله الرحمة :

الرحمة : الرقة والعطف ، والرحمة مثله ، وقد رحمته ، وترحمت عليه ، وتراحم القوم رحم بعضهم بعضا ، والرحمة : المغفرة ، وقوله تعالى فى وصف القرآن ﴿ هدى ور حمة لقوم يؤمنون ﴾ [٣] ، أى فصلناه هاديا وذا رحمة ، وقوله

---

(١) رواة القضاعى فى مسند الشهاب ، عن عمر بن الخطاب ، وفية عبد الرحمن بن زيد . قال الذهبى : ضعفه أحمد والدارقطنى واخرون وأورده فى الضعفاء ونسبه ابن حبان إلى الوضع ، لكن قال العمرى في شرح الشهاب أنه حسن وكذلك حسنه السيوطى فى الجامع الصغير ، انظر فيض القدير ، شرح الجامع الصغير، للعلامة المناوى . جـ ٣ ص ١٤٥ بتصرف ، ط دار المعرفة للطباعة والنشر(بيروت) لبنان «الثانية ١٩٧٢م »

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ٣ ص ٢٠٨٨ بتصرف ط دار المعارف .

(٣)سورة يوسف : ١١١

تعالى : ﴿ ورحمة للذين آمنوا منكم ﴾ [١] أى هو رحمة لأنه كان سبب إيمانكم، وقوله تعالى : ﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ [٢] أى أوصى بعضهم بعضا برحمة الضعيف ، والعطف عليه ، وترحمت عليه أى قلت : رحمه الله تعالى [٣] .

*** ويرادفه العفو :**

وفى أسماء الله تعالى : « العفوّ » وهو فعول من العفو ، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله المحو والطمس فى قوله تعالى : ﴿ عفا الله عنك ﴾ [٤] محا الله عنك ، مأخوذ من قولهم : عفت الرياح الآثار إذا درستها ومحتها ، فالعفو : محو الله تعالى ذنوب عبده عنه .

وعفا عن ذنبه عفوا : صفح ، والعفو : فى موضوع اللغة ، الفضل ، يقال : عفا فلان لفلان بماله إذا أفضل له ، وعفا له عما له عليه إذا تركه ، وعفو المال : ما يفضل من النفقة ، قال تعالى : ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾ [٥] قال أبو إسحاق : العفو الكثرة والفضل أو هو الفضل الذى يجىء بغير كلفة ، وفى حديث ابن الزبير « أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس » [٦] قال هو السهل الميسر ، أى أمره أن يحتمل أخلاقهم ويقبل ما سهل منها وتيسر ولا يستقصى عليهم كما فى قوله تعالى : ﴿ خذ العفو ﴾ [٧] أ . هـ [٨]

---

(١) سورة التوبة : ٦١ (٢) سورة البلد : ١٧

(٣) لسان العرب لابن منظور حـ ٣ ص ١٦١١ ، ١٦١٢ بتصرف

(٤) سورة التوبة : ٤٣ (٥) سورة البقرة : ٢١٩

(٦) أخرجه البخارى حـ ٣ ص ٢٣١ كتاب التفسير ، باب سورة الأعراف « خذ العفو » ط دار المنار

(٧) سورة الأعراف : ١٩٩

(٨) لسان العرب لابن منظور حـ ٣ ص ٣٠١٩ ، ٣٠٢٠ بتصرف .

*** ويضاهيه « العدل » :**

العدل : ما قام في النفوس أنه مستقيم ، وهو ضد الجور ، عدل الحاكم فى الحكم يعدل عدلا ، وهو عادل من قوم عدول وعدل ، والعدل هوالذى لا يميل به الهوى فيجور فى الحكم وهو فى الأصل مصدر سمى به فوضع موضع العادل ، وهو أبلغ منه ، لأنه جعل المسمى نفسه عدلا ، والعدل هو الحكم بالحق ، يقال هو يقضى بالحق ويعدل ، وهو حكم عدل ، ذو معدلة فى حكمه والعدل من الناس : المرضى قوله وحكمه ، وقال الباهلى : رجل عدل وعادل جائز الشهادة ورجل عدل : رضا ومقنع فى الشهادة ، والعدل الذى لم تظهر منه ريبة وكتب عبد الملك [١] إلى سعيد بن جبير [٢] يسأله عن العدل ، فأجابه : إن العدل على أربعة أنحاء :

العدل فى الحكم ، قال الله تعال : ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾ [٣]
والعدل فى القول ، قال الله تعالى : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾ [٤]
والعدل فى الفدية ، قال الله تعالى : ﴿ لا يقبل منها عدل ﴾[٥]

والعدل فى الإشراك ، قال تعالى : ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ [٦] أى يشركون وأما قوله تعالى: ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾[٧] أى فى الحب والجماع [٨] وفلان يعدل فلانا أى يساويه ويقال : ما يعدلك عندنا شىء.

---

(١) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ، ولد سنة ٢٦ هـ ، وبويع بالخلافة سنة ٦٥ هـ فى حياة أبيه ، واستقل بها سنة ٧٣ هـ ، ومات فى النصف من شوال سنة ٨٦ هـ .

(٢) هو سعيد بن جبير بن هاشم الأسدى ، من الموالى ، وكان كوفيا ، أحد أعلام التابعين ، ومن أكابر أصحاب ابن عباس ومن أئمة التفسير والفقة فى الإسلام وأنواع العلوم ، ولقد قتله الحجاج سنة ٩٤ هـ والله أعلم ، انظر : البداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ ص ٦٧) ٧٥ و ص ١٠٧ إلى ص ١٠٨ بتصرف ، ط دار الفكر العربى « الثانية » سنة ١٣٨٧ هـ .

(٣) سورة المائدة : ٤٢ (٤) سورة الأنعام : ١٥٢

(٥) سورة البقرة : ١٢٣ (٦) سورة الأنعام : ١ (٧) سورة النساء : ١٢٩

(٨) لسان العرب جـ ٤ ص ٢٨٣٨ ، ٢٨٣٩ بتصرف

(ب) معنى التعصب :

العصب : الصلب الشديد ، وانعصب : اشتد ، وعصب رأسه : شدّه ، واسم ما شد به العصابه ، وتعصب : أى شد العصابة ، والعصابة :العمامة .

ومن أمثال العرب : فلان لا تعصب سلماته ، يضرب مثلا للرجل الشديد ، العزيز الذى لا يقهر ولا يستذل ويقال للرجل إذا كان شديدا ، غير مسترخى اللحم ، إنه لمعصوب .

والتعصب : من العصبية ، والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوشهم ظالمين كانوا أو مظلومين ، وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا، فإذا تجمعوا على فريق آخر قيل : تعصبوا ،وفى الحديث : « العصبى من يعين قومه على الظلم »[١] العصبى هو الذى يغضب لعصبته ، ويحامى عنهم . والعصبة : الأقارب من جهة الأب لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم ، أى يحيطون به ويشتد بهم ، وفى الحديث : « ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل عصبية »[٢] والعصبية والتعصب : المحاماة والمدافعة ، وتعصبنا له ومعه : نصرناه ، وعصبة الرجل : قومه الذين يتعصبون له ، واعصوصب الشر : اشتد كأنه من الأمر العصيب وهو الشديد [٣].

---

(١) رواه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب فى العصبية ، بنحوه ، جـ ١ ص ٣٣١ وسكت عنه ، وابن ماجه ، كتاب الفتن باب العصبية جـ ٢ ص ١٣٠٢ ط المكتبة العلمية وأحمد جـ ٤ ص ١٠٧ ط المكتب الاسلامى وفى مجمع الزوائد للحافظ الهيثمى فيه عباد بن كثير الشامى وثقة ابن معين وغيره وضعفه النسائى وغيره جـ ٦ ص ٢٤٧ ، ط مؤسسة المعارف ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ٦ ١٤ هـ ـ ١٩٨٦ م .

(٢) أخرجه مسلم . كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ، جـ ٣ ص ١٣٥ نحوه . ط عيسى الحلبى ، وأبو داود ، كتاب الأدب ، باب فى العصبية جـ ١ ص ٣٣٢ وسكت عنه، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان

(٣) لسان العرب ، جـ ٤ ص ٢٩٦٣) ٢٦٩٧ بتصرف .

*** ويضاهيه التطرف :**

ومعناه في اللغة : الوقوف في الطرف بعيدا عن الوسط ، وأصله في الحسيات، كالتطرف في الوقوف أو الجلوس أو المشي ، ثم انتقل إلى المعنويات : كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك (١) . فالتطرف هو الذهاب إلى الطرف ، والذهاب إلى طرف الشيء يهدد بالمروق منه . إذن فالتطرف لا يعني بحال مظهرا من مظاهر التعمق أو الإخلاص الشديد ، كما لا يعني في حد ذاته حكما شرعيا معينا ، وكثيرا ما يذكر الناس أمرا من جوهر الإسلام ومن طبيعة الدين ثم يصفونه بالتطرف ، وليس من التطرف في شيء .

ليس من التطرف التسنن بسنن الرسول ﷺ من إطلاق لحية ، أو استعمال السواك ، أو تقصير الثوب ، أو ستر العورة ، أو التيامن في الحركة والسير ، أو اتخاذ الحجاب أو منع الاختلاط ، ، أو الحرص على البسملة ، أو المواظبة على الفرائض في المسجد ، أو الاستعداد للتضحية بالنفس والمال في سبيل الدعوة ، أو هجر عادات الغرب وأصحاب الأديان الأخرى فهذا كله يدور بين الفريضة والسنة والمندوب .

ولكنه من التطرف التسوية بين ذلك كله في الحكم ، فيعد كل ذلك فرضا وعلى الطرف الثاني يعد كل ذلك حراما وتزمتا .

وليس من التطرف أن يشدد المسلم على نفسه في الالتزام بذلك كله ، فهو من الاخلاص في الدين ومن إسلام القلب والوجه لله .

وقد يحلو للبعض أن يصف هذا السلوك بأنه بعد عن الوسطية التي جاء بها الإسلام ، وليس من التطرف : الدعوة إلى تحكيم شريعة الله في شئون الحياة ، فهذا صريح الكتاب والسنة وهو مقتضى الإيمان بالله ورسوله ، وهو مسلك أهل

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، د / يوسف القرضاوي ص ٢٣ ط الدوحة الحديثة « كتاب الأمة » الأولى .

القدوة فى الإسلام فى جميع العصور ولا يمكن أن يرد بخاطرنا أن هذا تطرف .

ولكن من التطرف التسوية بين الأحكام - والتسرع فى جنى ثمار الدعوة - واستعمال العنف فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - والجرأة على تكفير العصاة ، كالخوارج قديما ، والتكفير حديثا - والخروج عن وسطية الإسلام - وإقناع الغير بالقوة والسيف بدلا من الحجة والإقناع وتقديم العقل على الشرع .

ووجود هذه الأمور لا أصل له فى الإسلام ، وإنما يرجع إلى الجهل والخلط ، أو إلى البدعة فى الدين ، وعدم معرفة الحكم الشرعى الصحيح ، وفقدان الثقة فى علماء السنة ، وعدم الرجوع إلى القرآن والسنة [١] .

(جـ) معنى اليهودية :

(هود) **الهود** : التوبة ، هاد يهود هودا ، وتهود : تاب ورجع إلى الحق ، فهو هائد وفى التنزيل العزيز ﴿ **إنا هدنا إليك** ﴾ [٢] أى تبنا إليك ، وهو قول مجاهد[٣] وسعيد بن جبير ، وإبراهيم [٤]، قال ابن سيده [٥] : عداه بإلى لأن فيه رجعنا ، وقيل معناه تبنا إليك ورجعنا وقربنا من المغفرة .

---

(١) راجع « التطرف المنسوب إلى لإسلام ، مظاهره وتفسيره وعلاجه أ . د / يحيى هاشم حسن فرغلى) هدية مجلة الأزهر جمادى الأول سنة ١٣٠٨ هـ بتوسع .

(٢) سورة الأعراف : ١٥٦

(٣) هو مجاهد بن جبير المكى ، أبو الحجاج القرشى المخزومى مولى السائب المخزومى أحد أئمة التابعين والمفسرين ، كان من أخصاء ابن عباس ، وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير ،مات مجاهد وهو ساجد سنة ١٠١هـ وقيل ١٠٢ أو ١٠٣ أو ١٠٤ هـ وقد جاوز الثمانين من عمره ، والله أعلم .
انظر : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٢٥٠ بتصرف .

(٤) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن عامر بن إسحاق التميمى ، أحد مشاهير العباد وأكابر الزهاد، كانت له همة عالية فى ذلك ، توفى سنة ١٦٢ هـ على الراجح ، انظر : البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٣٥) ١٤٤ بتصرف .

(٥) هو أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى المعروف بابن سيده ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ انظر : كتاب المخصص ترجمة المؤلف ـ ط المطبعة الكبرى الأميرية ، الأولى .

والتهود : التوبة والعمل الصالح ، قال ابن الاعرابى [١]: هاد إذا رجع من خير إلى شر ، أو من شر إلى خير ، وهاد إذا عقل ، ويهود : اسم للقبيلة ، وقيل : إنما اسم هذه القبيلة يهوذ ، فعرب بقلب الذال دالا ، وقال ابن سيده: وليس هذا بقوى وقالوا اليهود فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب ، يريدون اليهوديين ، وقوله تعالى : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ﴾ [٢] معناه دخلوا فى اليهودية، وقال الفراء: [٣] فى قوله تعالى ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ﴾[٤] قال: يريد يهودا، فحذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية وفى قراءة أبيّ[٥]: «إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا» قال: وقد يجوز أن يجعل هودا جمعا، واحد هائد مثل حائل وعائط من النوق، والجمع: حول وعوط وجمع اليهودى: يهود كما يقال فى المجوسى مجوس، وفى العجمى والعربى: عجم وعرب، وهود الرجل :حوله إلى ملة يهود ،والتهود :أن يصير الإنسان يهوديا ،وهاد وتهود إذا صار يهوديا [٦]واليهود هم قوم موسى عليه السلام ، جاءهم برسالته، ونزل فيهم التوارة من عند الله تعالى وذلك قبل ميلاد عيسى عليه السلام بثلاثة عشر قرنًا تقريبًا .ويذكر العلماء أسماء معدودة لقوم موسى هؤلاء :

---

(١) هو أبو عبد الله ومحمد بن زياد الاعرابى ، مولى العباس بن محمد بن على بن العباس ، توفى سنة ٢٣١ هـ ، انظر : طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص ١٤٣) ١٤٦ بتصرف ط الأولى سنة ١٩٥٤ م .

(٢) سورة الأنعام : ١٤٦ .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور الديلمى الفراء وكان أبرع الكوفيين فى عمله ، توفى فى طريق مكة سنة ١٨٧ هـ ، المرجع السابق ص ٢١٣) ٢١٥ .

(٤) سورة البقرة : ١١١

٥) هو أبى بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، مات فى خلافة عمر، وكان عمر يقول : أُبيّ سيد المسلمين ، وله كنيتان : أبو المنذر ، أبو الطفيل، توفى سنة ١٩ أو ٢٠ أو ٢٢ أو ٢٣ هـ انظر : أسد الغابة فى معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير الجزرى ، جـ ١ ص ٦١ـ ٦٣ بتصرف . ط الشعب

(٦) لسان العرب جـ ٦ ص ٤٧١٨ بتصرف .

فهم يعرفون « بالعبريين أو العبرانيين » ، نسبة إلى «عابر» بن «سام» أكبر أبناء «نوح» عليه السلام ، أو إلى جنس بشرى ، يسمى « عابيرو » ومنه اشتق الاسم ، أو ربما كان نسبة إلى حادثة « العبور » من مصر إلى الشام ، أو الانتقال من مكان إلى آخر باعتبارهم من الأمم البدوية التى دأبت على الرحلة ، وبهذا كانوا يعبرون الأماكن ويتنقلون فى البوادى فارتبط بهم الاسم الذى يدل على ذلك .

وعلى الجملة فكل هذه العلل واردة وممكنة ، وليس بالمستطاع إلغاء بعضها أو اثباته على وجه القطع والشىء الذى يمكن القطع به هو أن من الممكن إطلاق اسم « العبريين والعبرانيين » على اليهود وأن هذه التسمية من أقدم ما عرفوا بها .

ومن أسماء هؤلاء الأقوام (اليهود) وسبب هذه التسمية- كما يرى بعض العلماء- يرجع إلى نسبة القوم إلى أحد أبناء « يعقوب » عليه السلام وهو « يهوذا » أكبر أبنائه وأحبهم إليه وهو غير مسلم به ، لأنهم من نسل « لاوى » لا من نسل «يهوذا» فكيف ينسبون إلى غير أبيهم ؟

وقد ظهرت هذه التسمية بعد «موسى» عليه السلام ، فكيف نرجعها إلى عصور ما قبل موسى عليه السلام ، ولعل الراجح فى هذه التسمية أنها بسبب توبتهم مع موسى عليه السلام لأن هذه التسمية عرفت مع أيام موسى عليه السلام[1] .

ومن الأسماء التى اشتهر بها القوم « بنو إسرائيل »

وكلمة « إسرائيل » مركبة من جزئين « إسرا » ومعناها « عبد » و « ائيل » ومعناها « الله » فمعنى الكلمة « عبد الله » والمراد به « يعقوب » عليه السلام حفيد إبراهيم وابن إسحاق ، فقد جاء فى التوارة ، وظهر الله ليعقوب فباركه ، وقال له: اسمك يعقوب لا يكون من بعد اسمك يعقوب بل إسرائيل يكون اسمك ، فسماه اسرائيل » [2].

---

(١) دراسات فى الأديان « اليهودية أ . د / أحمد غلوش ص ٩) ١٢ بتصرف ط دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة « الأولى « سنة ١٩٧٩ م .

(٢) سفر التكوين ، الإصحاح : ٣٥ (٩) ١٠) .

وعلى هذا تكون تسمية يعقوب بإسرائيل من قبل الله تعالى ، وهى حقيقة مسلمة لأن الإنسان عبد الله منذ خلقه سمى بذلك أم لم يسم .

ومن الأسماء التى عرف بها القوم حديثا « الصهيونية » .

وليس لهذه التسمية أصل قديم ، وإنما أخذت لتدل على مفهوم معين لأنها تفيد لغويا الصيانة والتحصن ، وهذا طبع اليهود قديما وحديثا ، فإنهم يعيشون وراء حصون تصونهم من أعدائهم ، وقد سمى أحد التلال المحيطة بالقدس القديمة باسم « جبل صهيون » رمزا من اليهود إلى الحصن ، ودعوة إلى تحقيق فكرة عودة اليهود إلى فلسطين لإقامة دولة تجمع شملهم ، ومن أجل إنجاح هذه الفكرة قامت الحركة الصهيونية ونشطت فى الدعوة لأهدافها .

ومما يذكر أن الصهاينة هم غلاة اليهود فى العالم كله ، لذلك فإن اسم الصهيونية من الأسماء الخاصة التى تسمى بها البعض دون البعض الآخر [1] .

مع هذه المسميات :

اشتهر بنو إسرائيل بالأسماء التى أشرت إليها ، إلا أن أحبها اليهم « بنو إسرائيل » لأنه يذكرهم بمنزلتهم التى يتمنونها لأنفسهم عند الله تعالى ، ولذلك نجدهم يسمون دولتهم الحديثة بهذا الاسم المحبب إليهم ، والقرآن الكريم حينما يريد مخاطبتهم بالهداية ودعوتهم إلى الحق يناديهم بهذا الاسم المحبب ،وكأنه يريد أن يقول لهم : أنتم أولاد الأنبياء ونسل الرسل ، وجدير بكم بمقتضى هذه الصفة أن تستقيموا على الجادة ، وأن تتبعوا الطريق المستقيم ، ولا تحيدوا عنه وأن تكونوا أول المؤمنين .

وحينما يريد القرآن الكريم الاشارة إلى كفرهم وجحودهم يذكر اسم اليهود .

ويرتبط اسم الصهيونية بالفكر العنصرى المتزمت الذى يدعو إلى الاغتصاب

(١) دراسات فى الأديان (اليهودية) أ . د / أحمد غلوش ص ١٢ـ ١٤ بتصرف .

والاستيلاء على حقوق الغير ، كما أن اسم العبرانيين يذكرهم بعنصر الضعف والبداوة ، ولذا كره الاسرائيليون أن يشتهروا بهذين الاسمين [١] .

واليهود أمّة منعزلة عن سائر الأمم ، تكره الاختلاط بغيرها ، فهم عاشروا المصريين ومع ذلك لم يأتلفوا معهم ، حتى جاءهم موسى عليه السلام وأخرجهم من مصر ، برغم أنهم سادوا أيام يوسف عليه السلام ، وكان يمكنهم أن يمتزجوا مع أبناء الشعب بصورة كاملة وعلى مر العصور لازمتهم جبلتهم فلقد عاشوا فى بلدان عديدة مددا طويلة ومع ذلك خرجوا منها مطرودين أو محاطين بالكراهية والمقت .

وقد عرف اليهودى المعاصر بأوصافه الخاصة القائمة على حب الذات ، والتعصب ، ومحاولة فرض السيادة على العالم كله بمنهج مرحلى معتمدا فى مسلكه على تعاليم اليهود الأوائل الذين تركوا له كتبًا تحدد له المنهج الواجب الاتباع .

فاليهود بقايا متحجرة أى أنها مجتمعات استثنائية منعزلة قد بقيت من عصر سابق كما أن المتحجرات سجل باق لأشكال الحياة التى وجدت فى الأعصر الخالية[٢] .

ويقول عباس العقاد [٣] : إن أصبعا من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية ، وترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها المجتمع

---

(١) دراسات فى الأديان « اليهودية » د / أحمد غلوش ص ١٥ بتصرف .

(٢) نفس المرجع والصفحة ، بتصرف .

(٣) هو عباس بن محمود العقاد ، ولد بمدينة أسوان عام ١٨٨٩ م ، تعلم بمدرستها الابتدائية ، والتحق بعدها ببعض الوظائف الحكومية ثم انصرف إلى الصحافة والتأليف وكان بارزا فى الجانب السياسى أيضا ، توفى بالقاهرة فى ١٢ مارس سنة ١٩٦٤ م ودفن بمسقط رأسه .

انظر : القاموس السياسى ، أحمد عطية الله ، ص ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ط دار النهضة العربية ، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٨ م .

الإنسانى فى جميع الأزمان ، فاليهودى (كارل ماركس) [١] وراء الشيوعية التى تهدم الأخلاق والأديان ، واليهودى (دور كايم) [٢] وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ، ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب .

واليهودى (جان بول سارتر) [٣] وراء الوجودية التى نشأت معززة لكرامة الفرد ، مجنحا بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة ، ومن الخير أن ندرس المذاهب الفكرية كلما شاع منها مذهب جديد ، ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراءها من عوامل المصادفة العارضة والتدبير المقصود [٤].

(د) معنى المسيحية :

نسبة إلى المسيح عليه السلام .

والمسيح : الصديق،وبه سمى عيسى عليه السلام،قال الأزهرى[٥] : وروى عن أبى الهيثم [٦] أن المسيح الصديق ، قال أبو بكر ، واللغويون لا يعرفون هذا ، قال : ولعل هذا كان يستعمل فى بعض الأزمان ، فدرس فيما درس من الكلام ،

---

(١) هو كارل هايزش ماركس ، مفكر ورائد اشتراكى المانى ، تنسب إليه المدرسة الاشتراكية الماركسية ولد فى ٥ مايو سنة ١٨١٨ فى أسرة يهودية ومات سنة ١٨٨١ م .

(٢) هو أميل دور كايم ، ولد سنة ١٨٥٨ م وتوفى سنة ١٩١٧ م ، وكان رائد علم الاجتماع الفرنسى بعد «كونت» ،وكان أستاذا بالسربون ، ومن مؤلفاته : تقسيم العمل فى المجتمع ،والانتحار وغيرهما . انظر: الموسوعة العربية الميسرة جـ ١ ص ٨١٦ ، ط دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة .

(٣) هو فيلسوف وكاتب فرنسى وهو داعية لما يسمى « الوجودية الملحدة » ومن أهم مؤلفاته : « الوجود والعدم» ، « الوجودية نزعة انسانية » ، « فقد العقل الجدلى » .

(٤) الصهيونية العالمية للأستاذ عباس العقاد جـ ١٤ ص١٤١ بتصرف ، من المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس العقاد ، ط دار الكتاب اللبنانى(بيروت) لبنان ، بدون تاريخ .

(٥) هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروى الشافعى ، ولد سنة ٢٨٢ وتوفى سنة ٣٧٠ هـ انظر كتاب : تهذيب اللغة للأزهرى ص ٥ بتصرف ط دار القومية العربية ١٣٨٤ هـ .

(٦) هو أبو الهيثم الرازى ، كان إماما لغويا ، مات سنة ٢٧٦ هـ .

قال : وقال الكسائي :[1] قد درس من كلام العرب كثير .

قال ابن سيده : والمسيح عيسى بن مريم صلى الله على نبينا وعليه وسلم ، قيل : سمى بذلك لصدقه ، وقيل : سمى به لأنه سائحا فى الأرض لا يستقر ، وقيل : سمى بذلك لأنه يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص فيبرئه بإذن الله، أو لأنه مسح بالبركة ، وقال أبو العباس[2] : سمى مسيحا لأنه كان يمسح الأرض أى يقطعها ، وقيل : سمى مسيحا لأنه كان أمسح الرجل ليس لرجله أخمص ، وقيل : سمى مسيحا لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن ، قال الله تعالى : ﴿ بكلمة منه اسمه المسيح ﴾ [3] قال أبو منصور[4] : سمى الله ابتداء أمره كلمة لأنه ألقى إليها الكلمة ، ثم كون الكلمة بشرا ، ومعنى الكلمة معنى الولد ، والمعنى : يبشرك بولد اسمه المسيح .

وهذا بخلاف المسيح الدجال الذى سمى بذلك لأن عينه ممسوحة عن أن يبصر بها .

وهما ضدان : مسيح الهداية « عيسى » ومسيح الضلالة « الدجال » [5] .

فالمسيحيون هم أتباع المسيح عليه السلام ، بل عبدته .

والنصرانية هو الاسم القديم لأتباع عيسى عليه السلام ، ويرجع سبب التسمية لهذا الاسم ما ذكره القرآن الكريم عنهم ﴿ .. كما قال عيسى بن مريم للحواريين

---

(١) هو على بن حمزة الكسائى ، نحوى ، مقرىء ، ولد سنة ٧٣٧ هـ بالعراق ومات سنة ٨٠٥ هـ ، صاحب قراءة من القراءات السبع المشهورة ، وله مؤلفات فى معانى القرآن وحروفه وقراءته وغيرها .

(٢) هو أحمد بن محمد الموصلى ، يعرف بالأخفش ، كان إماما في النحو وفقيها فى المذهب الشافعى .

(٣) سورة آل عمران : ٤٥ .

(٤) هو موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الخضر أبو منصور الجواليقى النحوى اللغوى ، ولد سنة ٤٦٦ هـ ومات فى المحرم سنة ٥٣٩ هـ .

(٥) لسان العرب جـ ٥ ص ٤١٩٦ ، ٤١٩٧ بتصرف .

من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله .. ﴾ (١) وهو على غير القياس – لغة ، أو هو نسبة إلى قرية « الناصرة » وقد أطلق القرآن عليهم هذه التسمية ﴿ .. وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ (٢) ومنه قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٣)

أما المسيحية فاسم حديث بالنسبة لهم ، ولكنه محبب إلى قلوبهم .

ومن الأسماء التى عرف بها القوم حديثا « الصليبية » وقد ارتبط بهم هذا الاسم لعبادتهم للصليب وتقديسهم له ، وكذلك بعد حروبهم التى أطلقوا عليها اسم الحروب الصليبية ورفعوا فيها الصليب يقاتلون دونه ومن ورائه .

(هـ) معنى الإسلام :

والإسلام والاستسلام : الانقياد ، والإسلام من الشريعة : إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبى ﷺ وبذلك يحقن الدم ويستدفع المكروه ، وما أحسن ما اختصر « ثعلب » ذلك فقال : الإسلام باللسان والإيمان بالقلب .

ويقال : فلان مسلم أى هو المستسلم لأمر الله ، ، وهو المخلص لله العبادة ، ومن قولهم : سلم الشىء لفلان أى خلصه وسلم له الشىء أى خلص له ، وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » (٤) قال الأزهرى : فمعناه أنه دخل فى باب السلامة حتى يسلم المؤمنون من بوائقه ، وفى الحديث « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه »(٥) وقوله تعالى: ﴿يحكم

---

(١) سورة الصف : ١٤ (٢) سورة التوبة : ٣٠ (٣) سورة البقرة ٦٢

(٤) أخرجه البخارى ، كتاب الإيمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده جـ ١ ص ١١ ، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الاسلام جـ ١ ص ٣٧ .

(٥) أخرجه البخارى كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم مسلما جـ ٢ ص ٦٦ ومسلم كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم جـ ٢ ص ١٩٨٦ .

بها النبيون الذين أسلموا ﴾ [١] فسره ثعلب فقال : كل نبى بعث بالإسلام ، غير أن الشرائع تختلف ، وقوله عز وجل : ﴿ واجعلنا مسلمين لك﴾[٢] أراد مخلصين لك ، فعداه باللام إذ كان فى معناه ، وقوله تعالى : ﴿ادخلوا فى السلم كافة ﴾[٣] قال : عنى به الإسلام وشرائعه كلها ، والسلم : الإسلام ، وأسلم أى دخل فى السلم وفى الإسلام وهو الاستسلام ، وأسلم من الإسلام ، وأسلمه أى خذله [٤].

والإسلام هو دين الله تعالى ، كما قال فى كتابه الكريم : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [٥] ، ومن ثم أرسل به جميع أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام من لدن آدم عليه السلام حتى كانت الرسالة الخاتمة على يد النبى محمد ﷺ .

وقد أكد القرآن هذا المعنى وأشار إليه ، بذكر نماذج له .

فأول الرسل « نوح » عليه السلام ، وقد قال القرآن عنه : ﴿ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ [٦] .

وأبونا « إبراهيم » عليه السلام ، قال القرآن عنه : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾ [٧] وقال عنه : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾ [٨] وتحدث عنه

---

(١) سورة المائدة : ٤٤
(٢) سورة البقرة : ١٢٨
(٣) سورة البقرة : ٢٠٨
(٤) لسان العرب جـ ٣ ص ٢٠٧٧- ٢٠٨١ بتصرف
(٥) سورة آل عمران : ١٩ .
(٦) سورة يونس : ٧١ ، ٧٢
(٧) سورة البقرة : ١٣٠ ، ١٣١
(٨) سورة آل عمران ٦٧

مع ابنه الأكبر « إسماعيل » فقال تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ (١) .

وعن بقية أبنائه قال : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابَنِيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون ﴾ (٢) .

وعن الحفيد « يوسف الكريم » عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ﴾ (٣) .

وعن الكليم « موسى » عليه السلام قال تعالى : ﴿ وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ (٤) وقال عن أتباعه - فى مواجهة فرعون بعد إيمانهم : ﴿ وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ﴾ (٥) .

وقال عن « سليمان » عليه السلام - وهو يدعو إلى الإسلام : ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا على وأتونى مسلمين ﴾ (٦) فلما أسلمت « بلقيس » ملكة سبأ قالت : ﴿ رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ (٧) .

وهذا سيدنا « عيسى » عليه السلام ، كان مسلما ودعا للإسلام : ﴿ إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من

---

(١) سورة البقرة : ١٢٧ ، ١٢٨
(٢) سورة البقرة : ١٣٢ ، ١٣٣
(٣) سورة يوسف : ١٠١
(٤) سورة يونس : ٨٤
(٥) سورة الأعراف : ١٢٦
(٦) سورة النمل : ٣٠ ، ٣١
(٧) سورة النمل : ٤٤

أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾[١]. **كما قال عنهم أيضا : ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾** [٢] .

وعن أنبياء بنى إسرائيل ، قال تعالى :فى معرض الحديث عن التوارة : **﴿ إنا أنزلنا التوارة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا .. ﴾** [٣].

وعن جميع الأنبياء قال تعالى : **﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾** [٤] .

ثم تحدث القرآن عن خاتم الأنبياء والرسل فجعله أولهم - وإن كان آخرهم زمانا - فقال عنه : **﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾** [٥] . به تمت النعمة واكتمل الدين الذى رضيه الله لخلقه : **﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** [٦] .

فكانت الرسالات السابقة تمهيدا للرسالة الخاتمة ، اتحدت معها فى العقيدة والأصول.

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [٧]

وقوله تعالى : **﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾** [٨] .

---

(١) سورة آل عمران : ٥١ . ٥٢
(٢) سورة المائدة : ١١١ .
(٣) سورة المائدة : ٤٤
(٤) سورة البقرة : ١٣٦
(٥) سورة الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣
(٦) سورة المائدة : ٣
(٧) سورة الأنبياء : ٢٥
(٨) سورة الشورى : ١٣

وإن اختلفت الشرائع والمناهج - لاختلاف الأزمنة والأمكنة ، والمدارك والعقول، وذلك لحكمة العليم الخبير : ﴿ لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ (١) .

لذلك فالدين هو الإسلام ، لابديل عنه ، ولا مفر منه : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ (٢) .

وهو الرحمة للعالمين : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٣) .

وهذا الدين « الإسلام » هو الفطرة ، كما قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (٤) وقوله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » (٥) .

وهو النور من رب العالمين : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٦) .

ولذا كتب الله له الخلود والبقاء - وإن رغم أنف الأعداء ، ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (٧) .

* * *

---

(١) سورة المائدة : ٤٨ (٢) سورة آل عمران : ٨٥

(٣) سورة الأنبياء : ١٠٧ (٤) سورة الروم : ٣٠

(٥) أخرجه الشيخان / البخارى ، كتاب القدر ، باب : الله أعلم بما كانوا عاملين جـ ٧ ص ٢١١ ، ومسلم كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة جـ ٢ ص ٢٥٨ .

(٦) سورة البقرة : ٢٥٧ (٧) سورة الصف : ٨ ، ٩

هل هي أديان ثلاثة -كما يقال - أم دين واحد ؟

الحق أنه دين واحد : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [١] أرسل به كل الأنبياء والرسل فلا دين غيره ،ولا بديل عنه ، ولا مفر منه : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ [٢] فغير الإسلام سمى : دينا كما قال تعالى : ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ [٣] .

أما كلمة أديان فهى تصح بالمعنى اللغوى ، لا الشرعى ، فالرجل يعبد شيئا ، بحبه له وذله إليه فيكون هذا دينه ، ولذلك يدين الرجل للشيطان ، وللمرأة وللحزب ، وللمال وغير ذلك وليست من الدين الحق فى شىء .

ويدين الرجل بدين سماوى محرف ، أو بمذهب أرضى باطل ،وليس من الدين الحق فى شىء، كما أن الإسلام هو الملة الحق ، وغيره يسمى ملة كذلك ،كما قال تعالى : ﴿ إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب .. ﴾ [٤] .

ومقارنة الأديان دراسة إسلامية تعد من مفاخر المسلمين ، إذ هم الذين ابتكروا علم مقارنة الأديان ، ومفكرو الغرب يعترفون بهذا ، ومن الطبيعى أن هذا العلم لم يظهر قبل الإسلام ، لأن الأديان قبل الإسلام لم تعترف أى منها بالأديان الأخرى، وكان كل دين يعد ماسواه من الأديان والأفكار هرطقة وضلالا .

وجاء الإسلام وكان موقفه بالنسبة للأديان الأخرى ينطوى تحت اتجاهين : الناحية النظرية ، والناحية الواقعية ، فمن الناحية النظرية يعلن الإسلام أنه الحلقة الأخيرة فى سلسلة الأديان ، وأنه بالتالى ورث أهم ما فى الأديان وأضاف إلى

(١) سورة آل عمران :١٩
(٢) سورة آل عمران : ٨٥
(٣) سورة الكافرون : ٦
(٤) سورة يوسف : ٣٧ ، ٣٨

ذلك ماتحتاجه البشرية فى مسيرتها إلى يوم الدين - قال تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى**﴾[١] . وبذلك يصبح الإسلام هو الدين الوحيد الذى لا دين سواه : ﴿**إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ [٢] ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ [٣] .

ومن الناحية الواقعية يعترف بالوجود الفعلى لجماعات غير مسلمين ، ويتحدث عن أهل الكتاب ، وأهل الذمة وينظم حقوقهم وواجباتهم ، وفى ضوء هذا وجد علم « مقارنة الأديان » بل إن القرآن الكريم يضع جذور هذا العلم عندما يقول : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن** ﴾ [٤] فالمجادلة بالحسنى هي مفهوم هذا العلم ، وفيه ما يحمل اتجاه المقارنة من آيات مثل قوله تعالى : ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ [٥].

كما قال تعالى : ﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق** ﴾ [٦] . وبين سبحانه وتعالى هذا العلم فى صورة واضحة إذ قال سبحانه وتعالى :﴿ **لكم دينكم ولى دين**﴾[٧].

وهكذا نجد القرآن الكريم يقرر أصول هذا العلم ، ويطبقه النبى ﷺ وأصحابه مع الناس ، فى منهج متفرد بسماحته وعظمته [٨] .

* * *

(١) سورة الشورى : ١٣
(٢) سورة آل عمران : ١٩
(٣) سورة آل عمران : ٨٥
(٤) سورة العنكبوت : ٤٦
(٥) سورة الأنبياء : ٢٣
(٦) سورة النحل : ١٧
(٧) سورة الكافرون : ٦
(٨) اليهودية ، د / أحمد شلبى ص ٢٥- ٢٧ بتصرف ط مكتبة النهضة المصرية .

ونحن أمام دراسة مقارنة بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، بما لها من قاعدة عريضة ، في قضية بالغة الأهمية ، وهي التسامح والتعصب عند كل منها بما يجلي الحق ناصعا والنور واضحا ، ويفضح الباطل ويجعله زاهقا ، في حجة تتبختر اتضاحا ، وفي شبهة تتضاءل افتضاحا .

﴿ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾ [1] .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٤ .




التسامح والتعصب فى اليهودية

الفصل الأول

التسامح عند اليهود فى كتبهم المقدسة (بين الادعاء والحقيقة)

الفصل الثاني

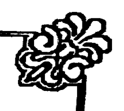
تعصب اليهود فى القرآن والسنة

الفصل الثالث

تعصب اليهود فى العصر الحديث







الفصل الأول

التسامح عند اليهود في كتبهم المقدسة

(بين الادعاء والحقيقة)

* المبحث الأول : التسامح في التوراة
* المبحث الثاني : التسامح في التوارة بين الادعاء والحقيقة .
* المبحث الثالث : التلمـــود .
* المبحث الرابع : بروتوكولات حكماء صهيون .

الفصل الأول :

التسامح عند اليهود في كتبهم المقدسة « بين الادعاء والحقيقة »

المبحث الأول :

التســامح فى التوارة

لقد أطلت البـحث فى التوارة ، وأمعنت فيـها النظر ، وأنا أقلب صفحـاتها ما بين دفتيها بحثا عن مبدأ التسامح والعفو والعدل ، فوجدت هذه الكلمات والوصايا المتناثرات وفيـها : « أكرم أباك وأمـك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك ، لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، ولا تشهد على قريبك شهادة زور ، لا تشتـه بيت قريبك ، لا تشـته امرأة قـريبك ، ولا عبده ولا أمـته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك » (١) .

وكذلك قالت : « لا تقبل خـبرا كاذبا ، ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم ، لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشـر ، ولا تجب فى دعوى مائلا وراء الكثيرين للتحريـف ، ولا تحاب مع المسكين فى دعواه ، إذا صادفت ثور عـدوك أو حماره شاردا ترده إليـه ، إذا رأيت حمار مـبغضك واقـعا تحت حمـله وعدلت عن حله فلابد أن تحل معه ، لا تحرف حق فقـيرك فى دعواه ، ابتعد عن كلام الكذب ولا تقتل البرىء والبـار لأنى لا أبرر المذنب ، ولا تأخذ رشوة تعمى المبـصرين وتعوج كلام الأبرار ، ولا تضايق الغـريب فإنكم عارفون نفس الغـريب لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر » (٢) « لا تسىء إلى أرملة ما ، ولا يتيم ، إن أسأت إليه فإنى إن

---

(١) سفر الخروج ، الاصحاح : ٢٠ (١٢ - ١٧)

(٢) سفر الخروج ، الإصحاح : ٢٣ (١ - ٩)

صرخ إليّ أسمع صراخه ، فحمى غضبى وأقتلكم بالسيف ، فتصير نساؤكم أرامل وأولادكم يتامى ، إن أقرضت فضة لشعبى الفقير الذى عندك فلا تكن له كالمرابى، لا تضعوا عليه ربا ، إن ارتهنت ثوب صاحبك فإلى غروب الشمس ترده له ، لأنه وحده غطاؤه ، هو ثوبه لجلده ، فى ماذا ينام ، فيكون إذا صرخ إلى انى أسمع ، لأنى رؤوف ، لا تسب الله ولا تلغى رئيسا فى شعبك ، لا تؤخر ملء بيدرك وقطر معصرتك وأبكار بنيك تعطينى ، كذلك تفعل ببقرك وغنمك ، سبعة أيام يكون مع أمه ، وفى اليوم الثامن تعطينى إياه ، وتكونون لى أناسا مقدسين ، ولحم فريسة فى الصحراء لا تأكلوا ، للكلاب تطرحونه » [1] .

كما ورد فيها : « وكلم الرب موسى قائلا ، إذا أخطأ أحد وخان خيانة بالرب وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوبا أو اغتصب من صاحبه أو وجد لقطة وجحدها وحلف كاذبًا على شىء من كل ما يفعله الإنسان مخطئا به ، فإذا أخطأ وأذنب يرد المسلوب الذى سلبه أو المغتصب الذى اغتصبه أو الوديعة التى أودعت عنده أو اللقطة التى وجدها ، أو كل ما حلف عليه كاذبا ، يعوضه برأسه ويزيد عليه خُمُسَهُ إلى الذى هو له يدفعه يوم ذبيحة إثمه ، ويأتى إلى الرب بذبيحة لإثمه كبشا صحيحا من الغنم بتقويمك ذبيحة إثم إلى الكاهن فيكفر عنه الكاهن أمام الرب فيصفح عنه فى الشىء من كل ما فعله مذنبا به » [2] .

ومن محاسن التوارة وما فيها من معانى التسامح ، ورد : « عندما تحصدون حصد أرضكم لا تكمل زوايا حقلك فى الحصاد ، ولقاط حصيدك لا تلتقط ، وكرمك لا تعلله ونثار كرمك لا تلتقط ، للمسكين والغريب تتركه ، أنا الرب إلهكم ، لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا تغدروا أحدكم بصاحبه ولا تحلفوا باسمى للكذب فتدنس اسم إلهك ، أنا الرب ، لا تغضب قريبك ولا تسلب ، ولا تبت

(١) سفر الخروج ، الإصحاح : ٢٢ (٢٢ ـ ٣١)
(٢) سفر لاويين إصحاح : ٦ (١ ـ ٧) .

أجرة أجير عندك إلى الغد ، لا تشتم الأصم ، وقدام الأعمى لا تجعل معثرة ، بل اخش إلهك ، أنا الرب ، لا ترتكبوا جورا فى القضاء لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير ، بالعدل تحكم لقريبك ، لا تسع فى الوشاية بين شعبك ، لا تقف على دم قريبك ، أنا الرب ، لا تبغض أخاك فى قلبك إنذارا تنذر صاحبك ولا تحمل لأجله خطية ، لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك ، بل تحب قريبك كنفسك ، أنا الرب ، فرائضى تحفظون » [1] .

« أنا الرب إلهكم ، من أمام الأشيب تقوم وتحترم وجه الشيخ وتخش إلهك أنا الرب ، وإذا نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه ، كالوطنى منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر ، أنا الرب إلهكم ، لا ترتكبوا جورا فى القضاء لا فى القياس ولا فى الوزن ولا فى الكيل ، ميزان حق ووزنات حق ، وإيفة حق وهين حق تكون لكم أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر ، فتحفظون كل فرائضى وكل أحكامى وتعملونها»[2] .

وفى الوقت الذى يفرق التلمود والبروتوكولات بين اليهودى وغيره فى المعاملة والأحكام تسوى التوراة بينهما بمبدأ العدل والتسامح ، فتقول : « وكلم بنى إسرائيل قائلا كل من سب إلهه يحمل خطيئة ، ومن جدف على اسم الرب فإنه يقتل ، يرجمه كل الجماعة رجما ، الغريب كالوطنى عندما يجدف على الاسم يقتل ، وإذا أمات أحد إنسانا فإنه يقتل ، ومن أمات بهيمة يعوض عنها نفسا بنفس، وإذا أحدث إنسان فى قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل به ، كسر بكسر وعين بعين ، وسن بسن ، كما أحدث عيبا فى الإنسان كذلك يحدث فيه ، من قتل بهيمة يعوض عنها ، ومن قتل إنسانا يقتل ، حكم واحد يكون لكم ، الغريب

---

(١) سفر لاويين ، الإصحاح ١٩ (٩ - ١٩)
(٢) سفر لاويين، الإصحاح ١٩ (٣١ - ٣٧)

كالوطنى إنى أنا الرب إلهكم » [١] .

ويذكر التسامح فى التوارة فى أكثر من موضع ، كذلك فتقول : « إن كان فيك فقير أحد من إخوتك فى أحد أبوابك فى أرضك التى يعطيك الرب إلهك فلا تقس قلبك ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير ، بل افتح يدك له ، وأقرضه مقدار ما يحتاج إليه ، احترز من أن يكون مع قلبك كلام لئيم قائلا قد قربت السنة السابعة سنة الإبراء وتسوء عينك بأخيك الفقير ولا تعطه فيصرخ عليك إلى الرب فتكون عليك خطيئة ، أعطه ولا يسوء قلبك عندما تعطيه لأنه بسبب هذا الأمر يباركك الرب إلهك فى كل أعمالك وجميع ما تمتد إليه يدك ، لأنه لا تفقد الفقراء من الأرض ، لذلك أنا أوصيك قائلا افتح يدك لأخيك المسكين والفقير فى أرضك» [٢] .

وفى أدب الحرب تقول :« إذا حاصرت مدينة أياما كثيرة محاربا إياها لكى تأخذها فلا تتلف شجرها بوضع فأس عليه ، إنك منه تأكل فلا تقطعه ، لأنه هل شجرة الحقل انسان حتى يذهب قدامك فى الحصار » [٣]. « واذا خرجت لمحاربة أعدائك ودفعهم الرب إلهك إلى يدك وسبيت منهم سبيا ، ورأيت فى السبى امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها لك زوجة فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها وتقلم أظافرها ، وتنزع ثياب سبيها عنها وتقعد فى بيتك وتبكى أباها وأمها شهرا من الزمان ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها فتكون لك زوجة ، وإن لم تسر بها فأطلقها لنفسها ، لا تبعها بيعا بفضة ولا تسترقها من أجل إنك قد أذللتها»[٤] .

وتذكر التوراة نماذج من التسامح والرحمة مع الإنسان والحيوان والطير فتقول : « لا تنظر ثور أخيك أو شاته شاردا وتتغاضى عنه بل ترده إلى أخيك لا محالة ،

---

(١) سفر لاويين ، الإصحاح ٢٤ (١٥ - ٢٢)
(٢) سفر التثنية إصحاح ١٥ (٧ - ١١) .
(٣) سفر التثنية إصحاح (٢٠ - ١٩)
(٤) سفر التثنية ، إصحاح ٢١ (١٠ - ١٤)

وإن لم يكن أخوك قريبا منك أو لم تعرفه فضمه إلى داخل بيتك ويكون عندك حتى يطلبه أخوك حينئذ ترده إليه ، وهكذا تفعل بحماره وهكذا تفعل بثيابه ، وهكذا تفعل بكل مفقود لأخيك يفقد منه وتجده لا يحل لك أن تتغاضى ، لا تنظر حمار أخيك أو ثوره واقعا فى الطريق وتتغافل عنه بل تقيمه معه لا محالة ، لا يكن متاع رجل على امرأة ، ولا يلبس رجل ثوب امرأة لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب إلهك ، إذا اتفق قدامك عش طائر فى الطريق فى شجرة ما أو على الأرض فيه فراخ أو بيت والأم حاضنة الفراخ أو البيض فلا تأخذ الأم مع أولادها ، اطلق الأم وخذ لنفسك الأولاد لكى يكون لك خير وتطيل الأيام ، اذا بنيت بيتا جديدا فاعمل حائطا لسطحك لئلا تجلب دما على بيتك اذا سقط عنه ساقط . . » [1] وتعمم الكلام على الآدمى وإن كان قد أذى اليهودى من قبل فتقول: «لا تكره آدميا لأنه أخوك، لا تكره مصريا لأنك كنت نزيلا فى أرضه»[2].

«عبد أبق إليك من مولاه لا تسلم إلى مولاه ، عندك يقيم فى وسطك فى المكان الذى يختاره فى أحل أبوابك حيث يطيب له ، لا تظلمه . . » [3] « إذا أقرضت صاحبك قرضا ما فلا تدخل بيته لكى ترتهن رهنا منه ، فى الخارج تقف والرجل الذى تقرضه يخرج إليك الرهن إلى الخارج ، وإن كان رجلا فقيرا فلا تنم فى رهنه رد إليه الرهن عند غروب الشمس لكى ينام فى ثوبه ويباركك، فيكون لك بر لدى الرب إلهك ، لا تظلم أجيرا مسكينًا وفقيرا من إخوتك أو من الغرباء الذين فى أرضك فى أبوابك ، فى يومه تعطيه أجرته ولا تغرب عليها الشمس لأنه فقير وإليها حامل نفسه لئلا يصرخ عليك إلى الرب فتكون عليك خطيئة ، لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئة يقتل » [4] .

« لا تعوج حكم اليتيم والغريب ، ولا تسترهن ثوب الأرملة ، واذكر أنك

---

(١) سفر التثنية ، إصحاح ٢٢ (١ - ٨)

(٢) سفر التثنية ، إصحاح ٢٣ (٧) .

(٣) سفر التثنية ، إصحاح ٢٣ (١٥)

(٤) سفر التثنية ، اصحاح ٢٤ (١٠ - ١٦).

كنت عبدا فى مصر ففداك الرب إلهك من هناك ، لذلك أنا أوصيك أن تعمل هذا الأمر ، إذا حصدت حصيدك فى حقلك ونسيت حزمة فى الحقل فلا ترجع لتأخذها ، للغريب واليتيم والأرملة تكون لكى يباركك الرب إلهك فى كل عمل يديك ، وإذا خبطت زيتونك فلا تراجع الأغصان وراءك ، للغريب واليتيم والأرملة يكون ، وإذا قطفت كرمك فلا تعلله وراءك ، للغريب واليتيم والأرملة يكون ، واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر . لذلك أنا أوصيك أن تعمل هذا الأمر »[1] « ملعون من ينقل تخم صاحبه .. ملعون من يضل الأعمى عن الطريق .. ملعون من يعوج حق الغريب واليتيم والأرملة .. ملعون من يقتل قريبه فى الخفاء.. ملعون من يأخذ رشوة لكى يقتل نفس دم برىء .. ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها ، ويقول جميع الشعب آمين »[2].

« إذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته ، فأتلفها يطلقه حرا عوضًا عن عينه ، وإن أسقط سن عبده أو سن أمته يطلقه حرا عوضًا عن سنه »[3].

هذا أفضل ما وجد فى تعاليم التوراة ، وأقصى ما عثرنا عليه مما يشير إلى التسامح أو يمت إليه بصلة ، كأن يكون مرادفا له أو قريبا منه ، ولو أخذنا مبدأ التسامح بحرفيته فلن نجد فى التوراه منه إلا القليل النادر ، ولكنا ذكرنا معه ما يتمشى مع معناه ، ويضاف إليه ، وهذا الذى ذكر عن التسامح فى التوراه ناقضته التوراة نظريا مع نفسها ، وواقعيا مع أتباعها ، واليهود على خلافه تماما وذلك يرجع إلى عوامل أخرى سنستبينها إن شاء الله فى المبحث القادم .

***

(١) سفر التثنية ، الإصحاح : ٢٤ (١٧ - ١٨) .
(٢) سفر التثنية ، الإصحاح : ٢٧ (١٧ - ٢٦) بتصرف
(٣) سفر الخروج ، الإصحاح : ٢١ (٢٦) .

المبحث الثاني :

التسامح فى التوراة بين الادعاء والحقيقة

لقد ذكرنا فى المبحث السابق كثيراً من النصوص التى تشير إلى التسامح فى التوراة من قريب أو من بعيد - وفى الوقت التى ذكرت التوراة هذه الألوان من التسامح والصفح لم نجد لها فى عالم الواقع أدنى أثر أو أقل امتثال ، بل رأينا العكس من ذلك تماما ، وفعل ما يناقضها على خط مستقيم ، وهذا مما يثير الدهشة والاستغراب ، ولكن الذى يمنع تلك الدهشة ويحول دون هذا الاستغراب أن نعلم جيدا أن التوراة أو « العهد القديم » ليست وحدها هى المصدر المقدس عند اليهود ، بل هناك مصادر أخرى لا تقل قداسة عن التوراة ، بل تزيد عنها كثيرا وخاصة فى العصر الحديث وهذه المصادر هى :

(١) العهد القديم (التوراة)

(٢) التلمود

(٣) بروتوكولات حكماء صهيون.

وقد ساد الظن أمدا طويلا ، فى أن الأسفار التى دونت قبل ميلاد المسيح هى وحدها كتب اليهود المقدسة لأنها الكتب المعروفة والمدونة ، وهى التى ورد ذكرها على ألسنه المسلمين والمسيحيين ، إلا أن هذا الظن لم يدم طويلا بعدما ظهرت كتب أخرى من أهمها « التلمود والبروتوكولات » مع عدد من الشروح المتعلقة بهما، وقد عرف بعد أن اليهود قصدوا إخفاء هذه الكتب عن العالم لما فيها من تعاليم تسىء إلى غير اليهود » [(١)] .

بل ليست مجرد إساءة فقط ولكنها كيفية التخلص من هذا العالم ليبقى اليهود وحدهم ، وإن كان لابد من بقاء العالم فليكن خدما وحميرا «لشعب الله المختار»

(١) دراسات فى الأديان « اليهودية » د / أحمد غلوش ص ١٧ .

ولبيان تعصب اليهود لابد من الإشارة إلى هذه المصادر للتعرف عليها ، وعلى أهم ما فيها .

أولا :

العهد القـديم :

« العهـد هو الميثاق ، ويراد به الميثاق الذى أخذه اللـه على عباده ليلتـزموا بما عاهدهم عليـه ، وينقسم العـهد فى الإصطلاح الدينى إلى قـديم وحديث باعتـبار بعثة المسيح عليه السلام ، فما كـان قبله يعرف بالعهد القديم ، ويسمى « التوراة » وما كان بعده يعرف بالعهـد الجديد ويسمى « الانجيل » وأول من أطلق اسم العهد القـديم «بولس الرسول » - كـمـا يزعم النصارى - فى رسـالتـه الثانيـة إلى أهل كورنثـوس إذ قال : « بل أغلظت أذهانهم لأنه حـتى اليوم ذلك البرقع نفـسه عند قراءة العهد العتيق باق غير منكشف » (١) .

« والعهد القـديم كتاب اليهودية الرئيـسى حيث يحتوى على الشريعـة والتعاليم الإلهية ،كما يتضمن تفصـيلات التاريخ اليهودى ، ويحتوى كذلك على ألوان من الآداب والأشـعار الإرشـادية ، وأيضا فـفيـه تصوير للعـقيـدة وسيـر لأنبيـاء بنى إسرائيل» (٢) .

« هذا ويزعم اليـهـود أنهم يـعتـمـدون فى عـبـادتهـم وتشـريعـاتهم وآرائهم ومعاملاتهم، على ما جاء في التوارة التى أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام ، « والتوراة » كلمة عبرية مـعناها الشريعة أو التعاليم الدينية ، وقد اعـتمد اليهود تسعـة وثلاثين سفرا ، أطلق عليـها اسم « العهـد القديم » ، ويعتـبرونها أسـفارا مقدسة أى موصى بها ، ويطلقون علي خمسـة منها إطلاقا حقيقيا اسم «التوراة »

---

(١) الرسالة الثانيـة ، إصحاح : ٣ (١٤) وتشير الفقرة إلى عادة يهودية وهى وضع برقع عـلى الوجه عند قراءة شىء من العهد القديم لغلظة قلوبهم .

(٢) اليهودية د / أحمد غلوش ص ١٨ ، ١٩ بتصرف .

أو كتب موسى ، لأنها - فى زعمهم - أنزلها الله على موسى « عليه السلام » وكتبها موسى بنفسه ، وهذه الأسفار الخمسة هى : سفر التكوين ،وسفر الخروج ، وسفر التثنية ، وسفر اللاويين ، وسفر العدد (١).

« أما الأربعة والثلاثون سفرا الباقية فمنسوبة إلى أشخاص كتبوها بعد موسى «عليه السلام » بأزمان متفاوتة فى الطول والقصر ، وهى : « يشوع ، والقضاة ، وراعون ، وصموائيل الأول، وصموائيل الثانى ، والملوك الأول ، والملوك الثانى، وأخبار الأيام الأول ، وأخبار الأيام الثانى ، وعزرا ، ونحميا ، وأستير ، وأيوب، والمزامير ، والأمثال ، والجامعة ، ونشيد الأنشاد ، وإشعياء ، وإرمياء ومراثى إرمياء، وحزقيال ، ودانيال ، وهوشع ، ويوئيل وعاموس ، وعويديا ، ويونان، وميخا ، وناحوم ، وحبقوق وصفنيا ، وحجى ، وزكريا ، وملاخى»(٢).

وهذه الأسفار الأربعة والثلاثون مقدسة - أيضا - عند اليهود ، ويطلق عليها - تجوزا مع الأسفار الخمسة السابقة اسم « التوارة » من باب إطلاق الجزء على الكل.

والأسفار فى جملتها صبغتها دينية إلا أن منها ما يغلب عليه الطابع التاريخى ، كأسفار التكوين ، والخروج ، ويشوع ، والقضاة ، وأخبار الأيام ، وعزرا ، ونحميا ، ومنها ما يغلب عليه الطابع التشريعى والأخلاقى والتوجيهى ، كأسفار اللاويين ، والمزامير، والجامعة ، وإشعياء ، ومراثى إرمياء ، كذلك منها ما هو

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ، د / محمد سيد طنطاوى ص ٦٤ بتصرف ط الزهراء للإعلام العربى) الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٨٧ م .

(٢) هذه الأسفار التسعة والثلاثون التى تعتمدها الكنيسة البروتستانتية ، أما الكنيسة الكاثوليكية فتضيف سبعة أسفار أخرى هي : طوبيا ويهوديت ، والحكمة ويسوع بن سراج وباروح ، المكابيين الأول ، والمكابيين الثاني ، وبذلك تكون الأسفار المقدسة عندها ستا وأربعين ، وهناك أسفار أخرى يذكر المؤرخون أنها كانت ثم ضاعت أو اختفت أو أبطلت ، كما أفاد الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه القيم « إظهار الحق » ص ٨١ ، ٨٣ ط دار التراث العربى .

طويل كسفر التكوين ، والمزامير ، وإشعياء ، وإرمياء ، ومنها ما هو قصير كسفر عويديا ، وحجى ، وحبقوق .

بعد هذا التعريف الموجز للأسفار المقدسة عند اليهود والتى يطلقون عليها اسم التوراة نسأل : هل هذه الأسفار المقدسة عندهم هى التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام ؟ .

للإجابة على هذا السؤال نقول : إن الذى ينظر فى هذه الأسفار ، يجد فيها من التناقض والافتراء والانحراف عن الحق ، وسوء التعبير ما يجعله يحكم عليها بأنها - فى مجموعها ليست هى التوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام ، وهذه بعض الأدلة على ذلك :

أولا : اعترف القرآن الكريم بالتوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام ، ومدحها فى آيات كثيرة من ذلك قوله تعالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان** ﴾ [١] وقوله تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ..** ﴾ [٢] .

وقد أخبرنا القرآن الكريم بأن اليهود قد امتدت أيديهم إلى التوراة فحرّفوها وبدّلوها ، وأخفوا منها ما لا يتفق مع أهوائهم وشهواتهم ، قال تعالى : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ..** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت**

(١) سورة آل عمران : ٢ ، ٤

(٢) سورة المائدة : ٤٤

(٣) سورة البقرة من ٧٥ ، ٧٩

أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [٣] وقال تعالى : **﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ..﴾** [١] وقال تعالى **﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يُحَرِّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾** [٢] أ . هـ [٣] .

بل إن التوراة ذاتها قد ذكرت هذا التحريف بصريح العبارة فى كثير من نصوصها، ومنه : « ماذا يصنعه بى البشر ،اليوم كله يحرفون كلامى » [٤].

« كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا ؟ حقا إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب » [٥] . « أما وحى الرب فلا تذكروه لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحى » [٦] .

«اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض ، لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام ، لأنكم تعلمون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم » [٧] .

« ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم فى الظلمة ويقولون : من يبصرنا ومن يعرفنا ، يا لتحريفكم » [٨] .

« حتى من يوجد فى قلب الأنبياء المتنبئين بالكذب ، بل هم أنبياء خداع قلبهم. [٩] الذين يفكرون أن ينسوا شعبى اسمى بأحلامهم التى يقصونها الرجل على

---

(١) سورة المائدة : ١٥ (٢) سورة المائدة : ١٣

(٣) بنو اسرائيل فى القرآن والسنة ، ص ٦٥) ٦٧ بتصرف

(٤) سفر المزامير إصحاح ٥٦ (٤ ، ٥) (٥) سفر إرميا : إصحاح ٨ (٨)

(٦) سفر إرميا :إصحاح ٢٣ (٣٦) (٧) سفر التثنية : إصحاح ٣١ (٢٨, ٢٩)

(٨) سفر اشعياء ، إصحاح ٢٩ (١٥ . ١٦)

(٩) أى طبيعته معوجة ، ملآن من الشر والحماقة ، انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٠ بتصرف ، ط مكتبة المشعل ، بيروت ـ السادسة ١٩٨١ م .

صاحبه كما نسى آباؤهم اسمى لأجل البعل . النبى الذى معه حلم فليقص حلما ، والذى معه كلمتى فليتكلم بكلمتى الحق ، ماللتين مع الحنطة يقول الرب . . »[1] « فلا تسمعوا لكلام الأنبياء والذين يكلمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل لأنهم إنما يتنبأون لكم بالكذب لأنى لم أرسلهم ، يقول الرب بل هم يتنبأون باسمى بالكذب لكى أطردكم فتهلكوا أنتم والأنبياء الذين يتنبأون لكم»[2].

فتلك شهادة التوراة على نفسها ، نستأنس به مع ما جاء فى القرآن الكريم ، ومع ما سنفصل القول فيه إن شاء الله تعالى .

ثانيا : انقطاع سندها ، فان التوراة الموجودة حاليا ليس لها سند متصل إلى موسى « عليه السلام »، بل هى على النقيض من ذلك ، إذ يوجد فيها ما يدل دلالة قاطعة على أنها كتبت بعده بزمن طويل !!

فمثلا جاء فى سفر التثنية بخصوص وفاة موسى عليه السلام - نص يقول : «فمات موسى عبد الرب فى أرض مؤاب ولا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا»[3] فهذا النص هل يحتمل أن يكون كتبه موسى عليه السلام وأنه من التوراة التى نزلت عليه ؟ كما جاء فيها أيضا : « ولم يقم بعد نبى فى بنى إسرائيل مثل موسى » [4] فهل هذا مما أملاه الله لموسى أيضا ؟!!

لقد قرأت التوراة وتصفحتها وأمعنت النظر فيها فوجدتها لا تزيد عن كتاب سيرة يحكى حال « موسى » عليه السلام مع أتباعه ، وحال بنى إسرائيل من قبل ذلك ومن بعده ، بل يحمل فى طياته من المتناقضات والمخالفات والاتهامات الشىء الكثير ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى ومن الواضح أن مثل هذا الكلام مكتوب

---

(١) سفر إرمياء ، إصحاح ٢٣ (٢٦ - ٢٨)
(٢) سفر إرمياء ، إصحاح ٢٧ (١٤ ، ١٥) .
(٣) سفر التثنية ، إصحاح ٣٤ (٥ ، ٦) بتصرف .
(٤) سفر التثنية ، إصحاح ٣٤ (١٠) .

بعد وفاة موسى عليه السلام .

وقد أقام المرحوم الشيخ رحمة الله الهندى أدلة متعددة على انقطاع سند التوراة فقال مـا ملخصه: «اعلم - أرشدك الله تعالى - أنه لابد لكون الكتـاب أو السفر سماويا واجب التسليم أن يثبت أولا بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبى الفلانى ، ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل ، والاستناد إلى شـخص ذى إلهام بمـجرد الظن والوهـم لا يكفى فى إثبـات أنه من تصنيف ذلك الشـخص وكـذلك مـجرد ادعـاء فـرقـة أو فرق لا يكفـى - ثم برهن على ذلك بالأسـفار - وأنه لاسند لكون هـذه التوراة المنسـوبة إلى مـوسى عليه السـلام من تصنيفاته ، ويدل عليها أمور منها :

أن تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون [١] والنسخة التى وجدت بعد ثمانى عشرة سنة من جلوسه على سرير السـلطنة لا اعتماد عليها يقينا ، ومع كونهـا غير مـعتـمدة ضاعت هذه النسـخة أيضـا ، غالبا قـبل حادثة بنوخـذ ناصر «بختنصر» وفى حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد القديم عن صفحة العالم رأسا ، ولما كتب « عزرا » هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسخها وأكثر نقولها فى حادثة أنتيوكس » [٢] .

جمهور أهل الكتاب يقولون : أن السفر الأول والثانى من أخبار الأيام صنفهما « عزرا » عليه السلام بإعانة « حجى » و « زكريا » الرسولين عليهما السلام وهذان السـفران فى الحـقـيقـة من تصنيف هؤلاء الأنبيـاء الثلاثة وتنـاقض كلامـهم فى الإصحاح السابع والثامن من السفر الأول فى بيان أولاد بنيامين ، وكذا خالفوا فى هذا البـيان هذه التـوراة المشـهورة من وجـهين ، الأول فى الأسـماء والثـانى فى

(١) يوشيا بن آمون واحد من ملوك اليهـود : حكمهم من سنة ٦٤٠ إلى سنة ٦٠٩ ق . م أى بعد موسى عليه السلام بست قرون تقريبا.

(٢) المراد « انتـيوكس » الذى حكم سـوريا من سنة ١٧٤ إلى سنة ١٦٤ ق . م وقد أذل خـلال حكمه اليـهود إذلالا شديدا ، راجع إظهار الحق ص ٨٤ .

العدد، حيث يفهم من الإصحاح السابع أن أبناء بنيامين ثلاثة ، ومن الإصحاح الخامس أنهم خمسة ، ومن التوراة أنهم عشرة واتفق علماء أهل الكتاب أن ما وقع فى السفر الأول غلط وبينوا سبب وقوع الغلط .

من قابل الاصحاح الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال بالاصحاح الثامن والعشرين ، والتاسع والعشرين من سفر العدد وجد مخالفات صريحة فى الأحكام ، ومعروف أن حزقيال عليه السلام كان منبع التوراة ، فلو كانت التوراة فى زمانه مثل التوراة المشهورة لما خالفها فى الأحكام .

وكذلك وقع فى التوراة فى مواضع عديدة أن الأبناء يؤخذون بذنوب الآباء إلى ثلاثة أجيال ووقع فى الآية العشرين من الإصحاح الثامن عشر من سفر حزقيال : « النفس التى تخطىء هى تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن . . » [1] .

من طالع الزبور ، وسفر نحميا ، وسفر أرمياء ، وسفر حزقيال ، جزم يقينا أن طريق التصنيف فى سالف الزمان كان مثل الطريق المروج الآن فى أهل الإسلام ، إذ من المعروف أن المصنف لو كان يكتب حالات نفسه والمعاملات التى رآها بعينيه، يعبر عن نفسه ، وهذا الأمر لا يظهر فى موضوع من مواضيع التوراة ، بل تشهد عباراته أن كاتبه غير « موسى » عليه السلام ، وهذا الذى هو غير «موسى» جمع هذا الكتاب من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود ، ثم نسبها إلى الله مرة وإلى موسى أخرى ، وعبر عنه بضمير الغائب .

لا يقدر أحد أن يدعى بالنسبة إلى بعض الآيات وبعض الإصحاحات أنها من كلام موسى بل بعض الآيات تدل دلالة بينة على أن مؤلف هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قبل « داود » عليه السلام ، بل يكون إما معاصرا له أو بعده [2] وعلماء

---

(١) إظهار الحق ، الشيخ رحمة الله الهندى ص ٨٢) ٨٦ بتصرف .

(٢) راجع النماذج والأدلة بتوسع فى كتاب « إظهار الحق » ص ٨٩ - ٩٨ ، ١٠٦ - ١١٣ ، ١٣٥ - ١٥١ ، ٢٠٥ - ٢٣٢ ، ٢٤٣ - ٢٤٩ .

المسيحية يقولون – ظنا ورجما بالغيب – إنها من ملحقات نبى من الأنبياء .

وهذا القول مردود ، لأنه مجرد إدعاء منهم بلا برهان .

يقول الدكتور «سكند ركيدس»–من فضلاء المسيحية المعتمدين– فى ديباجة «الإنجيل» الجديد : « ثبت لى بظهـور الأدلة الخفية ثلاثة أمـور جزما ، الأول : أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى ، والثانى : أنها كتـبت فى كنعان وأورشليم ، يعنى مـا كتـبت فى عـهد مـوسى الذى كـان بنو اسرائيل فـيـه فى الصحـارى ، والثالث: لا يثبـت تأليفـها قبل سلـطنة داود ولا بعد زمـان حزقيـال ، بل أنسب تأليفها إلى زمان سليمان عليـه السلام بمعنى قبل ألف سنة من ميلاد المسيح أو إلى زمان قريب منه ، وليس قبل خمسمائة سنة من وفاة موسى عليه السلام .

وقال غيره من علمـاء المسيحية ومنهم « نورتن » إنه لا يوجد فـرق معتد به فى محاورة التوراة ومحاورات سائر الكتب من العهد العتيق الذى كتب فى زمان أطلق فيه بنو اسرائيل من أسر بابل مع أن بين هذين الزمانين تسعمائة عام [1] .

ويتحدث الدكتـور « على عبد الواحد وافى » عن الأزمنة التى كتـبت فيها تلك الأسفار المنسوبة إلى مـوسى عليه السلام فيقول :« هذا وأهم أسفـار العهد القديم هى أسـفار التكوين – والخـروج – والتثنيـة – واللاويين – والعدد »التى يـنسبـها اليهـود إلى موسى عليـه السلام ويعتـقدون أنهـا بوحى من الله ، وأنها تتـضمن التوراة ولكن ظـهر للمحـدثين من الباحـثين من ملاحظة اللغات والأسـاليب التى كتـبت بهـا هذه الأسفـار ، وما يشـتمل عليـه من موضـوعات وأحكام وتشـاريع والبيئات الاجتـماعية،والسياسية التى تنعكس فيـها،ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد أُلِّفَت فى عـصور لاحقة لعصر موسى بـأمد غير قصير،وعـصر موسى يقع على الأرجح حوالى القـرن الرابع عشر أو الثـالث عشر قبل الميـلاد، وأن معظم سفـرى التكوين والخروج قد ألف حـوالى القرن التـاسع قبل الميلاد ، وأن سـفر

١) إظهار الحق ص ٨٦ ، ٨٧ بتصرف مع مراعاة بقية الأدلة في تحريف التوراة وعدم ثبوتها .

التثنية قد ألف فى أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، وأن سفرى العدد واللاويين قد ألفا فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، وأنها جميعا مكتوبة بأقلام اليهود وتتمثل فى هذه الأسفار عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التى كانت سائدة لديهم فى مختلف أدوار تاريخهم الطويل ، فهى إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التى يذكر القرآن أنها كتاب سماوى مقدس أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام » [1] .

« وبهذا نرى أن سند التوراة الحالية منقطع ،وأنها كتبت بعد موسى عليه السلام بأزمنة مختلفة وبأياد متعددة » [2] .

ورحم الله الشيخ « رحمة الله الهندى » فقد تناول فى الكلام على أسفار العهدين العتيق ، والجديد - أى التوراة والإنجيل - كل باب من أبوابها واستشهد من كلام مؤرخيهم وعلمائهم على تبيان المطعون فيه من الأبواب والآيات ، وبين بالحجج الدامغة أنه لا يوجد لدى علمائهم سند متصل لأى كتاب من كتب العهدين ، ثم تناول بعد ذلك ما فى الكتابين من الاختلاف والأغلاط . . ثم عقد بابًا خاصًا لإثبات التحريف فى كتب العهدين القديم والجديد، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾[3] وأثبت أن بعض هذا التحريف كان عن عمد، وكان يأتى التحريف أحيانا بالزيادة وأحيانا بالنقصان وأحيانا بالتبديل اللفظى وساق على التحريف بالزيادة خمسة وأربعين شاهدا ، كما ساق على التبديل اللفظى خمسة وثلاثين شاهدا ، أما التحريف بالنقصان فقد ساق عليه عشرين شاهدا مما يدل على سعة اطلاع وتتبع حريص لاقامة الحجة عليهم من كتبهم »[4]، فمن أراد معرفة المزيد من تناقض التوراة التى بأيدى اليهود الآن وتحريفها فليرجع إلى كتاب « إظهار الحق » للشيخ رحمة الله الهندى يجد فيه ما يشفى الغليل ، ويداوى

---

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١٦ ط مكتبة نهضة مصر

(٢) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٦٩ (٣) سورة المائدة ١٣

(٤) من مقدمة كتاب « إظهار الحق » للأستاذ / عمر دسوقى

العليل ، فليس المقام فى تلك الرسالة للتوسع فى نقد التوراة وإظهار تحريفها ، ولكنه جاء عرضا فى الموضوع ، وتمهيدا للحديث عن القضية المرادة .

ثالثا : إذا نظرنا إلى التوراة الحالية من حيث المتن نجدها محشوة بالقصص والعبارات المتناقضات التى تتنزه الكتب السماوية الصحيحة عن ذكرها .

فإذا تحدثت التوراة عن الله عز وجل ، فكأنهم يتحدثون عن إنسان ، أو يبدو فيها الإله أشبه بالإنسان فى أحوال ضعفه وقوته ، وفى ضلاله ورشده ، وفى حلمه وجهله حتى لكان الإله قد اتخذ له خيمة مع اليهود وعاش بينهم ، ولهذا أمثلة كثيرة ، قل أن تخلو منها صفحة من صفحات العهد القديم »[1] .

وإذا تحدثت عن نبى من الأنبياء ، فكأنها تتحدث عن رعاع الناس وسفهاء الخلق ، وعن أعتى الناس إجراما ، وأحط البشرية فى ارتكاب الجرائم وانتهاك الحرمات لاسيما الزنا والقتل ، والمكر والخداع - الخ .

وتتحدث فى كثير من مواضعها عن الغزل والحب ، وتفصيل القول فى الجنس والمفاتن مما يعف اللسان عن ذكره ويتنزه بعض الفساق - أحيانا - عن قوله ، فضلا عن فعله ، فإذا وقفت على هذا ، فكأنك أمام كتاب جنس فاضح ، لو لم يكن توراة مقدسة عند اليهود لكان محظورا دوليًا ومحرمًا قانونيًا ، وهذا . . ناهيك عن الأغلاط والتحريفات والمتناقضات . والركاكة وسوء التعبير ، والتكرار من غير فائدة ولا حكمة ، وإليك نماذج على سبيل المثال لا الحصر :

(أ) الله عز وجل « فى التوراة » :

تتحدث التوراة عن خلق السموات والأرض قالت : « فأكملت السموات والأرض وكل جندها ، وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ،

---

(١) المسيح فى القرآن ص ٤٦ للأستاذ / عبد الكريم الخطيب ، نقلا عن كتاب « بنو اسرائيل » فى القرآن والسنة ص ٧٠ بتصرف .

فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا » [١] .

ومعنى هذا أن الله عز وجل يتعب كشأن البشر ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

وقد بين القرآن الكريم أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما دون أن يناله نصب أو تعب فقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ [٢] .

كما تقول التوراة أيضًا : « وسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم ، وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت ، فقال من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها . . !

وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا للخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ، ويأكل ويحيا إلى الأبد ، فأخرجه الرب من جنة عدن . . ! [٣].

وهكذا تنسب التوراة الجهل إلى الله عز وجل مع الخوف كذلك ، كما نسبت إليه الحزن والندم ، فقالت : « ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى

---

(١) العهد القديم ، سفر التكوين ، إصحاح ٢ (١ ـ ٣)

(٢) سورة ق : ٣٨

(٣) العهد القديم ، سفر التكوين ، إصحاح ٣ (٨ ـ ٢٣) بتصرف

خلقته، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأنى حزنت أنى عملتهم »(١).

وتصف التوراة الله عز وجل بأنه إنسان له خصائص البشر ،فتقول : « الرب رجل الحرب وبريح أنفك تراكمت الحياة . . نفخت بريحك فغطاهم البحر . . من مثلك بين الآلهة يارب . . (٢) ثم تزعم التوراة أن بنى اسرائيل رأوا الله عز وجل فتقول : « لأنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء » (٣) !!.

« ورأوا إله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى اسرائيل ، فرأوا الله وأكلوا أو شربوا » (٤) .

« ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » (٥) فى حين أن القرآن الكريم قال : ﴿ وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾(٦) كما قال تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا .. ﴾(٧)

بل إن موسى نفسه لم ير الله عز وجل فقال القرآن الكريم : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾ (٨) .

---

(١) العهد القديم ، سفر التكوين ، إصحاح ٦ (٥-٧) .
(٢) سفر الخروج ، إصحاح ١٥ (٣ - ١١) بتصرف .
(٣) سفر الخروج ، إصحاح ١٩ (١١) .
(٤) سفر الخروج ، إصحاح ٢٤ (١٠ - ١١) .
(٥) سفر الخروج ، إصحاح ٣٣ (١١) .
(٦) سورة البقرة : ٥٥ ، ٥٦ .
(٧) سورة الأعراف ، ١٥٥ .
(٨) سورة الأعراف : ١٤٣ .

ثم تقول التـوراة - والكلام عن الله تعالى : « ارجع عن حمو غـضبك واندم على الشر بشعبك ، واذكر إبراهيم وإسـحق وإسرائيل عبيدك . . فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه »(١) .

وتكرر هذا التجسـيم فى مواطن متعددة بوصف ساذج للألوهيـة ، مماثل للبشر مماثلة صارخة فقـيل فى عهد الإله إليهم « وحدث فى اليوم الثـالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجـبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله فى أسفل الجبل ، وكان جـبل سيناء يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصـعد دخانه كدخـان الأتون وارتجف كل الجبل جدا ، فكان صـوت البوق يزداد اشتـدادًا جدا ومـوسى يتكلم والله يجـيـبـه بصـوت ، ونزل الرب على جـبل سـيناء إلى رأس الجبل»(٢) وهناك غيره الكثير .

(ب) الأنبياء فى التوراة

لقد نسبت التـوراة المحرفة إلى الأنبياء مالم يرتضـه أى إنسان أن ينسب إليه ولا يتصور صدوره إلا من سفلة الناس . .

فلقد نسـبت إلى نوح عليه السـلام ، السكر والعرى ، فقـالـت :« وابتدأ نوح يكون فلاحا ، وغـرس كرما وشرب من الخمـر فسكر وتعرى داخل خبـائه فأبصر «حـام» أبو كنعان عـورة أبيه ، وأخـبر أخويه خـارجا ، فأخـذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيـا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبـصـرا عـورة أبيهـما ، فلمـا استـيـقظ نوح من خمـره علم ما فـعل به ابنه الصغير فقال ملعـون كنعان ، عبد العبيد يكون لإخوته ، وقال مبـارك الـرب إلـه سـام وليكن كنعـان عبدا لهم ليفتـح الله ليافث فيسكن فى مساكن « سام » وليكن

(١) سفر الخروج ، إصحاح ٣٢ (١٢-١٤) بتصرف .

(٢) سفر الخروج ، إصحاح ١٩ (١٦-٢٠) .

كنعان عبدا لهم » (١) .

وقالت عن إسماعيل :« وإنه يكون إنسانا وحشيا ، يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه . . » (٢) .

واتهمت لوطا بأنه عرض بناته ليزنى بهن أهل سدوم فقالت :« هوذا لى ابنتان لم تعرفا رجلا ، أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن فى عيونكم ، وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئا لأنهما قد دخلا تحت ظل سقفى » (٣) بل ذكرت ما هو أشنع من ذلك مع لوط وابنتيه كذلك فقالت :« وصعد لوط من صوغر وسكن الجبل وابنتاه معه ، لأنه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة هو وابنتاه ،وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه ، فنحيى من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى ، نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلى اضطجعى معه فنحيى من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعهما ولا بقيامهما ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى وهو أبو بنى عمون إلى اليوم»(٤)!! .

وفى قصة إبراهيم تذكر - فى الإصحاح السادس عشر - أن الابن الأكبر لإبراهيم هو إسماعيل عليه السلام « ثم تعود فتناقض نفسها فى الإصحاح الثانى

---

(١) سفر التكوين ، إصحاح ٩ (٢٠ـ ٢٧)
(٢) سفر التكوين ، إصحاح ١٦ (١٢) .
(٣) سفر التكوين ، إصحاح ١٩ (٨) .
(٤) سفر التكوين ،إصحاح ١٩ (٣٠ـ ٣٨) .

والعشرين فتذكر أن الابن الوحيد هو إسحاق وليس إسماعيل ، فتقول : «وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال يا إبراهيم فقال ها أنذا ، فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا واصعد هناك محرقة[1] على أحد الجبال الذى أقول لك »[2] .فكيف يكون الوحيد ومع ذلك يكون إسحق ؟!!

ثم ذكرت فى موت سارة بعد ذلك - فأتى إبراهيم ليندب سارة ويبكى عليها[3]!! « ثم سأل إبراهيم بنى حث أن يعطوه قبرا ليدفن فيه ميته ، فمنحوه أفضل قبورهم فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبنى حث » [4]فكيف يسجد إبراهيم لغير الله ؟!

ثم تتهم التوراة المحرفة « المفتراة » أنبياء الله بالكذب والاحتيال ، والمكر والخداع فتقول عن يعقوب أنه كذب على أبيه وزعم أنه « عيسو » واحتال عليه حتى يدعو له ويأخذ مباركة أبيه له فقط ، كما قدم لأبيه خمرا فشربه ، فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التى باركه بها أبوه ، وعزم على قتله ، فهاجر فرارا من القتل ، وذهب إلى فدان أرام إلى لابان بن بتوئيل الأرامى أخى رفقه أم يعقوب وعيسو ، حتى لقى يعقوب راحيل بنت لابان خاله فتقدم : « وقبل يعقوب راحيل ورفع صوته وبكى » [5] . كما ذكرت : « وخدع يعقوب قلب لابان الأرامى إذ لم يخبره بأنه هارب » [6] كما اتهمت التوراة يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر افتراس الذئب ليوسف أنه قام « فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحا على

(١) المحرقة : المكان الذى ينذر فيه لله أو يقدم فيه ذبيحته ، فتحرق بنار من السماء .
(٢) سفر التكوين ، إصحاح ٢٢ (١ ، ٢) .
(٣) سفر التكوين ،إصحاح ٢٣ (٢)
(٤) سفر التكوين ، إصحاح ٢٣ (٣ـ ٧) بتصرف
(٥) سفر التكوين ، إصحاح ٢٧ ،٢٨ ،٢٩ ص ٤٢ـ ٤٦
(٦) سفر التكوين ، إصحاح ٣١ (٢٠)

حقويه وناح على ابنه أياما كثيرا فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال إنى أنزل إلى ابنى نائحا إلى الهاوية وبكى عليه أبوه » [١] .

كما اتهمت يوسف أنه أقسم بحياة فرعون أمام إخوته [٢] !!

واتهمت هارون عليه السلام بأنه هو الذى صنع العجل لبنى اسرائيل ليعبدوه من دون الله فتقول : « فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وأتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا ، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ، فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون وقال غدًا عيد للرب ، فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامه وجلس الشعب للأكل والشرب ، ثم قاموا للعب » [٣] فضرب الرب الشعب ، لأنهم صنعوا العجل الذى صنعه هارون » [٤] .

وليس هذا فقط بل اتهمت موسى مع هارون فقالت : « وكلم الرب موسى فى نفس ذلك اليوم قائلا اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذى فى أرض موآب الذى قباله أريحا وانظر أرض كنعان التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل ملكا ، ومت فى الجبل الذى تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك فى جبل هور وضم إلى قومه ، لأنكما ختمتمانى فى وسط بنى إسرائيل عند ماء مريبة قادش فى برية صين إذ لم تقدسانى فى وسط بنى إسرائيل ، فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل [٥].

واتهمت التوراة « داود عليه السلام » بالزنا والقتل بطريقة ماكرة خبيثة ، لا

---

(١) سفر التكوين ، إصحاح ٣٧ (٣٤ ، ٣٥)
(٢) سفر التكوين ، إصحاح ٤٢ (١٥ ، ١٦)
(٣) سفر الخروج، إصحاح ٣٢ (٢ـ ٦) .
(٤) سفر الخروج ، إصحاح ٣٢ (٣٥) .
(٥) سفر التثنية ، إصحاح ٣٢ (٤٨ـ ٥٢) .

تصدر إلا من أفسق الفاسقين فى الأرض ، ولم يتورع كتبتها عن ذكرها فى كتاب ينسبونه - زورا وبهتانا - إلى الله تعالى ، الذى يختار رسله من صفوة خلقة فقالت - وبئس ما قالت - : « وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح البيت فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدا ، . . فأرسل داود رسلا وأخذها . . فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود ، وقالت إنى حبلى ، فأرسل داود إلى يوآب - قائد الجيش يقول : أرسل إلى أوريا الحثى . . فاتى أوريا إليه فسأله داود عن سلامة الشعب ونجاح الرب ، وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك ، فخرج أوريا ونام على باب بيت الملك . . ولم ينزل إلى بيته فقال داود لأوريا أما جئت من السفر فلماذا لم تنزل إلى بيتك فقال . إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتى وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر . .

وفى الصباح كتب داود - إلى يوآب - اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت ، وكان فى محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا فى الموضع الذى علم أن رجال البأس فيه ، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب . . ومات أوريا الحثى أيضا ، فلما سمعت امرأة أوريا أنه مات ندبت بعلها . . ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا . . وأما الأمر الذى فعل داود فقبيح فى عينى الرب . . »[1] إلخ . تلك القصة المفتراة على نبى الله داود عليه السلام ، الذي يعتبرونه ملكًا شأنه شأن ملوك الأرض المترفين الذين لا يعنيهم من الحياة إلا إشباع رغباتهم الجنسية ونهمتهم الجسدية ولا قيمة للفضائل الإنسانية عندهم ولا اعتبار . « داود عليه السلام » يزنى ، وحتى لا يفتضح أمره يقتل أخلص الناس له بأخبث طريقة

(١) سفر صموئيل الثانى ، إصحاح ١١ (٢ - ٢٧) بتصرف .

ماكرة!! جـريمتان مزدوجتان.جـريمة زنا من نبى أعقبتـها جريمة قتل مسـتور لئيم !! ولذا غضب الرب على داود وقبح فعله فى عينى الرب ، مع أن التوراة نفسها هى التى تشـهـد لداود بأحسـن الشهـادات وفى نفس السـفـر الذى ذكـرت فيـه هذه القصة.. قالت على لسان داود : « يكافئنى الرب حسب برى ، حسب طهارة يدى يرد على ، لأنى حفظت طرق الرب ولم أعص إلهى ، لأن جـميع أحكامى أمامى وفرائضـه لا أحيد عنهـا وأكون كامـلا لديه وأتحفظ من إثمى »[1] فـهل الزنا من أعـمال البـر ؟ وهل تأتى طهارة اليـدين مع القـتل ؟! وهل من اتباع وصـايا الله والمحافظة على شريعته وعدم الحياد عنها أن يزنى الإنسان ويسفك الدم ؟!.

هذا وفى التوراة الحالية نصـوص أخرى كثيرة فيهـا تطاول على الأنبياء والرسل وإهمال أعـظم ما فى حيـاتهم من الرسالـة والدعوة ، فضـلا عن اتهامـهم بأفظع التهم، وأقبح الأعمال التى تتعارض مع العصمة والخلق الكريم .

***

---

(١) سفر صموئيل الثانى ، إصحاح ٢٢ (٢١،٢٤) .

« النبي محمد ﷺ فى التوراة »

لقد جاء ذكر النبى محمد ﷺ فى التـوراة ، أكثر من مرة فى أكثر من موضع - على الرغم مما أصابهـا من تحريف - كما أشار إلى ذلك القـرآن الكريم ، فى قوله تعـالى : ﴿الذين يتـبعـون الرسـول النبى الأمى الذى يجـدونه مكتـوبا عندهم فى التوراة والإنجـيل يأمرهم بالمعروف وينهـاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبـات ويحرم عليهـم الخبائث ويضع عنـهم إصرهم والأغلال التى كـانت عليهم فـالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [1] .

وكما قال تعالى :

﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفـونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقـا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ [3] .

وكذلك قال تعالى : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل ﴾ [4] .

وأشارت إليه السنة ، فى حديث عطاء بن يسار قـال : لقيت عبد الله بن عمرو ابن العاص ، فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة ؟ قال : أجل ، والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفاته فى القرآن : ﴿ ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً ﴾ [5] . وحرزا للأميين ، أنت عبـدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صـخاب بالأسواق ولا يجزى بالسـيئة السـيئة، ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء،

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٧ (٢) سورة البقرة : ١٤٦ ، ١٤٧
(٣) سورةالأحقاف : ١٠ (٤) سورة الشعراء : ١٩٧
(٥) سورة الأحزاب : ٤٥

فافتح به أعينا عميا وآذانا صما ، وقلوبا غلفا : بأن يقولوا لا إله إلا الله » (١) .

وقال كعب . نحوه - وذكر صفة رسول الله ﷺ فى التوراة - ويريد بها التوراة التى هى أعم من المعينة : « أحمد عبدى المختار ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ويعفو ويغفر ، مولده بكاء وهجرته طابا ، وملكه بالشام وأمته الحمادون يحمدون الله على كل نجد ، ويسبحونه فى كل منزلة ، ويوضئون أطرافهم ، ويأتزرون على أنصافهم ، وهم رعاة الشمس ومؤذنهم فى جو السماء ، وصفهم فى القتال وصفهم فى الصلاة سواء، رهبان بالليل ، أسد بالنهار ولهم دوى كدوى النحل يصلون الصلاة حيثما أدركتهم ولو على كناسة » (٢).

وكذلك مما يشهد بوجود صفة النبى ﷺ فى التوراة ،ما أخرجه الإمام أحمد عن أبى صخر العقيلى قال : « حدثنى رجل من الأعراب ، فقال : جلبت جلوبة إلى المدينة فى حياة النبى ﷺ فلما فرغت من بيعى ،قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه ،قال : فتلقانى بين أبى بكر وعمر يمشيان ، فتبعتهم حتى إذا أتوا على رجل من اليهود وقد نشر التوراة يقرؤها يعزى بها نفسه عن ابن له فى الموت كأجمل الفتيان وأحسنهم ، فقال له رسول الله ﷺ : « أنشدك بالذى أنزل التوارة هل تجد فى كتابك هذا صفتى ومخرجى » فقال برأسه هكذا ، أى لا ، فقال ابنه : أى والذى أنزل التوارة إنا لنجد فى كتابنا صفتك ومخرجك ، وإنى أشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، فقال الرسول ﷺ : « أقيموا اليهودى عن أخيكم » ، ثم تولى كفنه والصلاة عليه » (٣) .

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب البيوع ، باب كراهة الصخب فى الأسواق ، جـ ٢ ص ١٤ .

(٢) هداية الحيارى فى أجوبة اليهودى والنصارى للعلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر ابن قيم الجوزية ص ١٦٧ تحقيق الدكتور حجازى السقا ، ط المكتبة القيمة « الثانية » (١٣٩٩ هـ) .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٥١ ط مكتبة التراث الإسلامى - سوريا - حلب . علم ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م، والحديث جيد قوى له شاهد فى الصحيح ، رواه أحمد ٥ / ٤١١ .

وكذلك ، موقف عبد الله بن سلام من اليهود ، وقد أوقفهم بين يدى رسول الله ﷺ وذكرهم بما جاء عن رسول الله ﷺ من ذكره ونعته وخبره فى كتبهم، وأنهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ ، وقد شهدوا « لابن سلام » بأنه أعلمهم وابن أعلمهم وخيرهم وابن خيرهم ، ولكن لم يضرهم قولهم بعد ذلك أنه شرهم وابن شرهم وجاهلهم .. إلخ[1] ، ومجابهة الأنصار لهم وقد كانوا يستفتحون عليهم بهذا النبى الذى يجدونه عندهم ، وقد أهل زمانه ، وأنهم سيقاتلون معه الأوس والخزرج قتل إرم وعاد ، فسبقهم الأنصار إليه ،وقد كفروا هم به[2] .. إلخ.

ومما جاء فى التوراة عن صفة النبى ﷺ - وقد بقى إلى يومنا هذا ، ما يأتى :

(١) « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله ابن إسرائيل قبل موته ، فقال: جاء الرب من سيناء ، وأشرق من سعير « ساعير - سيعير » وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم .. »[3] وهذه شهادة صريحة من التوراة وواضحة بنبوة محمد ﷺ ورسالته ،إذ معنى هذا النص: جاء الرب : المراد به ظهور ملاك الرب على نبيه وتلقينه كلام الله . وأشرق : المراد تجلية الشريعة وتوضيحها وتلألأ : المراد قمة البيان والهيمنة ، وأتى من ربوات القدس : أى أتى عليه الدهر ، أهلكه وهى إشارة إلى انتقال القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة ، ومن هيكل سليمان إلى الكعبة المشرفة ، وقد أكد المسيح من قبل - على خراب أورشليم وزوال النبوة والكتاب والملك من بنى إسرائيل[4] .

وبعد معرفة معانى الألفاظ ، يكون معنى النص « إن الله تعالى ناجى موسى ،

---

(١) راجع النص بتمامه فيما ذكر .

(٢) سيذكر بنصه فيما بعد .

(٣) سفر التثنية ، إصحاح ٣٣ (١ ، ٢) .

(٤) محاضرات فى مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ص ٤٧ ، ٤٨ بتصرف ، ط دار المنار « أولى »

وأوحى إليه بسيناء ، وأرسل عيسى ، وأوحى إليه بسعير - وهى من أرض الجبل المقدس - وبعث محمدا ﷺ رسولا معلنا كلمة « لا إله إلا الله » مستعلنا بها من مكة الواقعة بين جبال فاران ، كجبل أبى قبيس وحراء وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها [١] .

وفى بعض الترجمات « واستعلن من جبال فاران ، ومعه ألوف الأطهار » [٢] وهل غير محمد ﷺ أرسل فى مكة ، ثم دخلها ومعه عشرة آلاف مؤمن ، بشريعة متميزة سمحاء [٣] .

والقرآن الكريم قد أشار إلى هذه الأماكن الثلاثة فى قوله جل شأنه ﴿ والتين والزيتون . وطور سينين وهذا البلد الأمين .. ﴾ [٤] ففى وادى التين والزيتون ظهرت نبوة المسيح وفى طور سيناء ظهرت نبوة موسى ، وفى البلد الأمين ، ظهرت نبوة محمد ﷺ، وهذه الأماكن كانت تسمى قديما « سعير - سيناء - فاران » [٥] فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة . « وقد شبه سبحانه - نبوة موسى بمجىء الصباح ، ونبوة المسيح بعدها باشراقه وضيائه ، ونبوة خاتم الأنبياء بعدها باستعلاء الشمس وظهور ضوئها فى الآفاق، ووقع الأمر كما أخبر به سواء ، فإن الله سبحانه صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح، وكمل الضياء واستعلت ،وطبق الأرض بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم» [٦] .

ويقول الإمام الشهرستانى : « ولما كانت الأسرار الإلهية والأنوار الربانية فى

---

(١) عقيدة المؤمن ، لأبى بكر الجزائرى ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ط مكتبة الكليات الأزهرية .
(٢) إظهار الحق ص ٥١٧ (٣) هداية الحيارى ص ١٤٠ بتصرف .
(٤) سورة التين : ١ - ٣
(٥) محمد الرسول فى التوراة والإنجيل ، مصطفى درويش ص ٥٨ بتصرف ط دار الثقافة العربية للطباعة «الثانية » .
(٦) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ص ١١٣ .

الوحى والتنزيل والمناجاة والتأويل ، على مراتب ثلاث : مبدأ ووسط وكمال ، والمجيء أشبه بالمبدأ ، والظهور والإشراق أشبه بالوسط ، والإعلان أو التلألؤ أشبه بالكمال ، عبرت التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجيء من طور سيناء ، وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير ، وعن البلوغ إلى درجة الكمال بالاستواء والإعلان على فاران «وفى هذه الكلمات إثبات نبوة المسيح عليه السلام والمصطفى ﷺ »[(1)] .

ومما يدل على أن جبال فاران هى جبال مكة ، حتى لا يكون مجال لتحريفها عند اليهود وهو ما جاء فى التوراة « وأقام إسماعيل فى برية فاران ، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر»[(2)] .

وقد جاءت هذه البشارة مرة أخرى ، في كلام حبقوق ، فيما قبلوه ورضوا ترجمته «الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران ، سلاه ،[(3)] جلاله غطى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه . . » ، وكان لمعان كالنور ، له من يده شعاع ، وهناك استتار قدرته . . »[(4)] .

ونظير ما نقلوه ورضوا ترجمته فى نبوة حبقوق « وجاء الله من التيمن ، وظهر القدس على جبال فاران ، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد ، وملك بيمينه رقاب الأمم وأنارت الأرض لنوره ، وحملت فيله فى البحر . .»[(5)] .

ومعنى « تيمان أو التيمن » الفلاة الواسعة ، موضع قريب من بادية الحجاز ،

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى جـ ٢ ص ١٨ ط مؤسسة الحلبى .

(٢) سفر التكوين ، إصحاح ٢١ (٢١) .

(٣) سلاه : تعبير موسيقى ، ورد احدى وسبعين مرة فى تسعة وثلاثين مزمورا ، كما ورد ثلاث مرات فى سفر حبقوق ويظن البعض أن الكلمة تعنى تقوية اللحن وتوقيعه بشدة ، انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٤٧٩ بتصرف .

(٤) سفر حبقوق ، إصحاح ٣ (٢ - ٤) .

(٥) هداية الحيارى ص ١٤١ .

والقدوس هو الملك ، أو هو النبى محمد ﷺ ، سلاه : طابت نفسه .

جلاله غطى السموات : المراد به نداء الصلاة [١] ، ولم يخرج أحد من جبال فاران التى امتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته سوى محمد ﷺ .

(٢) ولقد ورد - كذلك - في التوراة ، ما يشير إلى نبوة النبى محمد ﷺ، بل يصرح بذلك ، فتقول : « قال لى الرب أحسنوا فيما تكلموا ، أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه ، وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى ، وإن قلت فى قلبك كيف تعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصير فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه »[٢].

وهذه البشارة التى جاءت فى التوراة تنطبق على النبى محمد ﷺ من عدة وجوه :

أولا : « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم » دليل على أنه ليس من بنى إسرائيل، وإلا لقال من بينهم ، أو من أنفسهم « ولفظ الأخوة مقصود به أبناء إسماعيل ، لأنه جاء لفظ الأخوة بهذا الاستعمال الحقيقى فى وعد الله « هاجر » فى حق إسماعيل « وأمام جميع إخوته يسكن » [٣] كما جاء ذلك فى الإنجيل أيضا « فإن موسى قال للآباء : إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم - يقصد أبناء إسماعيل - له تسمعون.. »[٤] .

ومحمد ﷺ كان من إخوة بنى إسرائيل ، لأن نسبه يرجع إلى إسماعيل بن

(١) محاضرات فى مقارنة الأديان ص ٥٠ ، ٥١ بتصرف .
(٢) سفر التثنية ، إصحاح ١٨ (١٧ - ٢٢) .
(٣) سفر التكوين ، إصحاح ١٦ (١٢)
(٤) أعمال الرسل ، إصحاح ٣ (٢٢) .

إبراهيم » عليهم السلام .

ثانيا : « مثلك » أى مثل موسى ، وهل كان عيسى مثل موسى ؟ لا والنصارى ينكرون تلك المثلية لزعمهم ببنوة عيسى أو ألوهيته ، ولا يمكن أن يكون مثله يوحنا أو اشعياء ، أو حبقوق وأمثالهم » [١] .

وإنما مثله « محمد ﷺ » فموسى صاحب كتاب وشريعة ، ومحمد ﷺ كذلك ، ومثله كونه عبد الله ورسوله ، وكونه ذا والدين ، وكونه ذا نكاح وأولاد ، وكونه مأمورًا بالجهاد ، وكون شريعته مشتملة على السياسات المدنية ، والعبادات البدنية والرياضات الجسمية ، والحدود والتعزيرات والقصاص ، وكونه قادرا على تنفيذها ، وتحريم الربا ، واشتراط الطهارة .. والدعوة إلى التوحيد الخالص ، وأمر الأمة بأن يقولوا له عبد الله ورسوله ، لا ابن الله أو الله - والعياذ بالله ، والموت على الفراش ، وكونه مدفونا كموسى ، وعدم كونه ملعونا لأجل أمته وأمور أخرى تظهر لمن تأمل فى شريعتها [٢] .

وهذا النص يصف النبى المبشر به بأنه مثل موسى ، وقد نصت التوراة على أنه لم يقم نبى فى بنى إسرائيل كموسى عليه السلام ، فقالت « ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب .. » [٣] .

كما أن اليهود كانوا ينتظرون نبيا فى عهد « عيسى عليه السلام » فيكون فى ذلك دليل على أن التوراة كانت تبشر بنبى آخر بعد عيسى ، وليس غير محمد ﷺ فإنه الذى بعث بعده .

---

(١) ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ ص ١٩ - ٢٢ بتصرف ، احمد ديدات ترجمة وتحقيق / إبراهيم خليل ، ط دار المنار .

(٢) تفسير المنار للأستاذ / محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ٢١٨ ، ٢١٩ بتصرف ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٢ م .

(٣) سفر التثنية ، إصحاح ٣٤ (١٠) .

ثالثا : « واجعل كلامى فى فمه » وهو إشارة إلى أن ذلك النبى ينزل عليه الكتاب وحيا ، لأنه يكون أميا لا يباشر الكتابة ، بل حافظا للكلام ، وهذا ينطبق على النبى محمد ﷺ فإنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وهذا ما وصف به القرآن محمدًا ﷺ ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون** ﴾ (٢) .

ولذا كان جبريل عليه السلام يجعل كلام الله فى فم نبيه محمد ﷺ وحيا فنزل به جبريل على قلب الرسول ليكون من المرسلين .

رابعا : فيكلمهم بجميع ما أوصيه به « وقد تكلم النبي ﷺ بكل ما أوحى إليه وبلغ كل ما أمر به ، ممتثلا لقول الله تعالى : ﴿ **ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ..** ﴾ (٣) .

خامسا : وأى إنسان لم يطع « يسمع » كلامى الذى يتكلم به باسمى .. » وكلام الله الذى تكلم به النبى محمد ﷺ هو القرآن الكريم « تنزيل رب العالمين » واسم الله فيه الذى يفتح به هو « بسم الله الرحمن الرحيم » عند قراءة كل سورة من سوره عدا سورة التوبة ، لحكمتها - والقرآن مسطور به هذا الاسم ، وهو دأب المسلم فى كل شىء باسم الله ، وليس باسم الآب والابن والروح القدس ، فالنبوة تنطبق حرفيا على محمد ﷺ ،محمد رسول الله » (٤) .

سادساً : « فإنى أحاسبه عليه « أو » أطالبه ، وفى النسخة الكاثوليكية «سأكون

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ (٢) سورة العنكبوت : ٤٨ .

(٣) سورة المائدة : ٦٧

(٤) ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ ص ٤٢ ، ٤٣ بتصرف .

(٥) ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ ص ٤٢ بتصرف

المنتقم»[٥] وهو توعد من الله عز وجل لكل من لا يسمع كلام هذا النبى ولا يطيع أمره أو يخالف حكمه ، كما قال تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ [١] وقوله جل شأنه ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ [٢] وقوله ﷺ: « فوالذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة ، يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى إلا كان من أهل النار » [٣].

سابعا : « وأى نبى تجبر فقال باسمى قولا لم آمره أن يقوله أو تنبأ باسم آلهة أخرى فليقتل ذلك النبى » فالبشرى صرحت بأن النبى الموعود الذى ينسب إلى الله مالم يأمره يقتل ، فلو لم يكن محمد ﷺ نبيا حقا وصدقا لكان قتل . وقد جاء فى القرآن فى شأن محمد ﷺ ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾ [٤] .

والقرآن أثبت صدق نبوته كذلك - وأعلن على رؤوس الأشهاد بأن الله سيحفظه ويرعاه بقوله ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ [٥] . وقد تحقق هذا الوعد وحفظه الله ولم يقدر أحد على مسه بأذى على الرغم من المحاولات العديدة التى حاول بها الخصوم الغدر به .

ثامنا : « فإن تكلم باسم الرب ولم يتم كلامه ولم يقع فذلك الكلام لم يتكلم به الرب . . » وهذا النص يبين أن علامة النبى الكاذب هى : إخباره عن الغيب المستقبل بما لا يتحقق ، ومحمد ﷺ أخبر عن كثير من الأمور الغيبية التى تحققت جميعها ، ما تخلف عنها شىء مادام قد جاء وقتها ، فدل على أنه صادق [٦] .

---

(١) سورة النور : ٦٣ (٢) سورة النساء : ٦٥

(٣) أخرجة مسلم ، كتاب الإيمان ،باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ جـ ١ ص ٧٥ .

(٤) سورة الحاقة : ٤٤ - ٤٦ (٥) سورة المائدة :٦٧

(٦) اليهود فى القرآن الكريم / عفيف عبد الفتاح طباره ص ٦٧ ، ٦٨ بتصرف ط دار العلم .

وهذه الأدلة مجتمعة هى أقوى الأدلة على صدق نبوة محمد ﷺ من خلال التوراة .

(٣) وتقول التوراة - أيضا - « غنوا لله ورنموا لاسمه ، أعدوا طريقا للراكب فى القفار باسمه ياه واهتفوا أمامه ، أبو اليتامى ، وقاضى الأرامل ، الله فى مسكن قدسه، الله مسكن المتوحدين فى بيت مخرج الأسرى إلى فلاح ، إنما المتمردون يسكنون الرمضاء »[1] وفيه الإشارة إلى نبوة محمد ﷺ من وجوه ، منها :

أولا : قوله « أعدوا طريقا للراكب فى القفار » هو النبى محمد ﷺ ، وإن كان هذا النص قد أصابه التحريف ، أثناء الترجمة ، فقد ترجم أيضا « مهدوا للراكب فى البرارى » وكذلك « مهدوا للراكب على الغمام » ولكن الترجمة الصحيحة له « اخضعوا للراكب فى عرفات » وعرفات هى السماء السابعة عند اليهود ، ولذا جاء فى التلمود ، أسماء السموات السبع « فيلون - رقيع - شيحاقيم - زيول - ماعون - ماكرن - عرفات « ومعناها » « عرا » أى الصعود والعروج ، و « فات » أو « بات » السماء .

وعلى هذا المعنى يكون النص ، آمنوا بالنبى الذى عرج به إلى السماء السابعة ، فهو ذكر لمعجزة من أهم معجزات النبى ﷺ ، وأعظم دليل على صدق رسالته ، أو قل هى « عرفات » مكان جمع الحجاج المؤمنين لكل عام .

ثانيا : صفات الراكب فى عرفات « أبو اليتامى ، وقاضى الأرامل » وهى من صفات النبى ﷺ فهو ﷺ أبو اليتامى ، وليس غيره من يمكن أن ينطبق عليه هذا الوصف فهو الذى أرسله الله بكتاب من عنده ، فيه الرحمة باليتيم ، واقرأوا فيه إن شئتم - الوصية باليتيم - فى سورة البقرة ، والنساء ، والأنعام ، والإسراء ، والأنفال ، والحشر ، والإنسان ، والفجر ، والبلد ، والضحى ، والماعون . . »

(١) سفر مزامير داود ، المزمور ٦٨ لإمام المغنين لداود مزمور تسبيحه (٤ - ٦)

وهو محمد ﷺ قاضى الأرامل ، جاء بكتاب من عند الله العزيز الحميد يرفع به الغبن والظلم والأذى الواقع على الأرامل ، كما كانت تفعل المجتمعات الوثنية معهم ، حتى كانت كالمتاع يباع أو يشترى أو يورث ،وتقتل نفسها بعد زوجها ، أو لا تزوج بل وظلمها عند أهل الكتاب كذلك وغيرهم حتى أنقذهن الله فى شريعة النبى محمد ﷺ» (١) .

(٤) ومن البشارات الواردة فى التوراة بأسلوب واضح لكل ذى عينين ، وصريح لمن يتدبر ، ما جاء فيها : « هو ذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى ، ووضعت روحى عليه ، فيخرج الحق للأمم ، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته ، قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيله خامدة لا يطفىء ، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته . . أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك ، وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم ، لتفتح عيون العمى ، لتخرج من الحبس المأسورين ، من بيت السجن الجالسين فى الظلمة . . لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التى سكنها قيدار ، لتترنم سكان سالع، من رؤوس الجبال ليهتفوا .

ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر ، الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ، ينهض غيرته ، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه . . يخزى خزيا المتكلمون على المنحوتات ، القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا . . الرب قد سر من أجل بره ،يعظم الشريعة ويكرمها ، ولكنه شعب منهوب ومسلوب ، قد اصطيد فى الحفر كله ، وفى بيوت الحبوس اختبأوا وصاروا نهبا ، ولا منقذ ، وسلما وليس من يقول رد ، من منكم يسمع هذا يصغى ويسمع لما بعد . . » (٢) .

(١) راجع بتوسع البشارة بمحمد فى التوراة ، النص الذى اختفى ألفى عام ، عصام راشد الصوفى ط مطابع سجل العرب « الثانية » .

(٢) سفر إشعياء ، إصحاح ٤٢ (١ - ٢٣) بتصرف .

وهذا النص معناه : أن هذا النبى المبشر به . . هو عبد الله ورسوله الذى اختاره الله وأنزل عليه الروح القدس « جبريل عليه السلام » - سفير الوحى ، وتكون رسالته الحقة لكل الأمم ، وجميع العالم ، وهذا النبى ﷺ على خلق عظيم ، فهو هين لين ، ليس بالصخاب ولا الغليظ أو الفظ ، ثم هو مع ذلك نبى الملاحم ورسول محارب ، لا يضعف ولا يغلب ، وهو نور الله الذى لا يطفىء ، يحيى القلوب الغلف ، ويثبت الحجة ويقطع به المعذرة ، به يسود الدين وتكتمل الشريعة التى جاء بها فى عهده ، لا من بعده ، ويعصمه الله من الناس فلا يتمكن منه أعداؤه ، يقود الناس إلى الحق ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن مكانهم الذى هم فيه إلى العالم مستنيرين أقوياء . . . وهذا النبى يسكن الصحراء التى سكنها قيدار بن إسماعيل ، الابن الثانى لإسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - ولذلك فلتفرح تلك البلاد ، ولترفع صوتها ، كما يتغنى سكان «سالع» أصحاب « ثنيات الوداع » - جبل بالمدينة - ومن رؤوس الجبال يهتفون بالتسبيح والتكبير والتلبية ، وتمجيد الله « عز وجل » وكذلك فى الجزر والصحراء، ومع هذا ، فهم أصحاب حروب وجهاد يقودهم هذا النبى « رجل الحرب » وقد وعده الله بالنصر ، وقذف الرعب فى قلوب أعدائه قبل الوصول إليهم ،وهو معنى « نصرت بالرعب مسيرة شهر » وأعداؤه المنهزمون عبدة أوثان منحوته ، وأصحاب أصنام مسبوكة يزعمون ألوهيتها ، وقد جاءهم نبى البر بالشريعة السمحاء ، فعظمها وكرمها ، وقد أحبه ربه وسر به وفضله ، هذا وقد أرسل فى شعب ضعيف متخلف ، طعمة لكل آكل ، ونهبة لكل سالب ، يتخطفون من الأرض ولا ينقذون أنفسهم ، ولا يستطيعون رد الاعتداء عليهم ، بل حبسوا أنفسهم واختبأوا ، حتى مَنَّ الله عز وجل عليهم بهذا النبى العظيم، صلوات الله وسلامه عليه [1]

(١) أخذ شرح النص ومعناه من / هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ص ١٥٣ - ١٦٠ بتصرف ، ومن / محاضرات فى مقارنة الأديان ص ٥٤ ، ٥٥ بتصرف ، ومن / حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر ص ١٣ ، ١٤ بتصرف للأستاذ / أحمد عبد الوهاب ، ط وهبه ، الأولى، ١٤٠١ هـ ١٩٨١م.

فهل بعد هذا من وضوح فى البشارة ؟ « من له أذنان للسمع فليسمع » .

(٥) وفى سفر أشعياء - أيضا - « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد ، أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل قال الرب» [١] وهو يتنبأ - هنا - عن مكة المكرمة التى أنجبت سيد الخلق ﷺ ، بينما أنجبت أرض بيت المقدس الأنبياء من بنى إسرائيل ، ولهذا رمز إلى مكة بالمرأة العاقر ، بينما رمز إلى بيت المقدس بالمرأة الولود [٢] .

كما قال عنها كذلك : « قومى استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك، لأنه هاهى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم ، أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يسرى فتسير الأمم في نورك والملوك فى ضياء إشراقك ، ارفعى عينيك حواليك وانظرى قد اجتمعوا كلهم ، جاءوا إليك يأتى بنوك من بعيد، تحمل بناتك على الأيدى ، حيتئذ تنظرين وتنيرين يخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ، ويأتى إليك غنى الأمم ، تعطيك كثيرة الجمال بكران مدان وعيفة كلها تأتى من شبا تحمل ذهبا [٣] ولبانا وتبشر بتسابيح الرب كل غنم قيدار تجتمع إليك كباش نبايوت تخدمك ، تصعد إليك مقبولة على مذبحى ، وأزين بيت جمالى » [٤] .

فهذه نبوءة عن الكعبة المشرفة بأنها منارة الهدى تتوهج بنور التوحيد فتبدد

---

(١) سفر إشعياء ، إصحاح ٥٤ (١)

(٢) محاضرات فى مقارنة الأديان ص ٥٥ بتصرف .

(٣) عيفة اسم عبرى ، معناه : ظلمة ، وهو ابن مديان بن إبراهيم ، ونسله من بعده ، حتى اختلط الاسم بين الرجل والقبيلة ، فاشتهرت القبيلة بالتجارة بالجمال ،وكانت تسكن المناطق الشمالية من شبه الجزيرة العربية القاموس ص ٦٥٠ .

(٤) سفر شعياء ، إصحاح ٦٠ (١ - ٧) .

(٥) محاضرات فى مقارنة الأديان ص ٥٨ ، ٥٩ بتصرف

الظلام الذى خيم على الأرض ، ظلام الجهل والشرك - ويظهر - بدلا منه - النور الذى تمشى فيه الأمم ومعها الملوك ، ثم يتحدث عن شعائر الحج بتفاصيلها ، وعن الهدى الذى يقدم فى منى بعد الوقوف بعرفات[٥] مما يتفق مع ما جاء فى القرآن الكريم ، فقوله : «ارفعى عينيك حواليك وانظرى قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك يأتى بنوك من بعيد » يتفق مع قول الله تعالى : ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾[١] وقوله : « يخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ، ويأتى إليك غنى الأمم يعضده قول الله عز وجل ﴿ أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ [٣] .

وكثرة الجمال والغنم والكباش يؤيده قول الله تعالى : ﴿ .. ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ [٤].

كما قال : ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ﴾ [٥] ، وقيدار ، ونبايوت، ومدان ، وعيفة من أولاد « إسماعيل عليه السلام » ، تصعد إلى المذبح بمعنى نحرها يوم منى ، وهذا يدل على أن ذرية قيدار صارت مرموقة عند الله سبحانه وتعالى [٦] .

(٦) وفي سفر أشعياء ،كذلك « وحى من جهة بلاد العرب ، فى الوعر فى

---

(١) سورة الحج : ٢٧ (٢) سورة القصص : ٥٧
(٣) سورة إبراهيم : ٣٧ (٤) سورة الحج :٣٨
(٥) سورة الحج : ٣٧
(٦) كتاب « محمد فى التوراة والانجيل والقرآن ، إبراهيم خليل أحمد ص ٧٠ ، ٧١ بتصرف ط دار المنار / ١٩٨٩ م . و محاضرات فى مقارنة الأديان ص ٥٩ - ٦١ بتصرف .

بلاد العرب تبيتين ياقوافل الردانيين ، هاتوا ماء لملاقاة العطشان ياسكان أرض تيماء وأفوا الهارب بخبزه ، فإنهم من أمـام السيوف قد هربوا ، من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشـدودة ومن أمام شدة الحرب ، فإنه هكذا قـال لى السيد فى مدة سنة كسنة الأجير يغنى كل مجد قيدار » [١] وهذا إخبار عما حل بعبدة الأوثان من رسـول الله ﷺ وأصحـابه يوم بدر ، ويوم حنين وغيـرهما ، وفـيه أيـضا « أصغيت إلى الذين لم يسألوا ، وجـدت من الذين لم يطلبونى ،قلت ها أنذا لأمة لم تسم باسمى ، بسطت يـدى طول النهار إلى شعب متـمرد سائر فى طريق غـير صالح وراء أفكاره . . » [٢] .

« فالمراد بالذين لم يسـألوا ، والذين لم يطلبونى هم العرب ، لأنهم كـانوا غير واقفين على ذات الله وصفاته وشرائعـه ، فما كانوا سائلين عن الله وطالبين له ، كما قال الله تعالى : ﴿ **لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتـاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ [٣] .

ولا يجـوز أن يراد بهم اليونانـيون ، كـما زعـمه القـديس بولس فى الرسـالة الرومية [٤].

(٧) وفى سفر مـزامير داود الكثيـر من البشارات بالنبوة الخـاتمة ، واذكر على سبيل المثال منها : « فاض قلبى بكلام صالح ، متكلم أنا بإنشائى للملك ، لسانى قلم كاتب ماهر ، أنت أبرع جمالا من بنى البشر ، انسكبت النعمة على شفتيك ، لذلك باركك الله إلى الأبد ، تقلد سيفك على فخـذك أيها الجبار جلالك وبهاؤك وبجـلالك اقتـحم ، اركب من أجل الحق والدعة والبـر فنريك يمينك مـخاوف ،

---

(١) سفر إشعياء ، إصحاح ٢١ (١٣ - ١٦) .
(٢) سفر اشعياء ، إصحاح ٦٥ (١ ، ٢) .
(٣) سورة آل عمران : ١٦٤ .
(٤) اظهار الحق ص ٥١٦ ، ص ٥٢٩ بتصرف.

نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك ، شعوب تحتك يسقطون ، كرسيك ياالله إلى دهر الدهور ، قضيب استقامة قضيب ملكك ، أحببت البر وأبغضت الإثم ، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك ،كل ثيابك مر وعود وسليخة من قصور العاج سرتك الأوتار . . » (١) .

« من الأمور المسلم بها عند أهل الكتاب أن داود - عليه السلام - يبشر فى هذا الزبور بنبى يظهر من بعد زمانه ، ولم يظهر إلى هذا الحين عند اليهود نبى يكون موصوفا بالصفات المذكورة فى هذا الزبور ، ويدعى علماء البروتستانت أن هذا النبى هو عيسى عليه السلام - ويدعى أهل الإسلام - سلفا وخلفا - أن هذا النبى هو محمد ﷺ.

فأقول : إنه ذكر فى هذا الزبور من صفات النبى المبشر به هذه الصفات :

١ - كونه حسنا

٢ - كونه أفضل البشر

٣ - كون النعمة منسكبة على شفتيه

٤ - كونه مباركا إلى الدهر

٥ - كونه متقلدا بالسيف

٦ - كونه قويا

٧ - كونه ذا حق ودعة وصدق .

٨ - وكونه هداية يمينه بالعجب

٩ - كون نبله مسنونه

١٠ - سقوط الشعوب تحته

١١ - كونه محبا للبر مبغضا للإثم

١٢ - خدمة بنات الملوك إياه

١٣ - مجىء الهدايا إليه .

١٤ - إنقياد كل أغنياء الشعوب له .

١٥ - كون أبنائه رؤساء الأرض بدل آبائهم .

١٦ - كون اسمه مذكورا جيلا بعد جيل

---

(١) سفر المزامير ، إصحاح ٤٥ (١ - ٨) .

(٢) راجع تفصيل القول فى كتاب « إظهار الحق » ص ٥٢١ - ٥٢٥

١٧ - مدح الشعوب إياه إلى دهر الداهرين .

وهذه الأوصاف كلها توجد فى محمد ﷺ على أكمل وجه[٢] وكذلك «هللويا غنوا للرب ، ترنيمة جديدة تسبيحه فى جماعة الأتقياء .. ليرنموا على مضاجعهم، تنويهات الله فى أفواههم ، وسيف ذو حدين فى يدهم ، ليصنعوا نقمة فى الأمم وتأديبات فى الشعوب ، لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد ، ليجروا بهم الحكم المكتوب ،كرامة هذا لجميع اتقيائه ، هللويا » [١] .

وهذه الصفات إنما تنطبق على محمد وأمته ، فهم الذين يكبرون الله بأصواتهم المرتفعة فى آذانهم للصلوات الخمس ، وعلى الأماكن العالية ، وفى الأعياد ، وهم الذين يسبحون الله على مضاجعهم ﴿ **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم**﴾[٢] « تعظيم الله فى أفواههم ، وسيوفهم ذات شفرتين - معروف عند العرب - وقد انتقم الله بهم من الأمم التى لا تعبده ، فأدبوا شعوبهم، وأوثقوا ملوكهم بالقيود، وأشرافهم بالأغلال ، وأقاموا فيهم الأحكام ، وأكرم الله عباده المتقين ، وكل هذا حدث لأصحاب النبى ﷺ » [٣] .

وكذلك قالت التوراة :« فوجدها - أى هاجر - ملاك الرب .. فقال : ياهاجر .. من أين أتيت وإلى أين تذهبين ، وقال لها الرب ارجعى إلى مولاتك .. تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة .. ها أنك حبلى فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه إسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وإنه يكون إنسانا وحشيا ، يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع إخوته يسكن .. فولدت هاجر لأبرام ابنا ، ودعاه إسماعيل » [٤].

---

(١) المزمور (١٤٩) بتصرف

(٢) سورة آل عمران : ١٩١

(٣) هداية الحيارى ص ١٤٣ ، ١٤٤ بتصرف .

(٤) سفر التكوين ، إصحاح ١٦ (٧ - ١٦) بتصرف .

(٥) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ص ١١٤ .

وهذه بشارة تضمنت أن يد ابنها على يد كل الخلائق ، وأن كلمته العليا ، وأن أيدى الخلق تحت يده ، فمن هذا الذى ينطبق عليه هذا الوصف سوى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ؟ (٥) .

وكذلك فى السفر الأول من التوراة - أن الله قال لإبراهيم : « وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك » (١)، وهذه بشارة بمن جعل من ولده الأمة العظيمة، وليس سوى محمد بن عبد الله ، الذى هو من صميم ولده ، فإنه جعل الأمة عظيمة - كما قالت :« وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً ، اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » (٢) ولم يأت من صلب إسماعيل من بورك وعظم وانطبقت عليه هذه العلامات غير رسول الله ﷺ، فأمته ملأوا الآفاق وأربوا فى الكثرة على نسل إسحاق (٣) وفى أمته اثنا عشر إماما مهديا كلهم من قريش ،كما جاء ذلك فى الحديث عن النبى محمد ﷺ « لن تقوم الساعة حتى يكون فى أمتى اثنا عشر إماما ، كلهم من قريش » البخارى . وقالت أيضا « وقال الرب لأبرام : اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك ، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة ، وأبارك مباركيك ، ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (٤) «فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »(٥) .

أوليس إسماعيل من نسل إبراهيم ؟ بل هو الابن الأكبر الوحيد « الذبيح » حتى جاء من بعده « إسحاق » فهذه البركة فيه ، وهذا الإرث له ، وإن كان لإخوته معه فقد حرموه بسبب نقضهم للعهد ، ومخالفتهم للميثاق ، وأعطى هذا الإرث وتلك البركة لأمة تعمل بأثماره ، وهى أمة النبى محمد ﷺ .

(١) سفر التكوين ، إصحاح ٢١ (١٣)
(٢) سفر التكوين ، إصحاح ١٧ (٢٠)
(٣) هداية الحيارى ص ١١٥ بتصرف
(٤) سفر التكوين ، إصحاح ١٢ (١ - ٣)
(٥) سفر التكوين ،إصحاح ١٥ (١٨)

وفى سفر دانيـال ذكرت التوراة بشارة أخـرى ، فقالت فى تفسـير دانيال لرؤيا الملك «نبوخـذ نصر » أنت أيها المـلك كنت تنظر وإذا بتمثـال عظيم . . كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغـير يدين فضرب التمـثال على قدميـه اللتين من حديد وخزف فسحقهما ، فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا وصارت كعاصفة البيدر فى الصيـف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان . . وفى أيام هؤلاء الملوك يقـيم إله السـمـوات مملكة لن تنقـرض أبدا وملكهـا لا يترك لـشعب آخـر وتسحق وتفنى كل هذه المـمـالك وهى تثبت إلى الأبد . . » [١] ومعلوم أن هذا - الأخيـر - منطبق على النبى محـمد ﷺ ، لا على سواه فـهو الذى بعث بشـريعة قوية ودق جميع ملوك الأرض وأممها حـتى امتلأت الأرض من أمته وسلطانه دائم إلى آخر الدهر ، ولا يقدر أحد أن يزيله كما أزال سلطان اليهود من الأرض وأزال سلطان النصارى عـن خيار الأرض ووسطهـا ، فصار فى بعض أطرافـها ، وأزال سلطان المجوس وعباد الأصنام وسلطان الصابئين » [٢] .

هذا وهناك بشارات أخرى تركتـها خشية الإطالة واكتـفيت بذكر الأمثلة ، ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى كتـاب « إظهار الحق » ، « هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى » و « تفسير المنار - فى سورة الأعراف » و « محمد عليه الصلاة والسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن » وغيرهما . ومع هذا كله أنكر اليهود رسالة النبى محمد ﷺ تعـصبا للباطل ، وهضما للحق ،وظلمـا وعدوانا ! فهل بعد هذا

(١) سفر دانيال ، إصحاح ٢ بتصرف .
(٢) هداية الحيارى ص ١٦٥ ، ١٦٦ بتصرف .

(جـ) صور من تحريف التوراة :

قالت فى قصة الطوفان : « فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك »[1] وقد حكم القرآن بكفر امرأة نوح ، وهلاك ولد من أولاد نوح ، ولم تذكر ذلك التوراة بل خالفته ، قال تعالى : ﴿ **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين** ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ **ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين** ﴾[3] وتقول التوراة عن الملائكة الذين زاروا إبراهيم ، وذهبوا إلى لوط عليهما السلام أنهم أكلوا وشربوا ، فقالت فى قصة إبراهيم - بعد إعداده الطعام لهم - : « وإذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا »[4] . وفى قصة لوط : « ودخلا بيته فصنع لهما ضيافة وخبز فطير فأكلا »[5] .

ومعلوم أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ، متنزهون عن الأعراض البشرية ، كما جاء فى الإسلام وفى قصة لوط أيضا قولهم له : « قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة »[6] .

وقد ذكر القرآن الكريم هلاك امرأته صراحة يقول تعالى : ﴿ **إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين** ﴾[7] .

وفى قصة يوسف ذكرت أنه حكى الرؤيا لإخوته قبل أبيه فى أكثر من مرة[8] وهذا ليس بصحيح ، كما عرض له القرآن الكريم ، وأنه كتم رؤيته على إخوته كما أمره أبوه بذلك .

وتزعم التوراة أن مريم كانت نبية من الأنبياء ، وليس ذلك بصحيح ، فتقول :

---

(١) سفر التكوين ، إصحاح ٦ ، ٧ ، ٨ وفى الثامن بلفظ أخرج من الفلك بدلا من «فتدخل» .
(٢) سورة التحريم : ١٠
(٣) سورة هود : ٤٥ ، ٤٦ .
(٤) سفر التكوين ، إصحاح ١٨ (٨)
(٥) سفر التكوين ، إصحاح ١٩ (٣) .
(٦) سفر التكوين ، إصحاح ١٩ (١٥)
(٧) سورة العنكبوت : ٣٣
(٨) راجع سفر التكوين ، اصحاح ٣٧ (٥)

« فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها ، وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص ، وأجابتهم مريم ، رنمن للرب ، فإنه قد تعظم الفرس وراكبه طرحهما فى البحر »[(١)] !!

ومن صور تحريف التوراة أنها أثبتت رؤية الله عز وجل لبنى إسرائيل فى موضع فقالت : « ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعه من العقيق الأزرق»[(٢)] ثم نفته فى موضع آخر فقالت : « وقال لا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لا يرانى ويعيش »[(٣)] وإن كانت هذه الأخيرة تتفق مع القرآن .

ومن صور تحريف التوراة أيضا أنها تحلل الشىء وتحرمه فى نفس الوقت ، فهذا «الربا» مثلا تقول فيه : « إذا أقرضت فضة لشعبى الفقير الذى عندك فلا تكن له كالمرابى ، لا تضعوا عليه ربا »[(٤)] .

وفى نفس الوقت بين اليهودى وغيره فتقول : « لا تقرض أخاك بربا ، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء ما مما يقرض بربا ، للأجنبى تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يباركك الرب فى كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها »[(٥)] .

ومن التحريف ما ذكرته عن الابن الوحيد أنه إسحاق : « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال . . »[(٦)] وليس بصحيح ،إذ تحدثت التوراة على أن الابن الأكبر هو إسماعيل فكيف يكون إسحاق وحيدا وهو الأصغر ؟! وهناك أمثلة عديدة للتضارب فى الأحكام والأعداد والتشريعات فى التوراة الحالية ، تركناها خشية الاطالة ومن شاء المزيد فليقرأ التوراة بتفحص وإمعان ، وليراجع ما كتب فى هذا .[(٧)] .

وصدق الله العظيم إذ يقول عنهم فى قرآنه الكريم :

---

(١) سفر الخروج ، إصحاح ١٥ (٢٠ ، ٢١) .
(٢) سفر الخروج ، إصحاح ٢٤ (١٠) .
(٣) سفر الخروج ، إصحاح ٣٣ (٢٠) .
(٤) سفر الخروج ، إصحاح ٢٢ (٢٥) .
(٥) سفر التثنية إصحاح ٢٣ (١٩، ٢٠) .
(٦) سفر التكوين ، إصحاح ٢٢(١ ، ٢) .
(٧) مثل : اظهار الحق ، للشيخ رحمة الله الهندى ، نقد التوراة للشيخ أحمد حجازى السقا ، ودراسة الكتب المقدسة ، لموريس بوكاى .

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ (١) .

وقوله تعالى :

﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴾ (٢) .

(د) الغـزل فى التوراة :

ومما يدل على تحريف التوراة كـذلك ما اشتملت عليه بعض أسـفارها من غزل شهـوانى صريح ومن تعبيـر ماجن خليع .. يجعل العـاقل يستبـعد أن تكون هذه الأسفار منزلة من السماء .. وفى سفر « نشـيد الأنشاد » الذى لسليمان - مثلا - كثير من اللون الماجن من الغزل ، ومنه « ليقبلنى بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر ، لرائحة أدهانك الطيبة ، لذلك أحبتك العذارى ، اجذبنى وراءك فنجرى، أدخلنى الملك إلى حـجالة ، نبـتهج ونفرح بك ، نذكـر حبك أكـثر من الخـمر ، بالحق يحبـونك .. لقد شبهتك ياحـبيبى بفرس فى مـركبات فرعـون ، ما أجمل خديك بسموط وعنقك بقلائد ، نضع لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضة.. ها أنت جميل ياحبيبى ،عيناك حمامتان ، ها أنت جميل ياحبيبى وحلو ، وسريرنا أخضر جوائز بيتنا أرز ، وروافدنا سرور » (٣) .

« فإنى مـريضة حبـا ، شماله تحت رأسى ويمينه تـعانقنى .. لا تنبهن الحـبيب حتى يشاء » (٤) « فى الليل على فراشى طلبت من تحـبه نفسى فمـا وجدته ،إنى أقوم وأطوف فى المدينة ، فى الأسـواق ، وفى الشوارع أطلب من تحبـه نفسى ، طلبته فما وجدته ، وجدنى الحرس الطائف فى المدينة فقلت أرايتم من تحبه نفسى فمـا جاوزتهم إلا قليلا حتى وجـدت من تحبه نفـسى ، فأمسكته ولم أرخـه حتى

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٧٩ . (٢) سورة النساء ، آية : ٤٦ .

(٣) سفر نشيد الانشاد ، الإصحاح الأول (٢ - ١٧) بتصرف .

(٤) سفر نشيد الأنشاد ، الإصحاح الثانى (٥ - ٨) بتصرف .

أدخلته بيت أمى ، وحجرة من حبلت بى ، أحلفكن يابنات أورشليم بالظباء ، وبأيائل الحقل ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء ، اخرجن يا بنات صهيون وانظرن الملك سليمان بالتاج الذى توجته به أمه فى يوم عرسه وفى يوم فرح قلبه»[١] .

وكذلك « ها أنت جميلة ياحبيبتى ، ها أنت جميلة عيناك حمامتان من تحت نقابك ، شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعان ،أسنانك كقطيع الجزائر الصادرة من الغسل اللواتى كل واحدة متيم وليس فيهن عقيم ، شفتاك كسلكة من القرمز ، وفمك حلو ، خدك كفلقة رمانة تحت نقابك ، عنقك كبرج داود المبنى للأسلحة ، ألف مجن علق عليه أتراس الجبابرة ، ثدياك كخشفتى ظبية توأمين يرغبان بين السوسن ، إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال أذهب إلى جبل المرو إلى تل اللبان ، كلك جميل ياحبيبتى ليس فيك عيبة . . قد سبيت قلبى بإحدى عينيك ، بقلادة واحدة من عنقك ، ما أحسن حبك يا أختى العروس كم محبتك أطيب من الخمر ، وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب ، شفتاك ياعروس تقطران شهدا ، تحت لسانك عسل ولبن ورائحة ثيابك كرائحة لبنان . . »[٢] .

« وجدنى الحرس الطائف فى المدينة ، ضربونى ، جرحونى ، حفظة الأسوار رفعوا إزارى عنى »[٣] « ما أجمل رجليك بالنعلين يابنت الكريم ، دوائر فخذيك مثل الحلى صنعة يدى صناع ، سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج ، بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن ، ثدياك كخشفتين توأمى ظبية ، عنقك كبرج من عاج ، عيناك كالبرك فى حشبون عند باب بث ربيم ، أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق ، رأسك عليك مثل الكرمل ، وشعر رأسك كأرجوان ، ملك قد أسر بالخصل ، ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبية باللذات ، قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد ، قلت إنى أصعد إلى النخلة أمسك بعذوقها وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ، ورائحة أنفك كالتفاح ، وحنكك كأجود الخمر ، لحبيبتى السائغة المرقرقة

(١) سفر نشيد الأنشاد ، الإصحاح الثالث (١ - ١١) بتصرف .
(٢) سفر نشيد الأنشاد ،الإصحاح الرابع (١ - ١١) .
(٣) سفر نشيد الإنشاد ، إصحاح ٥ (٧) .

السائحة على شفاة النائين .. إلخ .. إلخ » (١) .

وقد تحدث صاحب « قصةالحضارة » عما يشيع فى الأسفار من عبارات مهيجة للشهوة فقال : « وفى هذه الكتابات الغرامية العجيبة مجال واسع للحدث والتخمين ، فقد تكون - مجموعة من الأغانى البابلية الأصل وقد تكون من وضع جماعة من شعراء الغزل العبرانيين ومهما يكن أصلها فإن وجودها فى التوراة سر خفى .. ولسنا ندرى كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما فى هذه الأغانى من عواطف شهوانية فأجازوا وضعها بين أقوال « أشعياء وأرمياء » (٢) .

والحق أنها بين سفر الجامعة ، وسفر أشعياء .

(هـ) التعصب فى التوارة :

كما ذكرت لنا التوراة ،نماذج من التسامح يمكن اعتباره ،فهى - تتناقض مع نفسها- وتذكر لنا نماذج من التعصب ،هدمت ما بنته ،وقوضت ما أقامته ،بصورة فاقت كل حد فى الوحشية والشراسة ،وتشعرك أنك أمام « تركيبة » بشرية مزعجة غاية الإزعاج، وفائقة القدرة على الالتواء والتحريف ،والافتراء الفاحش على كل شىء حتى الله عز وجل وملائكته ورسله ،بل الناس أجمعين!!

ولنأخذ هنا بعض الأمثله التى تغنى عن غيرها ،فقد زعمت التوراة أن إسرائيل سأل إلهه لما خلقت خلقا سوى شعبك المختار ؟ فقال له: « لتركبوا ظهورهم، وتمتصوا دماءهم وتحرقوا أخضرهم،وتلوثوا طاهرهم ،وتهدموا عامرهم » (٣) .

والوحى الإلهى - بداهة - يبرأ كل البراءة من هذه الأساطير ،ولكنها الطبيعة اليهودية الموحشة تتبدى وتتجدد فى هذه النصوص المزورة المفتراة !!

« وحرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة ،من طفل وشيخ ،حتى البقر

(١) سفر نشيد الإنشاد ، إصحاح ٧ (١ - ٩).

(٢) قصة الحضارة ، ول ديورانت جـ ٣ ص ٣٨٨ ترجمة د / زكى نجيب محمود ، ط مطابع الدجوى (الرابعة) ١٩٧٣ م .

(٣) سفر المكابيين الثانى ،١٥ (٣٤) .

والغنم والحمير بحد السيف » [1] .

وهذا النبى الصالح « داود » - عليه السلام - ينسبون إليه أفظع الجرائم التى تتضاءل دونها جرائم فرعون ذى الأوتاد .

« وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد ،وفؤوس حديد، وأمرهم فى أتون الأجر » [2] .

وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم . . »[3].

* وجل شأن ربنا عن هذا البهتان المستطير ،وتنزهت كتبه ورسله عن هذا الإفك المبين !! « من أجل أنك لم تعبد الرب إلهك بفرح وبطيبة قلبى لكثرة كل شيء ،تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك فى جوع وعطش وعرى وعوز كل شيءفيجعل : ر حديد على عنقك حتى يهلك ،يجلب الرب عليك أمة من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النسر ،أمة لا تفهم لسانها ،أمة جافية الوجه لا تهاب الشيخ ولا تحسن إلى الولد،فتأكل ثمرة بهائمك وثمرة أرضك حتى تهلك ولا تبقى لك قمحا ولا خمرا ولازيتا ولانتاج بقرك ،ولا إناث غنمك حتي تفنيك وتحاصرك فى جميع أبوابك حتى تهبط أسوارك الشامخة الحصينة التى أنت تثق بها فى كل أرضك ،وتحاصرك فى جميع أبوابك فى كل أرضك التى يعطيك الرب إلهك ،فتأكل ثمرة بطنك لحم بنيك وبناتك الذين أعطاك الرب إلهك فى الحصار والضيقة التى يضايقك بها عدوك » [4] .

أمر بعيد عن كل معالم الرحمة والإنسانية ،وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . !!

---

(١) سفر يشوع ،٦ (٢١) ومعنى حرموا كل ما فى المدينة : أى اضربوهم وطاردوهم حتى إلى «حرمة» ،وهو اسم موضع مقدس أطلق عليه بعد خرابه بنحو ٣٨ سنة،وقد ذبح فيها الإنسان والحيوان ،ودعيت يومئذ حرمة ،القاموس ص ٢٩٩ بتصرف .

(٢) وهكذا نرى أن إحراق الشعوب فى الأفران هو اختراع يهودى قديم ،وهم يشنعون به على «النازية» زوراً!!

(٣) سفر صموائيل الثاني ،(١٢) (٣١) .

(٤) سفر التثنية ،إصحاح ٢٨ (٤٧ -٥٣) .

« وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها » « ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضربون المدينة بالنار » (١) .

وتقول عن الأنبياء : « وصار مرشدوا الشعب مضلين ،ومرشدوه مبتلعين، لأجل ذلك لا يفرح بفتيانه ولا يرحم يتاماه ،وأرامله ،لأن كل واحد منهم منافق،وفاعل شر ،وكل منهم متكلم بالحماقة » (٣) إلى أن تقول : « بسخط رب الجنود تحرق الأرض ويكون الشعب كمأكل للنار لا يشفق الإنسان على أخيه،يلتهم على اليمين فيجوع ويأكل على الشمال فلا يشبع يأكلون كل واحد لحم ذراعه ،منسى أفرايم وأفرايم منسى وهما على يهوذا . . » (٣) « هكذا حرص قاتل وطمع جاشع لا رحمة فيهم ولا خير ،هم مصدر الحماقة والشر والكذب والنفاق والالتواء والغموض والعوج فى هذه الحياة ،كما وصفتهم التوراة وحقرتهم فقالت: « جيل أعوج ملتو ،الرب تكافئون بهذا ياشعبا غبيا غير حكيم . . » (٤)

« إنهم شعب متمرد أولاد كذبة ،أولاد لم يشاءوا وأن يسمعوا شريعة الرب ،الذين يقولون للرائين لا تروا وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات ،كلمونا بالناعمات ،انظروا مخادعات . . » (٥)

أى أنهم لا يريدون رؤية صحيحة ،ولا سيرا على صراط مستقيم ،ولكنهم يبغونها عوجا ،ويريدونها فاحشة وعشقا !! ويناديهم ربهم على لسان أرميا قائلا : « لا تتكلموا عليّ كلام الكذب قائلين هيكل الرب هيكل الرب هيكل الرب . . ها إنكم تتكلمون عليّ كلام الكذب الذى لا ينفع . . » (٦)

ومما يذكر فى تعصب اليهود ودعواهم العنصرية ما قالته التوارة كذلك : «لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك ،إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ،ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب ،بل من محبة

(١) سفر يشوع ،إصحاح ٦ (٢٤) ٨، (٨)
(٢) سفر أشعياء ،إصحاح ٩ (١٦ ، ١٧) .
(٣) سفر أشعياء ،إصحاح ٩ (١٦ ، ١٧) .
(٤) سفر التثنية إصحاح ٣٢ (٥ ، ٦) .
(٥) سفر أشعياء ،إصحاح ٣٠ (٩ ، ١٠)
(٦) سفر ارمياء ،إصحاح ٧ (٤ ، ٨) .

الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر » (١) .

ولكن التوراة تكذب هذا وتبين أن نصر الله لهم ليس لحبه إياهم ، ولكن لمعصية غيرهم فتقول : « لا تقل فى قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك ، لأجل برى أدخلنى الرب لأمتلك هذه الأرض ، ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك ، ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب من أمامك - فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة » (٢) .

حقا إنهم لشعب صلب الرقبة ، عنيد متنكر للحق ، مكابر له ، متعصب للباطل، يستغل الشعوب الأخرى وإن أحسن إلى أهله وبنى جلدته . ولكن ليفعل فى الآخرين ما يشاء .

وفى التوارة . « إذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعبادا . . لا تتسلط عليه بعنف بل اخش إلهك وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيدا وإماء ، وأيضا أبناء المتوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم فى أرضكم فيكونون ملكا لكم ، وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر » (٣) . وكذلك : « واضرب عماليق وحرم ماله ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة وطفلا رضيعا وبقرا وغنما ، جملا وحمارا » (٤) ضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها (٥) بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف ، تجمع كل أمتعتها إلى وسط مساحتها ، وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلا إلى الأبد لاتبنى بعد » (٦) .

---

(١) سفر التثنية ، إصحح ٧ (٦ - ٨) .
(٢) سفر التثنية ، إصحاح ٩ (٤ - ٦) .
(٣) سفر لاويين إصحاح ٢٥ (٣٩ - ٤٦) بتصرف .
(٤) سفر صموئيل الأول إصحاح ١٥ (٣) .
(٥) تحرمها : أى تجعلها كمدينة حرمة فى الخراب والدمار ، وضرب أهلها وطردهم !
(٦) سفر التثنية إصحاح ١٣ (١٥ ، ١٦)

« متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوب كثيرة من أمامك فإنك تحرمهم لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم . . ولكن هكذا تفعلون بهم ، تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار ، لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك » [١]

وأما عن سفر « أستير » الذى ملىء بهذا فحدث ولا حرج .[٢]

وتقول التوارة كذلك : « وأقام إسرائيل فى شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب ، فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن ، وتعلق إسرائيل ببعل فغور فحمى غضب الرب على إسرائيل ، . . فقال موسى لقضاة إسرائيل اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور » [٣] .

فهذا النص يصور فجورهم بارتكاب الزنا وشركهم بالله باحتفالهم بآلهة أخرى ، فعاقبهم الله عز وجل بالوباء الشديد الذى أهلك الكثير وبقية النص تشير إلى إعلانهم عن الزنا والفجور .

وقالت أيضا : « اذكر - والكلام موجه لشعب إسرائيل - لا تنس كيف أسخطت الرب إلهك فى البرية من اليوم الذى خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيتم إلى هذا المكان كنتم تقاومون الرب حتى فى حوريب أسخطتم الرب فغضب الرب عليكم ليبيدكم . . وكلمنى الرب قائلا : رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة ، اتركنى فأبيدهم وأمحو اسمهم من تحت السماء وأجعلك شعبا أعظم وأكثر منهم » [٤] .

---

(١) سفر التثنية إصحاح ٧ (١ - ٦) بتصرف .
(٢) راجع سفر «استير» ص ٧٧٩ - ٧٩٢ .
(٣) سفر العدد ، إصحاح ٢٥ (١ - ٥) .
(٤) سفر التثنية ، إصحاح ٩ (٧ - ١٤) .

وقصارى القول ،أن التوراة الحالية - فى مجموعها - قد كتبت بعد موسى - عليه السلام - بأزمان متفاوتة ، وبأفكار مختلفة ، وأن اليهود كتبوها انعكاسا لأخلاقهم وتاريخهم وآمالهم وآلامهم ، وكان مقصدهم الأول من وراء ذلك إظهارهم الشعب الإسرائيلى بمظهر الشعب المقرب إلى الله تعالى والمفضل على غيره من الشعوب ، ولكثرة الأشخاص الذين اشتركوا فى كتابتها امتلأت بالأخطاء والمفتريات والمتناقضات .

وما عرضناه عن التوراة قليل من كثير ، وغيض من فيض .

وهذا الذى ذكر إن دل على شيء فإنما يدل على تعصب اليهود لا على سماحتهم وعلى ظلمهم لا على عدلهم ، وعلى شططهم ووكسهم لغيرهم لا على وسطيتهم ووفائهم .

وقالت كذلك : « وفعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم ، وتركوا الرب إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب ، وتركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت ، فحمى غضب الرب على إسرائيل ، فدفعهم بأيدى ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم . . وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم ، ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا[1] .

وعند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم . . بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها ، لم يكفوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية فحمى غضب الرب على إسرائيل . .[2] وتقول التوراة كذلك : « وكان أن بنى إسرائيل

---

(١) زنوا المعنى المجازى لها : الانحراف عن العبادة للاله الحقيقى إلى الآلهة الوثنية أو كل عدم أمانة بالنسبة للعهد مع الله ، وقد وردت هذه اللفظة فى الكتاب المقدس كثيرا للدلالة على خيانة شعب الله ونكوثهم للعهود المقدسة ، قاموس الكتاب المقدس ص ٤٣٧ بتصرف .

(٢) سفر القضاه ، إصحاح ٢ (١١ - ٢٠) بتصرف .

أخطأوا إلى الرب إلههم الذى أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون واتقوا آلهة أخرى ، وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وملوك إسرائيل الذين أقاموا ، وعمل بنو إسرائيل سرا ضد الرب إلههم أمورا ليست بمستقيمة ، وأقاموا لأنفسهم أنصابا وسوارى على كل شجرة خضراء ، وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راء قائلا ارجعوا عن طريقكم الردية . . فلم يسمعوا بل صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم . . ورفضوا فرائضة وعهده وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم . . فغضب الرب جدا على اسرائيل ومحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب إلههم بل سلكوا فى فرائض إسرائيل التى عملوها ، فرذل الرب كل نسل إسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طردهم من أمامه . . » [1] .

ومثل هذه الصنائع لم تكن فى جيل من بنى إسرائيل وتنتهى ، كما لم تكن مرة فقط أو مرتين ولكنها كانت عشرات المرات ، ولا أبالغ إن قلت أكثر من ذلك، وتوراتهم التى بين أيديهم خير شاهد عليهم بما يدل على أن أوحال الخيانة والآثام طبع فيهم غلب التطبع ، وأن صلابة رقابهم وتعصبهم شىء لا يبرحهم حينا من الدهر إلا ريثما يعود إليهم بصورة أعنف وأشد وما إن يستقر بهم المقام حتى تعاودهم طباعهم السيئة التى ورثوها عن آبائهم ، فما أكثر تعديهم على حرمات الله ، ونقضهم العهود ونسيانهم ربهم ، لا يعودون إليه إلا عند الشدائد ، وإذا اختلطوا بغيرهم أفسدوهم وأخذوا منهم كل سيئ وفاسد ، يحنون إلى المعصية ويستمرئون الذل ويجحدون النعم ، تتحكم فيهم شهواتهم ، وتستعبدهم الأهواء حتى نسوا الله فأنساهم أنفسهم .

« إن اليهود الذين هم من أصل عبرانى ،كان أغلبهم قد أهملوا الديانة والتقاليد

(١) سفر الملوك الثانى ، إصحاح ١٧ (٧ - ٢٠) بتصرف .

اليهودية وعاشوا على مقتضى الديانات اليونانية والرومانية - كما حدثت به التوراة فى غير موضع - فلم يكن ثمة إلا عدد ضئيل منهم يحتفظون بشريعة موسى ويحافظون عليها ، ومع ذلك فقد كان احتفاظ أغلبهم بها شكليا فحسب ، وكانت محافظتهم عليها راجعة إلى عصبيتهم الجامدة وتعصبهم الأعمى ، لا إلى إيمانهم وتقواهم ، وكان هؤلاء هم اليهود الذين ظهر بينهم السيد المسيح عليه السلام[1] وفى التوراة « اللاويون الذين ابتعدوا عنى حين ضل إسرائيل فضلوا عنى وراء أصنامهم يحملون إثمهم »[2] .

فلم يلبث اليهود أن ضلوا السبيل كما ضل الكهنة ، فتهافتوا على الشهوات المادية وجمع الثروات ، بل عبدوا الاصنام وهكذا استشرى الفساد فى رجال الدين اليهود ، وشمل غيرهم ، فكانوا فاسدين مفسدين بل كانوا فاسقين فاجرين ، وكان الشعب على مثالهم لا يقل عنهم فسادا وفسقا وفجورا[3] .

وتقول التوراة : « اسمعى أيتها السموات ، واصغى أيتها الأرض - لأن الرب يتكلم ، ربيت بنين ونشأتهم ، أما هم فعصوا على ، الثور يعرف قانيه ، والحمار يعرف صاحبه ، أما إسرائيل فلا يعرف ، شعبى لا يفهم ، ويل للأمة الخاطئة ، الشعب الثقيل الأثم ، فاعلى الشر ، أولاد مفسدين ، كل الرأس مريض وكل القلب سقيم ، ومن أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة ، رؤساؤك متمردون ، لذلك تاركوا الرب يفنون »[4] .

وجاء فيها كذلك : « طوفوا فى شوارع أورشليم وفتشوا فى ساحاتها هل تجدون إنسانا أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فأصفح عنها ؟ ضربتهم فلم يتوجعوا ، صلبوا وجوههم أكثر من الصخر ، لأن ذنوبهم كثرت ، بنوكى

---

(١) المجتمع اليهودى : تأليف زكى شنودة ص ٦٩ بتصرف ط مكتبة الخانجى بالقاهرة .

(٢) سفر حزقيال ، إصحاح ٤٤ (١٠)

(٣) المجتمع اليهودى لزكى شنودة ص ١٦١ بتصرف .

(٤) سفر أشعياء ، إصحاح ١ (٢ - ٢٨) بتصرف .

(ياأورشليم) تركونى وحلفوا بما ليس آلهة ، ولما أشبعتهم زنوا ، وفى بيت زانية تزاحموا ، صاروا حُصنا معلوفة سائبة ، صهلوا كل واحد على امرأة صاحبه ، لأنه خيانة خانثن بيت إسرائيل ، وبيت يهوذا ، اسمع هذا أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم ، الذين لهم أعين ولا يبصرون ، لهم آذان ولا يسمعون ، صار لهذا الشعب قلب عاص ومتمرد ، خطاياكم منعت الخير عنكم ، لأنه وجد فى شعبى أشرار ، بيوتكم ملآنه مكرا ، عظموا واستغنوا ، سمنوا ، تجاوزوا فى أمور الشر لم يقضوا فى دعوى اليتم . . » [١].

وفى التوراة كذلك : « هكذا قال رب الجنود . . أقيموا حول أورشليم مترسة، هى المدينة المعاقبة ، كلها ظلم فى وسطها ، كما تنبع العين مياهها ، هكذا تنبع هى شرها ، ظلم وخطف يسمع فيها ، تأدبى ياأورشليم . . لئلا أجعلك خرابا ، لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح ، ومن النبى إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب . . لم يخزوا خزيا ، ولم يعرفوا الخجل . . لذلك يسقطون بين الساقطين ، إنهم لم يصغوا لكلامى وشريعتى رفضوها محرقاتكم غير مقبولة وذبائحكم لا تلذ لى » [٢].

« ها إنكم على كلام الكذب الذى لا ينفع، أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبا وتبخرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها، ثم تأتون وتقفون أمامى فى هذا البيت الذى دعى باسمى عليه ، هل صار هذا البيت الذى دعى باسمى مغارة لصوص فى أعينكم أفإياى يغيظون يقول الرب ؟ ساروا فى مشورات وعناد قلبهم الشرير وأعطوا القفا لا الوجه فلم يسمعوا لى ولم يميلوا آذانهم ،بل صلبوا رقابهم ، أساؤوا أكثر من آبائهم - باد الحق وقطع فى أفواههم» [٣].

---

(١) سفر إرمياء ، إصحاح ٥ (١ - ٢٩) بتصرف .
(٢) سفر إرمياء ، إصحاح ٦ (٦ - ٢٠) بتصرف .
(٣) سفر إرمياء ، إصحاح ٧ (٨ - ٢٨) بتصرف .

« فأترك شعبي وانطلق من عندهم لأنهم جميعا زناة ، جماعة خائنين ، يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب ، لأنهم خرجوا من شر إلى شر ، وإياى لم يعرفوا يقول الرب . . وكل صاحب يسعى فى الوشاية ويختل الإنسان صاحبه ولا يتكلمون بالحق ، علموا ألسنتهم التكلم بالكذب وتعبوا فى الافتراء . . بالمكر أبوا أن يعرفونى يقول الرب . . لسانهم سهم قتال يتكلم بالغش بفمه يكلم صاحبه بسلام وفى قلبه يضع له كمينا أفما أعاقبهم على هذه يقول الرب . . أم لا تنتقم نفس من أمة كهذه ؟ . . »[1].

« هل نسيتم شرور آبائكم وشرور ملوك يهوذا وشرور نسائهم وشروركم وشرور نسائكم التى فعلت فى أرض يهوذا وفى شوارع أورشليم ؟ لم يذلوا إلي هذا اليوم ولا خافوا ولا سلكوا فى شريعتى[2] فهل بعد هذا من تعصب ؟!

« هكذا قال السيد الرب : أيتها المدينة السافكة الدم . . الصانعة أصناما لنفسها لتتنجس بها ، قد أثمت بدمك الذى سفكت ونجست نفسك بأصنامك التى عملت . . فذلك جعلتك عارا للأمم وسخرة لجميع الأراضى القريبة إليك والبعيدة عنك يسخرون منك يانجسة الاسم ياكثيرة الشغب ، هوذا رؤساء إسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيك لأجل سفك الدم ، فيك أهانوا أبا وأما ، وفى وسطك عاملوا الغريب بالظلم ، فيك اضطهدوا اليتيم والأرملة . . كان فيك أناس وشاة لسفك الدم - فى وسطك عملوا رذيلة ، فيك كشف الإنسان عورة أبيه - إنسان فعل الرجس بامرأة قريبه ، إنسان نجس كنته برذيلة ، إنسان أذل فيك أخته بنت أبيه ، فيك أخذوا الرشوة لسفك الدم ، أخذت الربا والمرابحة ، وسلبت أقرباءك بالظلم ، ونسيتنى يقول الرب . . أنا الرب تكلمت وسأفعل ، أبددك بين الأمم وأذريك فى الأرض ، وتتدنسين بنفسك أمام عيون الأمم وتعلمين أنى أنا الرب .

(١) سفر إرمياء ، إصحاح ٩ (٢ - ٩) بتصرف
(٢) سفر إرمياء ، إصحاح ٤٤ (٩ - ١٠) بتصرف

أجمعكم بغضبي وسخطي وأطرحكم ، أنفخ عليكم بنار غضبي فتسكبون في وسطها ، فتعلمون أني أنا الرب سكبت سخطي عليكم ، أكلوا نفوسا ، أكثروا أراملها في وسطها ، كهنتها خالفوا شريعتي ونجسوا أقداسي ، رؤساؤها في وسطها كذئاب خاطفة خطفا لسفك الدم ، لإهلاك النفوس ، لا كتساب كسب ، ظلموا ظلما وغصبوا غصبا ، واضطهدوا الفقير والمسكين وظلموا الغريب ، فسكبت سخطي عليهم أفنيتهم بنار غضبي ، جلبت طريقهم على رؤوسهم يقول السيد الرب » [١] .

فهذه هي التوراة تحكي بعض أفعال اليهود ، يناقضون بها ما أمرهم الله عز وجل به من التسامح المذكور في وصايا التوراة وأوامرها ، فلم يبق مكان للتسامح في واقع اليهود ، وإنما هو كما حدثت به التوراة ﴿ **وشهد شاهد من أهلها** ﴾[٢] وليس بعد هذا من تعصب ! وغير هذا بكثير مما لم نذكره وقد طفحت به التوراة . أ. هـ .

« لقد عرف التاريخ في بني إسرائيل شر الجماعات التي تصلح أن تكون موضعا لدراسة الآفات الإنسانية لمن شاء أن يدرس ويفكر ويعتبر ، ولقد حاول بنو إسرائيل ألا تكون طباعهم السيئة مقصورة عليهم ، بل شاءت لهم أهواؤهم وسولت لهم أنفسهم وشياطينهم أن يطرحوا الآخرين معهم في حمأة الأخلاق الفاسدة والمنكرات والرذائل ، وذلك هو السبب الذي جعلنا نصمم بأنهم جناة على الأخلاق ، إذ كل رذيلة من رذائلهم المنطوية عليها صدورهم والجاري تعاملهم بها قد استطاعوا بمهارتهم ، وكيدهم أن يجروا الناس إليها ويطبعوهم عليها زرافات ووحدانا ، حتى صار المجتمع العالمي كله اليوم - إلا قليلا ممن عصم الله - مجتمعا يهودي الصفات والأحوال وإن لم يكن مجتمعا

(١) سفر حزقيال ، إصحاح ٢٢ (٣ - ٣١) بتصرف
(٢) سورة يوسف : آية ٢٦ .

يهودى الجنس والنسب . . » [1] .

واليهود لا يؤمنون إلا بالمادة ولا قيمة للمعنويات عندهم ، ولا وزن للأخلاق، ولا نصيب للروح ولا مكان للمبادىء ، ولا محل للصدق والوفاء ،ولا وجود للأمانة والحياء ، فهذه أمور لا يعرفها اليهود وسائر الصفات التى هى فوق كل الغرائز ، وهذا الإيمان بالماديات وحدها يقضى على مقومات الأخلاق الإنسانية والاجتماعية بل على حقيقة الإيمان الدينى ، لأن جزءا كبيرًا من الدين قائم على ما وراء المادة والغيبيات ، ومنه « اليوم الآخر» ولذا نرى اليهود لغلبة المادة وسيطرتها عليهم لا يؤمنون باليوم الآخر وما فيه ، وليس أدل على ذلك من أن كتبة التوراة أخلوها من ذكر هذا اليوم ، فلم تذكر التوراة شيئا عن الآخرة ولا عن الملائكة ولم تذكر جنة ولا نارا ، وكل ما تعد به المحسنين مادى دينوى فحسب[2]، وذكر الآخرة لم يرد فى نص واحد أو صريح ،وكل ما ورد فيها من إشارات مثل كلمة آخرتهم -آخرتها ، فإنها يحتمل أن تؤول إلى نهاية الأمر .

ولما كانت الحياة الدنيا هى غاية همهم ، والمادية هى مبتغاهم الأسمى بل شعارهم الذى يسيرون وراءه لا يضلون عنه ، فقد صاروا نفعيين أنانيين يهدمون المبادىء من أجل ذواتهم ويدرسون المصالح العامة فى سبيل منافعهم الشخصية ، فحملتهم أنانيتهم ونفعيتهم أن يسلكوا كل سبيل ملتو ، وكل طريق منحرف للحصول على المال والمنافع ، فلم يتورعوا عن الكذب والخداع والغش والنفاق والتضليل » [3] .

وهذه هى التوراة - توراتهم - تتحدث عنهم فتقول : « لأنهم - أى اليهود - من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح ومن النبى إلى الكاهن كل واحد

---

(1) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ، محمد ندا ص ٢٠٩ - ٢١٠ ط دار اللواء ط أولى ١٩٨٤م بالسعودية - الرياض .

(2) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ، محمد ندا ص ٢١١ - ٢١٢ بتصرف .

(3) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ، محمد ندا ص ٢١٥

يعمل بالكذب » [١] .

ويقول الأستاذ الشيخ الإمام « محمد أبو زهرة » لا نجد فى اليهود إلا الرياء وملق الأقوياء والنفاق ، وأن يكون للقول ميدان وللعمل ميدان ، ولقد أشاعوا النفاق فى الأرض حتى توهم الناس أن من لا ينافق ليس بكيس ومن لا يتملق لم يؤت الحكمة ، ومن لم يداهن فهو أحمق ومن لم يمالىء على الشر فهو داع إلى الفتنة ، مثير للسوء ومن يجهر بالحق فهو معاند مثير للشغب « إلى أن يقول » : ولقد نشروا النفاق فى الأرض كلها وبثوا له الدعاية بأسماء مختلفة ، فمرة بأنه الحكمة وأخرى بأنه الكيس وثالثة بأنه السياسة الناجحة ، حتى أشاعوا بين الناس أن السياسة والأخلاق لا يجتمعان ، وذلك قول الزور ، ولقد قرر الحكماء حقا وصدقا أن من يقول إن الاخلاق لا تجتمع مع السياسة لم يفهم الأخلاق ولا السياسة ، فالسياسة الفاضلة هى والأخلاق متلازمان لا ينفصلان » [٢] .

« تراهم ينافقون الأقوياء والكبراء والحكام فى سبيل أطماعهم والوصول إلى أغراضهم المادية الدنيئة ويغدرون بالعهود ويخونون الأمانات ويفجرون فى الخصومة ، وتلك أهم خصال النفاق تجمعت فى اليهود ، وعلى رأسها خصلة الكذب إنها شر صفة يتصف بها إنسان على الأرض ، فهو أساس النفاق والكفر والفساد [٣].

لقد اعوجت نفوس اليهود فأبت إلا أن تحول حياة البشر إلى جحيم ، وتسعى لكى تضع نفسها فى القمة فوق بنى آدم - ولو على جماجم البشر وأشلائهم - مستخدمة فى ذلك كل الوسائل ولو كانت الحروب المدمرة للعالمين ، فماذا فعلوا من جنايات تقضى - أو قضت على المجتمع الإنسانى ؟

---

(١) سفر إرمياء ، إصحاح ٦ (١٣)

(٢) مجلة لواء الإسلام عدد شعبان ١٣٨٧ هـ ص ٧٢٢

(٣) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ص ٢١٨ - ٢١٩ .

إن ما فعلوه يتلخص فى نواح ثلاثة :

أولا : التعالى على البشر والتطاول عليهم : باعتقادهم أنهم صفوة الخلق ، وأنهم أفضل العالمين ، فهم جديرون بالحياة والسيادة فيها ، أما غيرهم فحيوانات فى صورة آدميين ليقوموا بخدمة شعب الله المختار ، فنظروا إلى العالم بعين السخرية والاحتقار ، وهذه منهم عصبية مقيتة ،كما وضح ذلك فى التلمود والبروتوكلات .

ثانيا : استغلال الناس وابتزاز أموالهم بكافة الطرق والأساليب : سولت الأنانية لليهود أن يستغلوا بقية الشعوب والأمم الأخرى إذا سنحت لهم الظروف ، وتهيأت أسباب الاستغلال ، وكل ما على اليهودى خشية لربه أن يبتعد عن أهله وبنى جلدته وليفعل فى الآخرين ما يشاء ، ومن يقرأ التلمود يجد من ذلك الشيء العجيب .

ثالثا : سفك الدماء وإشاعة العداوة والبغضاء بين الخلائق : إن ما يعانيه العالم من انقسام فى الرأى والمذهب وإشهار السلاح فى الوجوه والتهديد والإنذار بحروب مدمرة ما هو إلا من وضع اليهود فهم سفاكون للدماء ، يسارعون فى الإثم والعدوان ، ويسعون فى الأرض فسادا ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، هكذا حكى القرآن عنهم .

وفى كتابهم المقدس كذلك ما يسجل عليهم جرائمهم البشعة وبخاصة سفر «أستير » [1] . واتخذت أيام القتل والصلب - عند اليهود - أعيادا ، فبئس ما كانوا يصنعون .

ولليهود عيدان مقدسان لا تتم الفرحة فيهما إلا بتناول الفطير الممزوج بالدماء البشرية ، فالأول عيد « البوريم » فى مارس من كل سنة ، والثانى « عيد الفصح»

(١) جنايات بنى اسرائيل على الدين والمجتمع من ص ٢٣٣ إلى ص ٢٥٣بتصرف .

فى إبريل من كل سنة، وذبائح العيدين لا تتم شريعة إلا بذبح طفل من دين غير دين اليهود ثم استنزاف دمه لعجن الدقيق به . [١] !

« وأن محاريب اليهود ملطخة بالدماء التى سفكت من عهد إبراهيم حتى سقوط مملكتى إسرائيل ويهوذا وإن معابدهم مخيفة بشكل يفوق معابد السحرة التى تقع داخلها مذابح البشر قربانا للآلهة » [٢] .

ولقد عنى بذكر ذلك الأستاذ « أرنولد ليز » الذى وقف ضد الإجرام اليهودى والسيطرة اليهودية على العالم وألف فى ذلك كتابا معروفا استقصى فيه حوادث يهودية من استنزاف دماء الأبرياء وأتى فيه بقصص تقشعر منها الأبدان - ويقول فى كتابه« إن الجرائم اليهودية التى عرفت فى التاريخ عن اليهود وجرى حولها تحقيقات قضائية لا تكاد تذكر مطلقا بجانب جرائم اليهود التى لا يعلم بها أحد»[٣]، ولقد ثبت هذا الإجرام فى مختلف العصور ولدى كثير من الأمم التى آوت اليهود فى الشرق والغرب ،وإذا كان هذا حالهم وهم تحت نير غيرهم من الأمم ، فماذا لو كانت لهم دولة أو سلطان ، وعندهم قوة واقتدار ، لا شك أنهم يشنونها حربا مبيدة على الأمم والشعوب ، حربا لا ترحم الشيخ الهرم ، ولا الطفل الوديع ، ولا المرأة الضعيفة ، كما قالت التوراة : « بل اقتل رجلا وامرأة وطفلا رضيعا ، وبقرا وغنما وجملا وحمارا » [٤] . حتى البهائم والحيوانات الأليفة لا تجد فى نفوس اليهود رحمة ،بل والمدن والجمادات لا تعفى من ذلك . «ضربا تضرب سكان المدينة بحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد

(١) كتاب « اليهود والنور والاسلام » لـ ريتشارد بورفوت « نقلا عن كتاب « جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ص ٢٥٧ بتصرف .

(٢) كتاب من مجموعة الكتاب المقدس « لـ كيتو » نقلا عن كتاب « جنايات بنى إسرائيل ص ٢٥٧ بتصرف

(٣) من مقال الدكتور عبد الكريم وهبة بمجلة منبر الإسلام ، جمادى الأول ١٣٨٧ هـ نقلا عن كتاب «جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع » ، ص ٢٥٧ بتصرف .

(٤) سفر صموئيل الأول ، وإصحاح ١٥ (٣) .

السيف ، تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلا للأبد لا تبنى بعد »[١]. الخ .

* * *

(١) سفر التثنية ، إصحاح ١٣ (١٥ - ١٦)

المبحث الثالث :

ثانيا : « التلمود »

هذا ،وليست الأسفار التى تحدثنا عنها سابقا هى الكتب المقدسة عند اليهود وحدها كما علمت – وإنما عندهم كتاب آخر ، يعتبرونه فى منزلة لا تقل عن منزلة التوراة ، وهذا الكتاب هو « التلمود » ، والتلمود اسم مأخوذ من كلمة (لامود) العبرية ، ومعناها « تعاليم » ، وبهذا كان التلمود هو الكتاب الذى يحتوى على التعاليم اليهودية وهو الذى يفسرها ويبسطها [١] .

ويرى اليهود أن نص التلمود مقدس ، وموحى به من عند الله تعالى ، ويذكرون أن الله قد خاطب به موسى عليه السلام – ويستدلون على هذا بما جاء فى سفر الخروج حيث جاء : « وقال الرب لموسى ، اصعد به إلى الجبل وكن هناك ، فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم » [٢] .

يقول « سيمون بن لاكيس »[٣] فى تفسير هذا النص « إن المراد من الألواح : الوصايا العشر، والشريعة هى القانون المكتوب المنسوب إلى الأنبياء ، والوصايا هى التلمود ، أو « المشناة » أى أصل التلمود قبل شرحه ، ويتشهد بلفظة «كتبتها» على قداسة نص التلمود ، وأنه من كتابات موسى المقدسة، وأما لفظة «لتعليمهم» فتفيد قداسة شروح التلمود « الجمارا » لأن الشروح تأتى أثناء التعليم[٤] ، وسواء صح هذا التفسير أم لم يصح فإنه يدل على إيمان اليهود بقداسة التلمود ، وهم

---

(١) فضح التلمود « تعاليم الحاخامين السرية » إعداد زهدى الفاتح ص ٢١ بتصرف ط دار النفائس

(٢) سفر الخروج ، الإصحاح ٢٤ (١٢) .

(٣) هو حاخام يهودى ، وضع تفسيرا للتوراة ، أنظر التلمود وتاريخه وتعاليمه ص ١٤ نقلا عن «اليهودية » ، د . أحمد غلوش ص ٥٢

(٤) يلاحظ أن المفسر يفرق بين لوحى الحجر والشريعة مع أنهما شىء واحد ، كما أنه يخلط بين الوصايا والألواح زاعما أن الألواح هى الوصايا العشر وأن الوصايا هى المشناة كما يذكر أن المراد من التعليم تعليم التلمود لا التوراة وأن ضمير كتبتها تعود إلى الأنبياء بدلا من الله ، وهذه كلها أخطاء فى التفسير . اليهودية ص ٥٢

يرون أنه ظل يتنقل شفاهة منذ عهد موسى عليه السلام جيلا بعد جيل حتى عرف بالقانون الشخصى المتداول مع العهد القديم «القانون المكتوب» .

ويدعى اليهود أن التعاليم الشفوية انتقلت من موسى عليه السلام إلى «جوشو» وهذا نقله إلى الشيوخ السبعين ، وهم نقلوه بدورهم إلى الرسل الذين نقلوه إلى كبير اليهود ، وأخذ يتنقل بين عدد من الرابين مشافهة حتى تمت كتابتها ، وفى خلال القرن الثانى الميلادى لوحظ أن معرفة اليهود بدأت تتناقص ، كما أن التلمود « القانون الشفهى » أخذ يندثر ويدخل فى عالم النسيان ، وأيضا فإن الشعب اليهودى نفسه أخذ يتشتت فى الأرض ، فى هذا القرن ظهر «الرابى « جيهوذا » الملقب بالقديس والأمير ، ولاحظ هذا الوضع فسعى إلى معالجته للحفاظ على «القانون الشفهى » بمبادرته إلى جميع اللوائح المشار إليها فى كتاب سماه « مشناه» أى « القانون الثانى » أو القانون المساعد ، وقد احتوى هذا الكتاب على ستة أجزاء رئيسية »[١] .

وعلى هذا يكون التلمود : هو القانون الشفهى ، والمشناة هى الكتاب التلمودى المدون وقد اعتمد اليهود المشناة ، على أساس أنه المرجع الرسمى الموثوق به ، والتعبير الصادق عن قانونهم ، ولذلك تم توزيعه مكتوبا على الأكاديميات اليهودية فى كل مكان فيه أقليات يهودية .

واهتماما بكتاب المشناة أخذ رجال القانون اليهودى فى شرحه وإقامة المناظرات حوله والاجتهاد فى إستخراج أحكام جديدة منه ، وحتى لا يضيع هذا الجهد كان يكتب ويدون مع المشناة وسمى المكتوب بـ « الجمارة » .

وعلى هذا ، فقد كونت المشناة والجمارة كتابا واحدا ، هو التلمود على اعتبار أن المشناة هى القانون الثانى المكتوب ، والجمارة هى تحليل لآراء اليهود وشروحهم المتصلة بالمشناة .

---

(١) فضح التلمود ص ٢١ - ٢٣ بتصرف .

وإن لم تتناول كل المشناة لكنها اعتبرت جزءا من التلمود ، لأنها صدرت من مدارس يهودية لا من فرد واحد ، وقد اشتهرت مدرستا « بابل والقدس » مع الجمارة حتى ظهر التلمود بنسختين هما : « تلمود بابل » ، « وتلمود القدس » «أورشليم » .

كما ضم شروحا أخرى وتعليقات كذلك للرابى أشعيا ، وأشير والبيسك توسيفوث(١) .

– بين تلمود القدس وتلمود بابل :

« أدى اهتمام مدرسة القدس ومدرسة بابل بالمشناة إلى وضع شرحين لها ، وبالتالى ظهر تلمود القدس وتلمود بابل ، ويعرف تلمود القدس بتلمود فلسطين أو أورشليم ، وقد تم جمعه سنة ٤٠٠ م بعد تعرض اليهود للاضطهاد والتشريد ، ولا تعنى تسمية التلمود أنه من وضع علماء القدس ، بل إن الواقع يؤكد أن علماء « قيصرية » هم الذين قاموا بتدوينه بشكل رئيسى وكان الحاخام « يوحنان » على رأس القائمين بأمر تدوين هذا التلمود ، وقد أسهم عدد قليل من علماء القدس مع علماء قيصرية – لذلك كانت نسبة « التلمود » إلى القدس نسبة مجازية .

وقد طبع تلمود القدس ، لأول مرة فى البندقية سنة ١٥٢٣ م وتوالت بعد ذلك الطبعات المتعددة بلغات كثيرة ولغة التلمود العبرية ، وتشغل القصص والحكايات الخرافية ما يقرب من ربع التلمود .

أما تلمود بابل ، فقد تم تدوينه خلال مدة طويلة بدأت سنة ٤٠٠ م حيث قام الرابى « آشى » بتدوين تلمود بابل واستمر التدوين إلى القرن الثامن الميلادى حيث أتم الأحبار هذا التلمود ووضعوا له الصورة النهائية .

وقد تعرض تلمود بابل للحرق والتحريف من أعداء اليهود ،وبخاصة فى

---

(١) فضح التلمود ص ٢٣ – ٢٦ بتصرف .

العصور الوسطى يوم أن كان المسيحيون يشعلون النيران أحيانا فى العربات المحملة بالتلمود المطبوع والمخطوط .

وقد طبع تلمود بابل عدة مرات وترجم إلى اللغات العالمية الرئيسية ، وفى هذا التلمود من القصص والحكايات ما يشغل ثلثه هذا ، ويفترق تلمود بابل عن تلمود القدس فى الكم والكيف ، فتلمود القدس يبلغ ثلث تلمود بابل وينقصه العمق المنطقى والشمول الجامع اللذين يمتاز بهما تلمود بابل ، وتلمود القدس دُوِّن بالعبرية وتلمود بابل لغته آرامية شرقية [١] .

« التلمود فى نظر اليهود »

تزعم اليهود أنه كتاب منزل من عند الله مثل التوراة ، ومنهم من يفضله عليها، وقد ورد فى صحيفة من التلمود « أن من درس التوراة فعل فضيلة لايستحق عليها مكافأة ، ومن درس التلمود استحق حسن الجزاء ومن احتقر أقوال التوراة فلا جناح عليه ، ومن احتقر التلمود ، استحق الموت ، وجاء فى التلمود « أن الله قد أعطى الشريعة وهى التوراة على طور سيناء ، وأعطى على يد موسى الكليم التلمود شفهيا ، حتى إذا حصل فيما بعد تسلط أمة أخرى على اليهود يوجد بينهم وبين الوثنيين » .

وقال أحد الحاخامات « التفت يابنى إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى » .

وقال الرابى مناحم « إن الله يستشير الحاخامات على الأرض عند ما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها فى السماء» وفى كتاب اليهودى « كرافت » المطبوع سنة ١٥٩٠ م ما يأتى :

« أعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء ، فهى كالشريعة وهى مثل

(١) « اليهودية » د . أحمد غلوش ص ٥٦ ، ٥٧ بتصرف .

قول الله الحى ، فمن يجادل حاخامه فكأنه يجادل العزة الإلهية » . . وقد أمر مؤلفو التلمود بما يأتى : « إن الحاخامات الذين ألفوا التلمود يأمرون بالطاعة العمياء لهم ، فيخطىء من يجادلهم وهم لا يخطئون أبدا ، وإن تناقضت أقوالهم، وقد قيل :

إن حمار الحاخام لا يأكل شيئا محرما . والحاخام معصوم من كل خطأ ، فيجب على اليهود تصديقه ، والعمل بأوامره مهما كانت (١) .

اليهود يصفون التلمود أنه فوق التوراة والحاخام فوق الله ، والله يقرأ وهو واقف على قدميه وما يقوله الحاخام يفعله الله ، إن تعاليم اللاهوتيين فى التلمود لهى أطيب من كلام الله « الشريعة » والخطايا المقترفة ضد التلمود لهى أعظم من المقترفة ضد التوراة » (٢) .

ويقولون أيضا : « نعترف جهارا بسمو التلمود أكثر من كتاب الشريعة الموسوية(٣).

« الله عز وجل فى التلمود »

جاء فى التلمود » أن النهار اثنتا عشرة ساعة ، فى الثلاث الأولى يجلس الله ويطالع الشريعة ، وفى الثلاث الثانية . . يحكم ، وفى الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفى الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك » .

- هذا هو رأى التلمود وعقيدة اليهود فى الله خالق الوجود ! ثم انظروا إلى عقلية اليهود أو خبثهم ومكرهم .

---

(١) اليهود بين القرآن والتلمود ، تأليف عادل هاشم موسى ص ٦١ ، ٦٢ بتصرف . طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد ١٢٤ .

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون ، عجاج نويهض جـ ٤ ص ١٧٠ ط . طلاس / دمشق .

(٣) همجية التعاليم الصهيونية ، بولس حنا سعد ،ص ١١ بيروت ، ١٦

يقولون « الله أخطأ - فى رأى التلمود - وخطيئة الله هى تركه لليهود تعساء ، لذلك يبكى ويلطم كل يوم ، فتسقط من عينيه دمعتان فى البحر ، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى نهايته ، وتضطرب المياه وترجف الأرض فتحصل الزلازل .

ويقول التلمود : « إن الله إذا حلف يمينا غير قانونية احتاج إلى من يحله من يمينه » ولقد سمع أحد الحكماء فى بنى إسرائيل الله يصرخ بالشقائى !! من ينقذنى من قسمى هذا ؟؟! .

كما قال :« وكما أن الله حنث فى يمينه فقد كذب أيضا بقصد الإصلاح بين إبراهيم وزوجته سارة » .

- وبناء على ذلك يكون الكذب حسنا وسائغا لأجل الإصلاح ، ومن هنا تدرك سر نفاق وكذب اليهود .

ويقول التلمود : « إن الله ليس معصوما من الطيش ، لأن الله عندما يغضب يستولى عليه الطيش كما حصل ذلك منه يوم غضب على بنى إسرائيل فى الصحراء ، وحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ، ولكنه ندم على ذلك عند ذهاب الطيش منه ولم ينفذ ذلك اليمين لأنه عرف أنه فعل فعلا ضد العدالة » !! (١).

ويقول أيضا : « إن القمر يقول لله : لقد أخطأت حيث خلقتنى أصغر من الشمس، فأذعن الله لذلك واعترف بخطئه » !!

ويقول كذلك :« إن الله ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل ، وأنه ظل يصرخ ، ويقول : « الويل لى ، لأنى تركت بيتى ينهب ، وهيكلى يحرق ، وأولادى يشتتون » !!(٢) .

---

(١) اليهود بين القرآن والتلمود ، عادل هاشم مرسى ص ٦٣ ، ٦٤ بتصرف . وبروتوكولات حكماء صهيون جـ ٤ ص ١٧٤ ،١٧٥ بتصرف

(٢) همجية التعاليم الصهيونية ص ٢٤ .

« الأنبياء فى التلمود »

يقول التلمود عن بعض الأنبياء كلاما أشنع مما فى التوراة، ومنه على سبيل المثال :

- بعض الشياطين نسل آدم ، لأنه بعدما لعنه الله أبى أن يجامع زوجته حواء حتى لا تلد له نسلا تعيسا فحضرت له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما ، فولدتا شياطين ، وكانت حواء أيضا لا تلد إلا شياطين فى هذه المدة بسبب نكاحها من ذكور الشياطين»!!

* فهذا اتهام لنبى الله « آدم » بالزنا ، وهو اتهام لحواء كذلك ، وأنه ملعون من الله، ومن ذريته شياطين !

- كان سليمان الحكيم يستخدم أمهات الشياطين المشهورات ، وهن أربع ، ويجامعهن بما له عليهن من سلطان .

- كان إبراهيم الخليل يتعاطى السحر ، ويعلمه ، وكان يعلق فى رقبته حجرا ثمينا يشفى بواسطته جميع الأمراض ، وإذا مس هذا الحجر طيرا أو سمكا ميتا تعود إليه الحياة (١) .

- ويقول التلمود في خلق آدم : « أخذ الله ترابا من جميع بقاع الأرض وكونه كتلة وخلقها جسما ذات وجهين ثم شطره نصفين ، فصار أحدهما آدم ، وصار الآخر حواء، وكان آدم طويلا جدا رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء ، وإذا نام كانت رأسه فى المشرق ورجلاه فى المغرب ، ولما عصى آدم ربه نقصْ طوله حتى صار كبقية الناس ».

- إبراهيم أكل أربعة وسبعين رجلا وشرب دماءهم دفعة واحدة ، ولذلك كانت له قوة أربعة وسبعين رجلا (١) .

---

(١) اليهود بين القرآن والتلمود بقلم عادل هاشم مرسى ص ٦٧ . ٦٩ بتصرف الفصل الثالث من التلمود والفصل الرابع من التلمود ، وبروتوكولات حكماء صهيون ص ١٧٥ . ١٧٦ بتصرف

(٢) همجية التعاليم الصهيونية ٣٠ ، ٤

تعــاليم التلمــود
فيما يتعلق بالمسيحيين

أولا : تعاليمه عن « المسيح عليه السلام » :-

كثيـر من فقرات الكتب التلمودية تبـحث فى مولد يسوع المسيح وحـياته وموته وتعاليمـه ، لكنها لا تشير إلى الاسم نفســه دائما ، بل تطلق عليه أسماء مـتعددة مثل : «ذاك الرجل » و « رجل معين » ، « ابن النجار » ، « الرجل الذى شنق » . . الخ [٢].

يدعى مســيحى من يتـبع تعاليم ذاك الرجل الكاذبة ، الذى يعلمـهم الاحتـفال بالعيد الـدينى عند أول يوم يلى السبت « يعلم » « التلمود » أن يســوع المسيح كان ابنا غير شرعى ، حـملته أمه خلال فترة الحيض ، وكانت تقـمصه روح « أيسو » وأنه مجنون ، مشعوذ ، مضلل ، صلب ،ثم دفـن فى جهنم ، فنصبه أتباعه منذ ذلك الحين وثنا لهم يعبدونه [٣] .

ويدعوه البعض مجنونا ومخبولا ،وكذلك ســاحر مشعوذ ، وثنى ، معبود كإله بعد ما قـتله أتباعه ، [٤] وأن تعاليم المسيح . .كذب ،وهرطقة ،وتعـاليم مستحيلة الإدراك[٥].

ثانيا : تعاليمه عن الميسحيين :

يدعى المسيـحيون فى لغة التلمـود باسم « نوتسريم » أى ناصريون ، نسـبة إلى يسوع الناصـرى من مدينة الناصرة فى فلسطين ، غيـر أن المسيحيين يـدعون كذلك

(٢) فضح التلمود الأب آى . بى . براناتيس ، إعداد زهدى الفاتح ص ٥٥ - ٥٧ بتصرف
(٣) فضح التلمود ، ص ٥٧ - ٧٠ بتصرف .
(٤) فضح التلمود ، ص ٥٧ -٧٠ بتصرف .
(٥) فضح التلمود ، ص ٧٣ ، ٧٤ بتصرف .

بأسماء أخرى يستعملها التلمود للدلالة على غير اليهود [١] وعن ديانتهم يقول . . ديانة غربية ، وثنيـة، ومع أن تعاليمهم متنوعـة فكلهم عبدة أوثان ، ويأكلون لحم الخنزير ، أغوياء ، غرباء بلهاء ، لحم ودم ، وإن الرجال غير الروحيين الذين كتب عليهم الهـلاك فى قرار الجحـيم ، لن يتمكنوا من إقامـة صلة حميـمة مع الله ، عصاة لا يطيعون الله ، أسوأ نوع من الناس ،القتلة الفاسقون ، الحيوانات القذرة كالغائط ، بل إنهم لا يستحقون أن يسموا بشرا . . فهم بهائم بأشكال آدمية - بل إنهم أهل لتسميتهم ببهـائم ، بقر ، حمير ، خنازير ، كلاب . . لا بل إنهم أسوأ من الكلاب يتناسلون بطريقة أردأ من البهائم ، أصلهم شيطانى بهيمى ، أرواحهم تولد من الشيطان ، وإلى الشيطان تعود فى الجحيم بعد الممات ، «وأنه لا تختلف جثة مسيـحى ميت عن حيوان » [٢] « الزناة ، نجسون ، يشبـهون الروث ، ليسوا كالبشر ، بل هم بهائم أسوأ من حيوانات » [٣] .

ثالثا : حول طقوس المسيحية وعبادتها :

بما أن اليهود ينظرون إلى المسـيحيين باعتبارهم وثنيين ، فـمن الطبيعى أن تكون جمـيع أشكال عبـادتهم - فى نظر اليهـود - وثنية أيضـا ، فكهنتهم يدعـون كهنة بعل، كنائسهم تدعى بـيوت الكذب والوثنية ، ويعتـبر كل ما تضـمه هذه الكنائس أيضـا من كئـوس القـربان ، وتماثيل وكـتب إنما وجدت لتكـون طعامـا للأوثان ، وصلاتهم الخصوصية والعامة معا هى صلوات أثيمة وعدوانية بالنسبة للرب ، بينما تدعى أعيادهم الدينية بأيام الشيطان [٤] .

* وبناء عليه يجب تجنب المسيـحيين ، لأنهم لا يستحقون المشـاركة فى العادات اليهودية ولذا على اليهودى أن لا يحيى مسيحيا ، وألا يرد عليه التحية ، ولا يمثل

---

(١) فضح التلمود ، ص ٧٧ .
(٢) فضح التلمود ، ص ٧٨ - ٩٨ بتصرف .
(٣) فضح التلمود ، ص ٧٨ - ٩٨ بتصرف .
(٤) فضح التلمود ص ٩٩ - ١٠٦ بتصرف .

أمام قاضى مسيحى ولا يجوز قبول مسيحى شاهدا (أمام القضاه) ، ولا يجوز لليهودى أن يأكل طعاما مسيحيا وعلى اليهودى أن لا يحاكى المسيحى فى أى عمل.[(١)] ، وذلك .. لأنهم مجسون ، ووثنيون، ويجب عدم التعامل مع المسيحين وعدم استعمال أى شيء يتعلق بالديانة المسيحية ، ومحرم بيع المسيحين اى شيء يتعلق بديانتهم الوثنية ، وهذا التحريم لا ينطبق على الملحدين [(٢)] . ويجب تجنب المسيحين ، لأنهم أشرار ، لا كظئر (مرضعة) ولا كمعلم ، أو طبيب ، أو حلاق،أو كطبيب مولد [(٣)] .

* ويجب إفناء المسيحيين ، والإضرار بهم ، والامتناع عن نفعهم ،وكذلك الثناء عليهم ، ولا يجوز لليهودى الإشارة إلى الأشياء التى يستعملها المسيحيون فى طقوسهم الوثنية ، ويجب التلفظ بأوثانهم فى ازدراء ، ومحظور منح هبات للمسيحين ومحرم عليه بيع أرضه (مزرعته) من المسيحيين وتعليم التجارة لهم ، ويجب الإضرار بأعمالهم ، فيجب أن لا يوشى [(٤)] أحد إذا دفع المسيحيون أكثر مما ينبغى لليهودى ، والمفقود الذى يخص المسيحيين يجب أن لا يعاد إليهم ، كما يجوز الاحتيال عليهم ، ويستطيع اليهودى التظاهر بالمسيحية للاحتيال على المسيحيين ، كما يجوز له التعامل بالربا معهم[(٥)] ويجب الإضرار بالمسيحيين فى المسائل الشرعية ، فيستطيع اليهودى الكذب والحلف بيمين كاذبة لإدانة مسيحى،كما يستطيع أن يحلف يمينا كاذبة بضمير صاف ، ويجب الإضرار بهم على صعيد الأمور الحياتية الضرورية فعلى اليهودى محاولة خداع المسيحيين دائما، ويجب الامتناع عن مساعدة مريض مسيحى، يجب الامتناع عن مساعدة امرأة

---

(١) فضح التلمود ص ١١١ - ١١٤ بتصرف .
(٢) فضح التلمود ص ١١٥ - ١٢٠ بتصرف .
(٣) فضح التلمود ص ١٢١ - ١٢٣ ملحق التلمود . بتصرف .
(٤) يوشى : من الوشاية ، ومعناه لا يبلغ المسيحى بما دفعه زيادة لليهودى .
(٥) فضح التلمود ص ١٢٤ - ١٣٣ بتصرف .

مسيحية عند مخاضها ، ويجب الامتناع عن مساعدة مسيحى يواجه خطر الموت[١] .

ويجب قتل المسيحيين دون رحمة ويحكم بالموت على اليهود الذين يتعمدون (يتحولون إلى المسيحية) ويجب قتلهم لأنهم طغاة ، وقتل الأمراء أولا « حكام الفاتيكان » وأكثر ما يكره اليهود الإمارة التى عاصمتها روما (الفاتيكان) [٢] .

وأخيرا . . ، جميع المسيحيين - حتى أفضلهم - يجب قتلهم ، واليهودى الذى يقتل مسيحيا لا يقترف إثما ، بل يقدم إلى الله أضحية مقبولة ، والأضحية الوحيدة الضرورية بعد هدم الهيكل هى إفناء المسيحيين ، والذين يقتلون المسيحيين سيحتلون مكانا ساميا فى الجنة ، وعلى اليهود ألا يكفوا عن إبادة الغويم [٣] وأن لا يدعوهم فى أمان ، ولا يخضعوا لهم ، وجميع اليهود مكرهون على التماسك معا لتحطيم الخونة بينهم ، ولا يحول أى عيد ، ولا أية مسألة مهما كانا مقدسين، دون ضرب عنق مسيحى ، وليكن الهدف الوحيد من جميع نشاطات وصلوات اليهود هو تحطيم الديانة المسيحية .

فى صلواتهم . . يتلهف اليهودى لمجيء الميسياه « مسيحهم » خصوصا فى ليلة فصحهم [٤] .

* لقد قالوا . . يكفى فى الباطل عرضه،ليفتضح أمره، وكفى بهذا تعصبا مع إخوانهم أو أبناء عمومتهم ، وأصحاب الكتاب الواحد معهم ، !!

فكيف يكون حالهم مع غير هؤلاء إذن ؟!!

---

(١) فضح التلمود ص ١٣٤ - ١٣٧ بتصرف .

(٢) فضح التلمود ،ص ١٣٩ - ١٤٤ بتصرف .

(٣) الغويم أو الجويم : اسم للأميين من غير اليهود ،حيث يعتبر اليهود أنفسهم شعب الله المختار الذى يميز عن سواه من الشعوب والأمم التى ينبغى أن تكون فى خدمة اليهود .

(٤) راجع النصوص« بنصها وترجمتها » فى كتاب فضح التلمود » «تعاليم الحاخامين السرية » ص١٤٥ - ١٤٩ .

وهذا التعصب من اليهود يقابله تسـامح أو خذلان من النصارى ، فيقوم « بابا الفاتيكان » فيعلن عن تبرئة اليهود من « دم المسيح » !!

« نماذج من التلمود فيما يتعلق بالعرب وغيرهم »

(أ) المخلوقات نوعـان ، علوى وسفلى ،العالم يسكنه سبـعون شعبـا بسبعين لغة .

إسرائيل صفوة المخلوقات ، واختـاره الله لكى تكون له السيادة العليا على بنى البشر جميعا ،سيادة الإنسان على الحيوان المدجن .

- العرب . . الأمة المحتقرة .

- لم يتـاجروا إلا بالجلود ، وبعض الزيوت النبـاتية للتـداوى بها ، من الـعار الزواج بعربية .

- العرب يعبدون الأصنام - العرب هم مرتكبوا تسعة أعشار الجرائم فى العالم.

- العربى يعبد الغبار الذى يعلق بصندله [1] .

(ب) اليهـودى لا يخطىء إذا اعتـدى على عرض الأجنبـية ، لأن المرأة غـير اليهودية تعد فى شريعة اليهود بهيمة والعقد لا يجوز بين بنى الإنسان وبين البهائم.

- إذا سرق غير اليهود شيئا ولو كان قيمته تافهة جدا ، فإنهم يستحقون الموت، لأنهم قد خالفوا الوصايا التى أوصاهم بها الله ، وأما اليهود فلا شىء عليهم لأنه جاء فى الوصايا « لا تسرق مال القريب » والأمى ليس بقريب .

- « لا تظلم الشـخص الذى تسـتأجـره لعمـل ما إذا كـان من إخوتك ، أمـا الأجنبى فمستثنى من ذلك » .

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ، عجاج نويهض جـ ٤ ص ١٦١ - ١٦٢ بتصرف

- وفى القضاء : « إذا جاء أجنبى وإسرائيلى أمامك فى دعوى وأمكنك أن تجعل الإسرائيلى رابحا . . فافعل وقل للأجنبى هكذا تقضى شريعتنا ، وهذا إذا كان فى مدينة يحكمها اليهود - وإذا أمكنك ذلك وفقا لشريعة الأجنبى - فاجعل الإسرائيلى رابحا ، وقل للأجنبى هكذا تقضى شريعتك ، فإذا لم تتمكن فى الحالتين فاستعمل الغش والخداع فى حق هذا الأجنبى حتى تجعل الحق لليهودى[1] .

- إن غير اليهودى لا يختلف بشىء عن الخنزير البرى ، فالمرأة اليهودية التى تخرج من الحمام عليها أن تستحم ثانية إذا وقع نظرها لأول مرة على نجس كالكلب والحمار والمجنون وغير اليهودى والجمل والخنزير والحصان والأبرص . - إن عبدة الأوثان الذين لا يعتنقون الدين اليهودى ، والمسيحين المؤمنين بيسوع المسيح ، والمسلمين التابعين للنبى محمد ﷺ ، هم فى نظر اليهود أعداء الله وأعداء اليهود .

* ومن هنا نستخلص أن العالم كله بما فيه من مسلمين ومسيحيين فى نظر اليهود وتعاليمهم أعداء لهم .

- يسمح التلمود لأصدقاء الله وأقاربه فى أن يضلوا الأشرار ، ولأنه مكتوب «كن تقيا مع الأتقياء وشريرا مع الأشرار » .

- ممنوع السلام على الكفار - الرياء مسموح به - العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات كل يوم .

- يمكنك أن تغش الغريب وتدينه بالربا الفاحش ولكن إذا بعت أو اشتريت لقريبك « اليهودى » فلا يجوز لك أن تساومه أو تراوغه .

- إذا رد أحد إلى غريب ما أضاعه ، فالرب لا يغفر له أبدا ، ممنوع عليك رد

---

(١) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ،محمد ندا ، ص ٢٤٢ - ٢٤٤ بتصرف (الفصل السابع من التلمود) .

ما فقده الغريب ولو وجدته .

– إذا أعطى اليهودى معلومات عن يهودى هارب من وجه غريب له عليه دين مستحق ، فالهارب لا يستوجب الإدانة أكثر من أخيه الذى سعى به ، وعلى هذا سبب الوشاية – أن يعوض على أخيه ما خسره بسبب الوشاية –

« اهدم كل قائم، لوث كل طاهر ، احرق كل أخضر، كى تنفع يهوديا يفلس».

– اقتل عبدة الأوثان ، ولو كانوا من أكثر الناس كمالا ، من يرفع وثنيا من حفرة وقع فيها فإنه يبقى على رجل من عباد الأوثان – اقتلوا جميع من فى المدن من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف – إذا وقع وثنى فى حفرة فاسددها عليه بحجر كبير .

– اقتل الجاحد بيدك إن استطعت – على اليهودى أن يقتل من يتمكن من قتله من غير اليهود ، وإذا لم يفعل ذلك كان مخالفا للشرع – من يسفك دم الكفار بيده يقدم قربانا مرضيا لله .

وهذا يعنى كل الأجانب .

– اقتل الصالح من غير اليهود ، ومحرم على اليهودى أن ينقذ أحدا من باقى الأمم من هلاك .

– من يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع أمه يمكنه أن يصير حكيما ، لأنه جاء فى سفر الأمثال « دعوت الحكمة أما » ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع خطيبته ، له أمل كبير فى الحصول على صداقة الشريعة ، ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع شقيقته له أمل كبير ، بإنارة نفسه ، ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع امرأة قريبة يحصل على السعادة الخالدة . [١] !!

---

(١) همجية التعاليم الصهيونية ، بولس حنا مسعد ص ٥٤ – ٨٨ بتصرف « الفصل الرابع من التلمود ، والفصل السادس – نقلا عن « بروتوكولات حكماء صهيون » جـ ٤ ص ١٨١ حتى ص ١٨٦ .

- جميع خيرات الأرض ملك لبنى إسرائيل ، بل الأرض وما فيها ومن عليها ملك لليهود وحدهم ولهم التصرف الكامل فيها ، فقد سلط الله اليهود على أموال باقى الأمم ودمائهم .

* وهذا يكشف سر غطرسة اليهود للتملك لكل شيء والتسلط على كل شيء، عملا بما أشار إليه التلمود .

- كما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها ، هكذا أبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم - أمم الأرض دون أن يتحملوا عناء العمل .

- لولا اليهود لامتنعت البركة من الأرض وانقطع المطر ، وانحجبت الشمس ، لذلك لا يستطيع شعوب الأرض الحياة بدون الإسرائيليين .

- « إن اليهود أحب إلى الله من الملائكة ، فالذى يصفع اليهودى كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء » .

- « إن المفاضلة لموجودة بين جميع الأشياء ،فكما أن الإنسان يعلو البهيمة ، كذلك اليهود هم أرفع شعوب الأرض » - « إن مدافن غير اليهود تثلج صدور أبناء إسرائيل لأن اليهود وحدهم هم البشر ، أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات . بل غير اليهود كلاب عند اليهود ، بحسب تعاليم التلمود » .

- « لا يسمح بإعطاء اللحم لغير اليهودى ، بل للكلب لأنه أفضل من غير اليهودى» .

- « إن بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات » - « الناس حيوانات فى صورة إنسان، وهم حمير وكلاب وخنازير ، يركبهم شعب الله المختار ».

- « النصارى والمسلمون وعبدة الأوثان ، خلقوا عبيدا لهم » .

- « اليهود منحدرون من الله ، كما ينحدر الابن من أبيه ، وشعوب الأرض

مـشتـقة من الأرواح النجـسـة ، ولم يعطوا صورة الإنسـانيـة ، إلا إكرامـا لبنى إسرائيل، ليتسنى لهم التعامل معهم » (١) .

- « قريب اليهودى . .هو اليهودى فقط » .

- « يلزم بغض غير اليهودى سرا » (٢) .

- غير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى إلا بالربا (٣) .

وقـال الرابى « يهوذا » : أنه مـصرح لليـهودى أن يقـرض أولاده وأهل بيتـه بالربا، ليذوقوا حلاوته ، ويقدروه حق قدره » .

* هنيئـا لكم أيها اليـهود بالربا ، وحـلاوته والجشع ومـرارته ، ويوم القيـامة سترون نتيجة التحريف على الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل .

- « الغاية تبرر الوسيلة ، يجوز استعمال النفاق مع الكفار » (٤) .

* والكفار فى نظر اليهود هم غير اليهود ، ومن هنا يدرك سر فلسفة اليهود فى ظلمهم ، وعـداوتهم للناس جميعـا ، إن نفاق اليهود معـروف ، أما كبرهم فـغير مألوف .

- « أنه مصـرح لليهودى أن يسلم نفسـه للشهوات إذا لم يسـتطع مقاومتـها - بشرط أن ذلك سرا » .

* ولم سرا ؟ أتخجلون . . ؟!

- ليس للمرأة اليهودية أن تشكو زوجـها إذا ارتكب الزنا فى مسكن الزوجية .

---

(١) همجيـة التعاليم الصهيـونية ص ٥٢ - ٦٣ بتصرف ، نقـلا عن البروتوكولات جـ ٤ ص ١٦٨ إلى ص١٨١ بتصرف ، الفصل الثانى من التلمود .

(٢) الفصل الأول من الكتاب الثالث من التلمود .

(٣) الفصل الخامس من التلمود .

(٤) الفصل الثالث من التلمود .

هكذا يقول التلمود !! [١] .

– إن كل الكبائر التى يرتكبها اليهود تغفر لهم مادام من يرتكبها يهوديا ويموت على دين اليهود [٢] .

* ثم ماذا بعد هذا التحريض السافر على ارتكاب الجرائم مع جميع الناس ؟ إن اليهود يبيحون ارتكاب جريمة الزنا فى بيت الزوجية وغيره أيضا ، وقد أباحوا الربا قبل ذلك ، وأجازوا القتل بغير حق ، وشجعوا على السرقة والكذب ، فماذا بقى من المنكرات والمحرمات فى شريعة اليهود ؟! ورأى التلمود أن كل المنكرات مباحة لليهود وجميع المحرمات حلال لليهود فلنأخذ حذرنا بعد أن كشف الستار ووضح المستور ، فاليهود أعداء الدين والعقل ،والإنسانية والخلق الكريم [٣] .

– ويقول التلمود : « بعد موت اليهودى تخرج روحه وتشغل جسما آخر أما اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهوديا ، فإن أرواحهم تدخل بعد موتهم فى الحيوانات أو النباتات ، ثم تذهب إلى الجحيم وتعذب مدة عام كامل ثم تعود ثانيا وتدخل فى الجمادات ثم في الحيوانات ، ثم فى الوثنيين ، ثم ترجع إلى جسد اليهود بعد تطهيرها، وهذا التناسخ فعله الله رحمة باليهود ، لأن الله أراد أن يكون لكل يهودى نصيب من الحياة الأبدية » .

– لا يدخل الجنة إلا اليهود وسيظل المسلمون فى النار إلى الأبد لأنهم لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم ، والمسيحيون يدخلون النار لأنهم لا يختتنون .

* كل الناس يوم القيامة فى النار إلا اليهود ، هذا ما يزعمه اليهود فى التلمود [٤] فتعجب لهذا التعصب . !!

---

(١) الفصل السابع من التلمود .

(٢) الفصل السادس من التلمود .

(٣) راجع .. « همجية التعاليم الصهيونية ، ص ٥٢ – ٦٣ بتصرف ، وبروتوكولات حكماء صهيون جـ ٤ ص ١٦٨ – ١٨١ بتصرف و «اليهود بين القرآن والتلمود » ص ٧٠ – ٧٧ بتصرف .

(٤) اليهود بين القرآن والتلمود ص ٦٥ ، ٦٦ (الفصل الخامس من التلمود) .

- كل الأرواح خلقت فى الأيام الستة الأولى للخليقة ، ووضعها الله فى المخزن العمومى فى السماء ويخرج منها عند اللزوم أى كلما حملت امرأة ، وخلق الله ستمائة ألف روح يهودية وفى كل يوم سبت تجدد عند كل يهودى روح جديدة مع روحه الأصلية ، وهى التى تعطيه الشهية للأكل والشرب ، وتتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله ، أما الأرواح غير اليهودية فهى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوان[1].

- إن المسيح لن يأتى إلا بعد القضاء على حكم الأشرار الخارجين عن دين بنى اسرائيل لذلك يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع امتلاك الأرض لأى أمة غير اليهود ، وهذا بيت القصيد «كى تظل السلطة لليهود وحدهم إذ من الضرورى أن يكون لهم السلطة أينما حلوا ،وإن لم يتيسر لهم ذلك كانوا منفيين وأسارى .

* ومن هنا يأتى حلم اليهود بأنهم سيملكون الأرض ومن عليها ، وما عليها ، وليس الغرض إلا أموالها [2] .

- ويعيش اليهود فى حرب طاحنة مع باقى الشعوب فى انتظار ذلك اليوم وسيأتى المسيح الحقيقى ويحقق النصر المنتظر لليهود .

* - نعم لليهود وحدهم دون غيرهم من عباد الله المخلصين .

- وتكون الأمة اليهودية يومئذ فى غاية الثراء ، لأنها تكون قد ملكت كل أموال العالم » [3] .

* فالذى يقرأ هذا التلمود - وخاصة من اليهود - يفهم بوضوح أنه لابد لليهودى أن يسرق ، وأن يقتل ، وأن يزنى ، وأن يظلم ، ويكذب ،وينافق، ويخون . . ولا حرج عليه.

---

(١) اليهود بين القرآن والتلمود ص ٦٥ (الفصل الخامس من التلمود) .

(٢) اليهود بين القرآن والتلمود ص ٦٩ (الفصل الخامس من التلمود) .

(٣) اليهود بين القرآن والتلمود ص ٧٠ (الفصل الخامس من التلمود) .

* هكذا تعاليم التلمود ، وهاهم اليهود ، فأين التسامح المزعوم ؟!

ولذلك لا تعجبوا مما يفعله اليهود مع الأسرى العرب ومع سكان البلاد العربية التى اغتصبوها لأن أعمال اليهود من إرشاد التلمود .

ومن هذا لا يعجب العرب ولا يحزنون إذا شاهدوا اليهود ينهبون أموالهم ، ويسرقون ديارهم ومحالهم ، ويستولون على ممتلكاتهم ، ويزنون بناتهم ونسائهم ويغتصبونهن لأن ذلك بإرشاد التلمود - ومن أجل ذلك التحريض السافر على السرقة والنهب والاغتصاب والقهر والظلم والفجور .

ولا يتحلى اليهودى ، ولا يمكنه أن يتحلى بالأمانة أو الصدق أو العفة أو النزاهة، لذلك يتغنى اليهود بالخيانة والغش والخداع والظلم والقهر ، فأين هذا التسامح المزعوم ؟ والمحبة المنشودة ؟ والعفو المرجو ، والعدل المنتظر منهم ؟

وهكذا كلما عرفنا ما جاء فى التلمود ، انكشف الستار عن اليهود .

« اليهود هم التلمود »

ومن هنا كانت تعاليم « التلمود » أوفى صورة لنفسية اليهود ، بل هى انعكاس لدخائل أعماقهم على صفحات كتاب ، كانطباع الصورة على المرآة ، فهى ترجمة صريحة لهذه الشخصية الموغلة فى الخبث والأحقاد ، حتى ليتساءل بعض الباحثين .. أيهما صنع صاحبه ؟ وأيهما الأثر أو المؤثر ؟!!

وفصل الخطاب فى الجواب .. أن كلا منهما تجسيد لصاحبه فى واقع الأمر ! «فالتلمود » تجسيد مكتوب لأخبث ما فى النفسية اليهودية من سخائم الضلال ، و«اليهودى التلمودى» هو تجسيد حى لهذه الشناعات المكتوبة والمنسوبة إلى الوحى زورا وبهتانا !

وإذا كانت ضلالة « السامرى » قد تغلغلت فيهم رغم وجود دوافعها وموانعها،

فإن ضلالات التلمود وجدت الطريق ممهدا فتمكنت .

أولا : لأنها وضعت فى عصور الشتات ، والقوم سماعون للكذب ، وخاصة إذا صدر من أحبار السوء .

ثانيا : لأنها جاءت بعد انقطاع النبوة من بنى إسرائيل ، وتحويلها عنهم لما كفروا بآخر أنبيائهم ، وقالوا عنه وفى أمه بهتانا عظيما !

ثالثا : لتوافقها التام مع ظلمات النفسية اليهودية الضالة !!

* ومن هنا نفهم كيف امتزجت هذه التعاليم بالكيان اليهودى وسرت فيه مسرى الدماء فى الخلايا ، ولهذا آمنت الجمهرة الكبرى من اليهود بهذه التعاليم الفاحشة ، وقدستها وأطاعتها عن رضا وفضلوها على التوراة ، والتزموا بها فوق التزامهم بسائر ما لديهم من وصايا وأسفار !! [١] .

ولا يزالون كذلك إلى يومنا هذا ، وهم أصحاب الكلمة والسلطان فى اليهود جميعا ومن يعارض التلمود منهم - على قلته - يعدونه ضالا ولا تأثير له البته ![٢] .

***

(١) راجع فى تفصيل هذا التفصيل كتاب « الكنز المرصود فى قواعد التلمود ص ٤٤ وما بعدها .

(٢) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، د / عبد الستار فتح الله سعيد ، ص ٤٥ ، ٤٦ ط دار الطباعة والنشر ، الثالثة سنة ١٤٠٥ هـ .

المبحث الرابع :

ثالثا : « بروتوكولات حكماء صهيون »

(أ) أهميته :

يعود اليهود فى استنباط نظمهم وقوانينهم إلى البروتوكولات ، كما يعودون إلى العهد القديم ، والتلمود ، على اعتبار أن ثلاثتها مقدسة لصدورها على ألسنة الأحبار والحكماء واشتمالها جميعا على مجموعة من التعاليم المهمة للفرد والمجتمع اليهودى ، ولذلك عد بعض العلماء البروتوكولات مصدرا من المصادر اليهودية المقدسة ، وقداستها تأتى من إخلاص اليهود لتعاليمها لها بالاحترام والتعظيم ، واعتبارها تراثا خالدا له أهميته فى المحافظة على دور اليهود مع سائر الأمم ، أى أن قداستها أمر اتفاقى .

ونظرا لما فى توجيهات البروتوكولات أحاطها اليهود بعناية خاصة تفوق سواها على أساس أنها تهتم بالقوانين المفيدة المتصلة بالحياة فى العصور الحديثة ، لدرجة أن اليهود ساعة أن رغبوا فى إهمال بعض تعاليم العهد القديم والتلمود حرصوا كل الحرص على المحافظة على نصوص البروتوكولات مجردة من كل تعليق أو شرح .

وإذا سلم أن الوحى الإلهى لم ينزل إلا على موسى عليه السلام ، وأن أغلب أنبياء بنى إسرائيل كانوا دعاة ومفسرين ومربين ، لو سلم هذا يكون القول بقداسة البروتوكولات فى مستوى القول بقداسة العهد القديم ، ماعدا أسفار موسى ، وبالتالى لا تقل البروتوكولات عن التلمود فى شىء .

وما دام اليهود ينظرون للتلمود نظرة خاصة لأنه ينظم الحياة اليهودية ويقنن العلاقات الاجتماعية والإنسانية ، فإن اليهود يرون فى البروتوكولات خطة عملية لتحقيق السيادة اليهودية الكاملة فى مملكة صهيون العالمية ، وإبراز الدور اليهودى فى كل نشاط وعمل على مستوى العالم كله ، ولذلك كانت نظرتهم إليها محوطة

بالعناية والتقدير والالتزام بكل ما جاء فيها سواء تعلق بسلوك الفرد أو بسلوك الجماعة . أ . هـ[١] .

(ب) معناه:

تعنى الترجمة الحرفية لكلمة « بروتوكولات » : محاضر جلسات ، أو مضابط الاجتماعات ، ولو فهم الاسم بهذا المعنى لأدى إلى أن البروتوكولات عبارة عن عدة قرارات تناقش حولها عدد من الأحبار فى عدد من المؤتمرات وحينئذ يكون اسمها العربى « قرارات » أو « مقررات » وواقع الحال ليس كذلك ، ولذلك كانت التسمية مجازية[٢] .

يقول نيلوسن : « نحن لا نستطيع أن نغفل الإشارة إلى أن عنوان البروتوكولات لا ينطبق تماما على محتوياتها ، فهى ليست على وجه التحديد مضابط جلسات ، بل هى تقرير وضعه شخص ذو نفوذ ، وقسمه أقساما بلا تناسق أو اضطراد » [٣] .

إن البروتوكولات مجموعة من الوثائق تضمنتها محاضرة طويلة استغرقت ثلاث جلسات ألقاها زعيم موقور المكانة على جماعة من ذوى الرأى والنفوذ من اليهود ليستأنسوا بها فى كل ما يقدمون عليه حتى تقوم مملكة إسرائيل ، ويؤيد ذلك المعنى فواتح بعض البروتوكولات ، ففى أول البروتوكول العاشر جاء : «اليوم سأشرع فى تكرار ما ذكر من قبل » وفى أول البروتوكول العشرين جاء : « سأتكلم اليوم فى برنامجنا المالى الذى تركته إلى نهاية تقريرى لأنه أشد المسائل عسرا [٤] .

---

(١) اليهودية د. احمد غلوش ص ٧٢

(٢) اليهودية د. احمد غلوش ص ٧٣ .

(٣) مقدمة البروتوكولات ص ٥

(٤) اليهودية ، د. احمد غلوش ص ٧٣ .

والبروتوكولات فى ترجمتها العربية تشتمل على أربعة وعشرين بروتوكولا تتصل جميعا بتنظيم اليهود ، وكيفية سيادتهم على غيرهم ، وتأسيس مملكة عالمية تعرف بمملكة سليمان . أ . هـ [١] .

(جـ) محتويات البروتوكولات :

تتكون البروتوكولات المنشورة من أربعة وعشرين بروتوكولا ، وفيها حديث عما يلى « مختصرا وبمعناه لا بنصه » :

- ضرورة استعمال القوة فى تسخير الناس الغرباء ، واستعمال الخديعة فى إقناعهم ، واللجوء إلى الخيانة ، والرشوة كلما أمكن ذلك ، ومع ذلك فمن الضرورى رفع شعارات ذات مدلول طيب بلا ناتج عملى [٢] .

- ضرورة إقامة حكومات هزيلة لحكم العالم مكونة من العامة ومن غير المدربين على الحكم ، مع استغلال قوة الصحافة وتأثيرها فى نشر نفوذ اليهود ، والتمهيد لحكومتهم العالمية ، وذلك بالذهب المكدس والمال الكثير والنساء الجميلات [٣] .

- ضرورة نشر الكراهية فى الأمم الأخرى ، وذلك بالوقيعة بين الحاكم والمحكوم ، وتشجيع عوامل الفقر ، وتدعيم الطائفية وإيجاد الانقلابات العشوائية، حتى يكون الناس على استعداد لتقبل حكم اليهود وسيطرتهم [٤] .

- ضرورة وجود أدوار تجتازها الجمهورية ، واستغلال الماسونية عند غير اليهود، مع المنافسة الدولية الاقتصادية ودور مضاربات عبادة الذهب [٥] .

---

(١) اليهودية د. احمد غلوش ص ٧٣ - ٢٧٤

(٢) البروتوكول الاول من بروتوكولات حكماء صهيون جـ ٢ ص ١٧٩ - ١٨٨ بتصرف ، عجاج نويهض ط طلاس - دمشق .

(٣) البروتوكول الثانى ج٢ ص ١٨٩ ـ ١٩١ بتصـ٤ف

(٤) البروتوكول الثالث جـ٢ ص١٩٢ - ١٩٩ بتصـ٥ف .

(٥) البروتوكول الرابع جـ٢ ص٢٠٠ - ٢٠٢ بتصرف .

– ضـرورة إبراز أفضـال الشعب المخـتـار ، وآثاره فى العلوم والمال والحكم ، ويجب إشاعة الحيرة فى الرأى العام وإيقاعه فى الاضطرابات [١].

– تنظيم احتكارات يهـودية اقتصـادية ضخمـة فى الصناعة والتجـارة يمكن بها القضاء على صناعة وتجارة الغرباء [٢] .

– ضرورة أن يكون لليهود جيش قوى يمكنه فى أى وقت تأديب الغرباء ، وفى نفس الوقت يجب نشر الفتن فى الأمم الأخرى حتى لا تكون لها قوة مؤثرة[٣] .

– وجوب استعمال الحقوق القانونية استعمالا غامضا للتضليل،واختيار الأعوان الذين يختارون من المركز الصهيونى مع التخرج العلمى الفائق المستوى[٤].

– تنظيم حكومـة صهـيونية تـعتمـد على خطة مرسـومة وتشـريع منظم ، مع ضرورة أن تعترف سائر الحكومات بحكومـة اليهود الدولية بمختلف طرق الخداع ، وتطبيق المبادىء الماسونية فى مادة التعليم الذى نعلمه الشعوب[٥] .

– استـغلال الفـضائح ، ونشر جـراثيم الأمراض وغـير ذلك من القـبائح مع الاحتفـاظ بالمظهر الخارجى للمسرح السـياسى بعبقرية « أولاد الحـرام » والاعتداد بالنفس [٦].

– تفصيل فى الوسائل التى تـتبعها الحكومة اليهودية لإخـضاع العالم والسيطرة على كل وسائل التـوجيه وبخـاصة الصحـافة والكتب ، ووضع برنامج الدسـتور

(١) البروتوكول الخامس جـ٢ ص ٢٠٣ - ٢٠٨ بتصرف .
(٢) البروتوكول السادس ص ٢٠٩ - ٢١١ بتصرف .
(٣) البروتوكول السابع ص ٢١٢ - ٢١٣ بتصرف .
(٤) البروتوكول الثامن ص ٢١٤ - ٢١٥ بتصرف .
(٥) البروتوكول التاسع ص ٢١٦ - ٢٢٠ بتصرف
(٦) البروتوكول العاشر ص ٢٢١ - ٢٢٨ بتصرف .
(٧) البروتوكول الحادى عشر ص ٢٢٩ - ٢٣١ بتصرف .

الجديد (٧).

– إثارة مطالب الرأى العام فى الأرياف مع التسلط على وسائل الإعلام (١) .

– نشر النظريات المفسدة والمبادىء الهامة ، مع الحاجة اليومية إلى الرغيف (٢).

– ضـرورة هدم الأديان الأخرى بإفسادهـا من الداخل والحط من شأن رجـال الدين وتأسيس الجـمعيات السرية للمـساهمة فى هذا الإفسـاد ، وبخاصة جمـعية الماسونية العالمية، وجمعيات من داخل أديان الغرباء (٣) .

– الانقـلاب أو الثورة يعم الـعالم فى وقت واحـد ، مع الإكـثار من المحـافل الماسونية والأساليب المتحايلة مع احتشاد أموال مع اليهود ، وحق القوي هو الحق الوحيد ولا غيره (٤) .

– إفساد التعليم عند الأمم الأخرى وبخاصـة الجامعى منه وتحويلها إلى منتديات عامة(٥) .

– وجوب مكافـحة الكنيسـة ، ومحاربة البـلاط البابوى ، ووجوب التـجسس على منوال منظمة « القبالا » (٦)مع سوء استعمال السلطة (٧) .

– وجـوب تدابير الدفـاع السريـة ، ومراقـبة المؤامـرات من الداخل ، وزوال الصبغة الدينية عن السلطنة ، وإلقاء القبض والاعتقال على أقل شبهة (٨) .

---

(١) البروتوكول الثانى عشر ص ٢٣٢ - ٢٣٩ .

(٢) البروتوكول الثالث عشر ص ٢٤٠ - ٢٤٢ بتصرف .

(٣) البروتوكول الرابع عشر ص ٢٤٣ - ٢٤٥ بتصرف

(٤) البروتوكول الخامس عشر ص ٢٤٦ - ٢٥٦ بتصرف

(٥) البروتوكول السادس عشر ص ٢٥٧ - ٢٦٠ بتصرف

(٦) والقبـالا : كلمة عبرية معناها التقليد أو التلقى للرواية الشـفوية ، وهى كمـصطلح أراد الباحثون به فلسـفة القبول ومـذهب القائلين بأن الإيمان هو قبول التراث والتـوفر على آداء الشعائر بالقـبول والتسليم .
انظر : الماسونية «رسالة ماجستير ، د. عبدالله سمك ، ص٨٣ بتصرف .

(٧) البروتوكول السابع عشر ، ص ٢٦١ - ٢٦٦ بتصرف .

(٨) البروتوكول الثامن عشر ، ص ٢٦٧ - ٢٧٠ بتصرف .

- التجريم فى المسائل السياسية والإعلان عن الجرائم السياسية واعتماد الحكومة اليهودية على الضعف والقهر فى إذلال الرعايا الغرباء (١) .

- تحديد الإيراد المالى وكيفية الحصـول عليه للحكومة اليهودية حتى تتمكن من القيام بواجبها ومهامها فى تحقيق سيادة اليهود على العالم كله (٢).

- استـغلال القروض الـداخلية والديون والضرائب ، وتحـويل الديون إلى أن تصبـح ما يقال له الـديون الموحدة وتعلن الدولة الإفـلاس وذلك عن طريق بنوك التوفير ، والدخل، وإلغاء الأسواق المالية (٣) .

- استـخدام الأسـرار والشعـارات مثل الـقدرة والخشـوع وسر مـا سيـأتى به الغد(٤).

- التقليل من الأدوات الكمالية ، ومـحو المجتمعات السابقـة وبعثها فى شكل جديد(٥) .

- تثـبـيت نسل الملك داود ، وتخـريج الملك وإعـداده للعـرش ، وله أعـوان ويكون فوق العيب (٦) . أ . هـ .(٧) .

---

(١) البروتوكول التاسع عشر ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ بتصرف .

(٢) البروتوكول العشرون ، ص ٢٧٣ - ٢٨٢ بتصرف .

(٣) البروتوكول الحادى والعشرون ، ص ٢٨٣ - ٢٨٥ بتصرف

(٤) البروتوكول الثانى والعشرون ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ بتصرف

(٥) البروتوكول الثالث والعشرون ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ بتصرف .

(٦) البروتوكول الرابع والعشرون ، ص ٢٩٠ - ٢٩٢ بتصرف

(٧) راجع أيضا اليهودية ، د. أحمد غلوش ، ص ٧٧ - ٧٩ بتصرف .

البروتوكولات « مخططات الهدم والتدمير »

وهى لمخططات قديمة قصد بها تخريب الشخصية الإسلامية وإعادة صياغتها على نمط فاسد ، ولكنها عدلت وأعيد النظر فيها على ضوء تجارب المعارك التى خاضها «المجاهدون » الإسلاميون ، وقلبوا بها كيد قرون !

وتتلخص خطوطها الأساسية - فى صورتها الجديدة - فيما يلى :

أولا : عزل القرآن عن الحياة عزلا صارما ، حتى يصبح كتابا تاريخيا متحفيا ، لا يجاوز تأثيره عجائز المساجد أو سرادقات المناسبات والمآتم .!!!

ثانيا : تفريغه من محتواه الخطير بضروب من سوء التأويل ، وتحريف التفسير ، وليّ معانيه من وجهتها الأصلية تحت ستار خدمة الدين ذاته ، وتجديده .. الخ

ثالثا : إطلاق الحياة الاجتماعية تركض - فى صخب وطنين - على عكس ما رسم القرآن حتى تصبح عودته للحياة مستحيلة بقدر انفصال الواقع عنه !!

رابعا : صياغة الفكر الجديد فى الأمة على نمط أعوج مستعار من الشرق أو الغرب ، وليس له شخصية أصيلة الجذور ، بل يدور على محور واحد هو مجافاة الإسلام منهجا، وفكرا وسلوكا بحيث يصبح المثقفون أعداء تقليديين للنمط القرآنى ، بلسان الحال أو المقال !!

خامسا : سحق الطلائع الإسلامية « الواعية » ، المنظمة التى تمثل الخطر الأكبر عليهم، باعتبارها طريق البعث الإسلامى القرآنى الذى لا يغلب إذا تمكن !!

* وهذا يفسر لنا كثيرا من الألغاز والطلاسم التى ماجت بها الساحة من حولنا، وخاصة جانبها المواجه لأعداء الله فى تخوم الأرض وحدودها .

* يفسر لنا - أولا : كيف استمات اليهود فى إنشاء الأحزاب الشيوعية فى بلادنا ، بل كان كبار أثريائهم هم الذين يمدونها بالمال ، والتخطيط والمطبوعات ، ووسائل الإفساد من خمر ونساء . . الخ

* يفسر لنا - ثانيا : سر موجات الانحلال المحمومة التى تتدفق على بلادنا عبر مخطط مرسوم يستخدم الأغانى الساقطة ، والمسرحيات الهابطة ، والأشرطة الماجنة والآداب الخليعة كقصص الجنس ، ناهيك عن الصحافة المنحلة ، والأزياء المثيرة لأدنأ الشهوات «تماما كما تحدثت البروتوكولات الصهيونية » !

* يفسر لنا - ثالثا :قضايا غريبة عسيرة الفهم مثل : الاستهزاء بعلماء الإسلام وإلغاء المحاكم الشرعية ، والإصرار على تعديل وتغيير قوانين الأحوال الشخصية . . الخ !!

* ثم يفسر لنا - رابعا : تلك الضراوة الوحشية الفاحشة فى معاملة الحركات الإسلامية[1] التى تمثل رأس الحربة فى قلب المخطط الشيطانى الزاحف ، وفى الوقت الذى تطلق فيه الحرية للشيوعية لتقوم بدور مرسوم فى تهديد العقائد والأخلاق وتأصيل الإلحاد والفساد ، ولقطع الطريق على نبت الإسلام وإيجاد تيار فكرى حركى يقارع التيار القرآنى فى أوساط الشباب ! وطوال العقود الثلاثة الماضية دوخت هذه المنطقة عن عمد وإصرار ، وضربت ألوان من الزيغ الاعتقادى، والزيف الفكرى ، والتهريج الدعائى ، حتى لا تهتدى إلى طريقها الأصيل ، ولا ترد القضية إلى إطارها الإسلامى المتفرد . !!

* وبينما كانت الأسفار والإصحاحات على بطلانها - تتلى فى الشاطىء الآخر ويتربى عليها إخوان القردة والخنازير من يهود ، كان « الإسلام » العظيم يعزل عن عمد، وينحى عن الساحة فى ضراوة ، ويطارد فى الفكر والواقع كأنه وباء

---

(١) الحركات الاسلامية : هى الحركات الراشدة الفاقهة ، لا الحركات المتشنجة المتعصبة التى أساءت إلى الإسلام والمسلمين .

(٢) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، ص٦٣ - ٦٦

عاصف!! ولذلك جاء حجم الهزيمة هائلا رهيبا مخزيا ، كما قلنا ولكنه كان أبلغ دليل على أن الإسلام ضرورة حياة ، ومصير ، ووجود لهذه الأمة إن أرادت الحياة، فضلا عن كونه دين الله ومنهاجه لعباده (٢) .

« التعصب والحقد دين اليهودية »

« إن اليهود أمة تحمل فى أعماقها خصائص نفسية بالغة التعقيد ، وتنطوى على أخلاق غاية فى العوج والالتواء ، ولذلك تموج صدورهم بحقد طافح على الناس جميعا ، وتتأجج جوانبهم - دائما - بوحر هذا الغل المحتدم ، فيسعون في الأرض فسادا ، ولا يرون لأنفسهم راحة وسعادة إلا على أنقاض الآخرين ، ولا يستريحون إلا بالدس والكيد ، والتآمر والبغى ، والتخريب والانتقام !

وإنه لأمر عجاب أن توجد أمة من البشر على هذا النمط فى سلسلة واحدة عبر الأزمنة والأمكنة وتتأصل فى أجيالها جميعا كل خلائق السوء إلى هذا الحد الرهيب !

ويكاد العقل ينكر هذا للوهلة الأولى ، ولا يصدق استمرار هذا السعار النفسى فى الجيل بعد الجيل ، على امتداد أكثر من ثلاثة آلاف سنة !

ولكن هذا فعلا هو واقع اليهود وديدنهم ، بل هو دينهم الذى صنعوه لأنفسهم، وأشربته قلوبهم على تعاقب القرون والأجيال ، حتى صار كأنه سليقة مكتسبة تنتقل مع « حاملات الوراثة » إلى دماء الأخلاف عن الأسلاف !

فالمشكلة اليهودية ترجع ابتداء وانتهاء إلى نوعية « الشخصية اليهودية » ذاتها ومادرجت عليه من بغضاء وإيذاء !

وكانت جناية الجنايات فى التربية اليهودية جعلهم ذلك كله دينا وعقائد ، وشعائر وشرائع ، ينسبونها بزعمهم - إلى الوحى الإلهى ، فتضفى ستارا من القداسة الدينية على هذه الأخلاق الدنيئة وتعطيها حوافز الإلزام والاحترام لدى

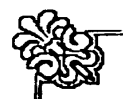
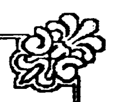
الأجيال اليهودية !!

وقد أمعن أحبارهم فى اختلاق القصص والتعاليم التى تؤجج سعارها وضراوتها كلما ونت فى الصدور ، أو خمدت جذوتها بتتابع العصور ، وبذلك استقرت، واستمرت وتشابهت فيها قلوب الأولين والآخرين !! وهذا الحقد اليهودى موجه إلى الناس جميعا من قديم ، ولم يفلت منه أمة قط ، بل إنهم ليمدونه إلى عالم الغيب ، بعد أن ضاقت عنهم الأحياء والأشياء فى عالم الشهادة . وهذه حقيقة تاريخية معروفة ومؤكدة ، ولم يجلّها على نطاق واسع إلا القرآن العظيم الذى فصل أمرها وردها إلى جذورها ومنابعها العفنة ،كشف مداخلها ومخارجها فى « النفسية اليهودية » وساق للناس دلائلها من واقع التاريخ اليهودى الذى كان قد طمس ، وجهلت حقائقه وحوادثه ، وما وراءها من بواعث وأهداف !

« والقرآن العظيم - كما سنرى فى هذه الدراسة - يتفرد بشمول حديثه عن هذه الشخصية اليهودية المعقدة ، وباستخراج المقومات الثابتة والمشتركة فى أفرادها . والتى يمكننا على ضوء استقراء مكونات هذه النفسية ، وفهم اتجاهاتها ، وتصور ردود الفعل عندها ، واحتمالات تصرفاتها المنعكسة عن أعماقها وأخلاقها» !![1].

---

(١) معركة الوجود بين القرآن والتلمود، د. عبدالستار فتح الله سعيد ، ص ٦٣ ـ ٦٦ .

الفصل الثانى

تعصب اليهود فى القرآن والسنة

المبحث الأول : تعصب اليهود في الجانب النظري .

المبحث الثاني : تعصب اليهود في الجانب العملى .

المبحث الثالث : نقض المعاهدات وتدبير المؤامرات




المبحث الأول

« تعصب اليهود فى الجانب النظرى »

لقد أخبرنا القرآن الكريم عن كثير من صفات اليهود التى تمثل حقيقة «الشخصية اليهودية» وتمثل خصائصهم الذاتية الثابتة ، ومقوماتهم النفسية المشتركة، الملازمة لهم في كل عصورهم لزوم شهوة وهوى واكتساب ، لالزوم جبلة وإجبار [١] ، وهى تكشف عن تعصب اليهود فى كل شىء ، ومنها :

(١) الكفر والتطاول على الله عز وجل ، فيما حكاه القرآن الكريم عنهم : ﴿**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ..**﴾ [٢] ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ..** ﴾ [٣] ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ..** ﴾ [٤] .

﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** ﴾ .. الآيات[٥] .

(٢) تطاولهم على الملائكة :﴿ **قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ، من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** ﴾ [٦] .

الكلام مسوق ردًا على اليهود حين زعموا أن جبريل عدو لهم .

(٣) ووقاحتهم الدائمة مع رسل الله ﴿ **لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون**﴾[٧]

---

(١) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، د / عبد الستار فتح الله سعيد ، ص ١١٥ بتصرف

(٢) سورة آل عمران : ١٨١

(٣) سورة المائدة : ٦٤

(٤) سورة التوبة : ٣٠

(٥) سورة البقرة : ٨ ، ١٦

(٦) سورة البقرة : ٩٧، ٩٨

(٧) سورة المائدة : ٧٠

وكذلك ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾ (١) ويلاحظ هنا استعمال أداة العموم والتكرار « كلما » تعبيرا عن اطراد اليهود على التكذيب أو القتل للرسل إذا جاءهم بما لا تهوى أنفسهم الضالة!

(٤) واستخفافهم بالوحى والكتب الإلهية - دأبهم وغرامهم - وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾(٢) إنهم أحبار السوء الذين اختلقوا هذه التعاليم ونسبوها زيفا لله رب العالمين ، هذا فضلا عن الكتمان ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار .. ﴾ (٣) .

* وليس هذا فقط ، ولكن هناك ما هو أدهى وأمر ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا .. ﴾ (٤) .

(٥) واحترافهم التزييف والتحريف ، فهم لم يكتفوا بالاستخفاف والكتمان ، ولكن لليهود مقدرة عامة على تزييف الوقائع واختلاقها ، وتحريف الحقائق عن مواضعها ، حتى كأنها حرفة حياتهم ،أو سجية فى تركيبهم الخلقى والنفسى ، لا يستشعرون فى مزاولتها ما يستشعره غيرهم من لوم الضمير وتأنيب النفس ، إذ اليهود قد ماتت مشاعرهم ، وقست قلوبهم ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه .. ﴾ (٥) .

فهناك إذن ارتباط وثيق بين قسوة القلوب وبين هذا التحريف ﴿ ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد

(١) سورة البقرة : ٨٧
(٢) سورة آل عمران : ٧٨
(٣) سورة البقرة : ١٧٤
(٤) سورة الأنعام : ٩١
(٥) سورة المائدة : ١٣

مواضعه .. ﴾[١] كما قال عنهم ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا .. ﴾[٢] فاليهود يحرفون كل شيء حتى ولو كان كلام الله تعالى ! وهم لا يفعلون ذلك ناسين أو جاهلين وإنما يزاولون التحريف عامدين ، عالمين بخطورة وضراوة ما يفعلون . [٣] .

﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ [٤]

(٦) واستهانتهم بأمور الدين واستخفافهم بالنار ، ومنه قوله تعالى :﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون﴾ [٥] ومع هذا كله يبلغ بهم الافتراء إلى حد احتكار الجنة لأنفسهم ، ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ [٦] .

والسر فى هذا هو اختلال عقيدتهم ، فاختل - بعدها فى نفوسهم وسلوكهم كل شيء وتبجحوا فى الكفر ، كما قال تعالى :﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [٧] كما قال عنهم : ﴿ قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ، قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [٨].

(٧) وكذلك - قسوة قلوبهم إلى حد الهمجية والوحشية التى أدت بهم إلى الضلال البعيد فقد احترفوا الخطايا احترافا ،كما قال تعالى : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ [٩] والقسوة :

---

(١) سورة المائدة : ٤١ — (٢) سورة النساء : ٤٦
(٣) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، ص ١٢٣ - ١٢٥ بتصرف
(٤) سورة البقرة :٧٥ — (٥) سورة آل عمران : ٢٤
(٦) سورة البقرة : ١١١ — (٧) سورة آل عمران : ٢١
(٨) سورة آل عمران : ٩٨، ٩٩ — (٩) سورة المائدة : ١٣

الصلابة واليبوسة ، وهى صفة ملازمة لليهود فى بداوتهم وحضارتهم ، وإلى يومنا هذا مهما كانت درجتهم من العلم والثقافة والرقى ، ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون** ﴾ (١) والقلب الأغلف هو المغطى بأغشية ثقيلة بحيث لا يعيى ولا يفقه ، ولا ينفذ إليه شىء إلا ما أشربه من هواه ، بل يصل القرآن العظيم إلى أغوار هذه النفسية الغائرة ، فيبين درجة القساوة ، فيقول - مخاطبا اليهود ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله ..** ﴾ (٢)

وماذا يتوقع من قوم أقسى قلوبا من الحجارة ؟ غلف الأفئدة ؟! (٣) .

(٨) ومن صفاتهم : الغدر ونقض العهود : قد يقبل اليهودى أن يعاهد مسلما، ولكنه بين العقد والنقض يظل اليهودى كالثعلب الجبان ، يتلفت ويترقب الفرصة أو يوجدها لينقض تحت أمان العقد وغفلة الخصم ، والقرآن العظيم يقرر أن هذه خطة يهودية دائمة فيقول - علي سبيل الحصر والشمول : ﴿ **الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون** ﴾ (٤) ويشير القرآن بأسلوب التكرار المطرد كالآية السابقة ، وكقوله تعالى : ﴿ **أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون** ﴾ (٥).

وقد ظهر مصداق هذا فى كل تصرفاتهم القديمة والمعاصرة على سواء وتواطأت على هذا الدرب أجيالهم . ﴿ **وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله** ﴾ (٦) ابتداء من عهودهم مع الله تعالى ، على يد كبار أنبيائهم، كما قال تعالى: ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم..** ﴾ (٧).

---

(١) سورة البقرة : ٨٨ (٢) سورة البقرة : ٧٤

(٣) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، ص ١٢١ - ١٢٣ بتصرف .

(٤) سورة الأنفال : ٥٦ (٥) سورة البقرة : ١٠٠

(٦) سورة النساء : ١٥٤ ، ١٥٥ (٧) سورة البقرة : ٩٣

وانتهاء بما صنعوه مع النبى محمد ﷺ من غدر ونقض للعهود فى أحرج الظروف وأحلك المعارك ، كما صنع « بنو قريظة » يوم الأحزاب ، ولا يزال تاريخ اليهود مستمرا ، يصدق ما حكاه القرآن عن أخلاق اليهود التى دمغت بالغدر ، وطبعت على نقض العهود تحت أفانين من الخداع ، والمبررات الكاذبة وتزييف المعانى والمفاهيم ، وفلسفات الاستحلال التى يجيدونها وتجرى منهم مجرى الدم!!

والعهد عند اليهودى ضرورة مرحلية يعقده لأجلها ، ثم ينقضه بانتهاء ظروفها ومنفعتها !! ناهيك عما صنعه اليهود مع غير الأنبياء ولا زالوا يفعلونه من غيرما خجل ، ولا اعتبار للقيم والأخلاق ، ولا التزام بشرف الكلمة ، أو حسن السمعة، تماما كما قال القرآن عنهم فى تعبيره الجامع « وهم لا يتقون » والأمثلة على ذلك كثيرة معروفة مشهورة ، والبقية آتية لا محالة !! [(١)].

(٩) غاية الحقد والحسد . فلقد انطوت « النفسية اليهودية على حقد بالغ ، وغل أسود ، وحسد عاصف للناس عامة وللمؤمنين منهم خاصة ، حتى أرادوا حكر الخير على أنفسهم وجعل رب العالمين لهم فقط ، قال تعالى : ﴿ أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا . أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .. ﴾ [(٢)].

بل لقد سبقوا المشركين وأهل الأوثان فى كراهية أى خير يصيب المسلمين ، ولو كان محض فضل وعطاء من رب العالمين ، ﴿ مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم .. ﴾ [(٣)].

وإذا كان المشركون لهم مبرر من الشرك والجهل ، فلا مبرر لليهود إلا داء الحقد والحسد الذى ظل يأكل صدورهم حتى تدلوا إلى حضيض سحيق ، تمنوا

(١) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، ص ١٣٤ ، ١٣٦ بتصرف
(٢) سورة النساء : ٥٣ ، ٥٤
(٣) سورة البقرة : ١٠٥

فيه كفر الناس على الإيمان بالله ودينه ووحيه الجليل : ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق..** ﴾ (١) .

حتى وصل بهم – هذا الحقد والحسد إلى حان فضلوا فيه وثنية قريش على التوحيد الخالص الذى جاء به محمد ﷺ وحرصوا على فتنة المؤمنين ، وأن يرجعوهم كفارا يدحضون فى حمأ الجاهلية ، وهذا أدنأ موقف يقفه أقوام يفترض فيهم أنهم أهل الكتاب الأول ، وأصحاب دين وأتباع رسالة سماوية ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾(٢)

إن الحقود اللدود لا يصلحه شيء في الوجود ، والنار لا يزيدها عصف الرياح إلا اشتعالا وكذلك اليهود – دائما – ولذلك يرتفع صوت القرآن العظيم فى معركة المصير محذرا المؤمنين ،وكاشفا عن أعماق اليهود ، بقوله : ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ..** ﴾ (٣) اليهود أولا قبل المشركين .

وكذلك بقوله : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون** ﴾ (٤) .

وما أجمل هذه اللفتة القرآنية في ختام الآية الكريمة ، فهل يعقل المسلمون بيان ربهم الأعلى ، وهل يعون هذه المعانى القرآنية الهادية (٥) ﴿ **ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾(٦) .

(١٠) **الإفساد فى الأرض** : ماذا ينتظر من قوم تجمعوا على هذه الصفات

---

(١) سورة البقرة : ١٠٩ (٢) سورة النساء : ٥١

(٣) سورة المائدة : ٨٢ (٤) سورة آل عمران : ١١٨

(٥) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، ص ١٣٨ ، ١٤١ بتصرف

(٦) سورة آل عمران : ٦٩

العاتية ، قلوبهم أقسى من الحجارة وأخبار السوء يمدونهم فى الغى مدا ، ويبررون لهم كل منكر . . لذلك كـان اليهـود - فى كل مكان نزلوا فـيه ، وفى كل جـيل عاصروه وعايشـوه ، وفى كل موقف من مواقف الحياة - أداة إفـساد وتدمير ، لا تعرف خلقا ولا رحمة ولا عهدا ولا ذمـة حتى قال واحد منهم « نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ، ومحركى الفتن فيه وجلاديه »[1].

والقرآن العـظيم يقرر عنهم هذه الحـقيقـة الإجرامـية بشتى الأسـاليب فيـقول سبـحانه - آمرا نبـيه والمؤمنين مناقـشة اليهـود بحساب ، وكـاشفا لهم مـخازيهم وجرائمهم -- ﴿ **قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ومـا أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون** ﴾[2]

فسـر النقمـة اليهـودية هو الإيمان بالله ورسالاته ، وتسـتمـر الآيات فتـذكرهم بمواقف هى شـر من بغض المؤمنين ﴿ **قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل** ﴾[3] .

ثم تبرز إحـدى الخصائص التدمـيرية التى يستـعملها اليـهود فى إفساد العـقائد وتهديم الأخـلاق ، وهى صفـة النفاق ﴿ **وإذا جاءوكم قـالوا آمنا وقـد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون** ﴾[4] .

ثم تأتى الآية الكريمة بعدها فـتسجل عليهم تهـافتهم فى التخـريب والاعتداء ، وأكل الحرام فى أبـشع صوره ﴿ **وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثـم والعدوان وأكلهم السحت لبئس مـاكانوا يعلمون** ﴾[5] ولسائل أن يعجـب من هذه المسارعة فى كل باطل ويتـسـاءل محـقا : وأين عـلماؤهم وأهل الرأى فـيـهم ؟ لقد كـان

(١) قول أوسكار ليفي اليهودى .
(٢) سورة المائدة : ٥٩
(٣) سورة المائدة : ٦٠
(٤) سورة المائدة : ٦١
(٥) سورة المائدة : ٦٢

الصالحون منهم قلة ، يضيع صوتها فى جلبة المنكر ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾ (١) .

ثم تأتى ختام الآيات الكريمة وتذكر أشنع شناعاتهم فى العقائد وتردها عليهم وتسجل عليهم جملة من خصال السوء الجديرة بالتأمل الواعى لمن أراد فهم هذه النفسية الحاقدة ورغب فى إتقان التعامل معها بما هى له أهل ، على ضوء حقائق الوحى الأعلى ، وأول هذه الخصال : أن الحق لا يزيدهم إلا طغيانا وكفرا ، فهم أعداء الحق دائما ، وثانيها : أن قلوبهم تفور بالعداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، وثالثها : أنهم وَقّادوا الفتن والحروب بين الشعوب ، ورابعها : أنهم يجدون - ويجددون - دائما فى إفساد الأرض كلها ، وخامسها : أن الله تعالى لهم بالمرصاد، لأنه لا يحب المفسدين ولا الفساد . ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلي يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ﴾ (٢) .

وفى القرآن العظيم آيات كثيرة يسرد فيها سلسلة من مآسيهم المفزعة ، وفى عصورهم المختلفة مرتبطة بوقائع تاريخية محددة ، تكشف ألوانا وضروبا من هذا الإفساد العتى الرهيب ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا . ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ (٣) .

---

(١) سورة المائدة : ٦٣

(٢) سورة المائدة : ٦٤

(٣) سورة النساء : ١٥٣ ، ١٥٤

فـمـاذا صنع اليـهود بـعد العـفـو ، والآيات والمواثيق ؟ يتـابع القـرآن سـرد فواجعهم . .

﴿ فبما نقـضهم ميثاقهم وكـفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغـير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الـله عليهـا بكفرهم فـلا يؤمنون إلا قليـلا ، وبكفرهم وقـولهم على مريم بهـتانا عظيـما . وقولهم إنا قـتلنا المسيح عـيسى ابن مريم رسـول الله وما قتلوه وما صلبـوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ﴾ [١] .

ثم تختـتم الآيات **﴿ فـبظلم من الذين هادوا حـرمنا عليـهم طيبـات أحلت لهم وبصدهم عن سـبيل الله كثيـرا . وأخذهم الربا وقد نهـوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾** [٢] .

سبحـان الله : ما هذا الافتراء علـى الله ، والكذب على رسل الله ، بل قتل الأنبياء ، وما هذه الاتهامات . . ؟!

فـأى أمة - فى التـاريخ كله - تبلغ فى النكارة والإفك مـبلغ هؤلاء اليهـود ؟ خمس عشـرة نقيصة من أخبث كـبائر الإثم والفواحش يسجلهـا عليهم القرآن فى موضع واحد ، وتلك الخصائص لا تزال من أبرز سمـات اليهود المعاصرين تخطيطا وسلوكا وتعاملا بين الناس !! [٣] .

(١١) ومنها : الاستهانة بالأخلاق والحرمات والشرائع : وقد أوغل اليهود فى ذلك إيغـالا رهيبا حـتى صاروا أئمـة بلا منازع ، وعلمـه المنفرد بين النـاس قديما وحديثا على سواء .

ولذلك يعبر القرآن العظيم عن خطايا بنى إسرائيل بصيغ المبالغة ، قال تعالى :

---

(١) سورة النساء : ١٥٥ . ١٥٧

(٢) سورة النساء : ١٦٠ ، ١٦١

(٣) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، ص ١٤٢ إلى ص ١٤٨ بتصرف

(٤) سورة المائدة : ٤٢

﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت .. ﴾ [٤] ومع هذه المبالغة المظلمة تجدهم خفافا إلى الإثم ، طيارين إليه كلما لاحت لهم بوارقه وكأنهم لا يشبعون ولا يملون .

﴿ وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت .. ﴾ [١] إننا نستطيع القول بلا أدنى مغالاة – أنه مامن موبقة من الكبائر والفواحش إلا وقد شاعت فى بنى اسرائيل بل كانوا يسارعون فى ذلك ويتهافتون عليه . كما سجل عليهم القرآن وبأسلوب « المبالغة » هذا مع تحايلهم على استحلال محارم الله عز وجل ، كما قال تعالى : **﴿ واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾** [٢] .

(١٢) لا أمانة ولا خلق : يندد القرآن العظيم بكل أضاليل التلمود المخترع ، وبوضاعيه ومنفذيه ، فيقول : **﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾**[٣] .

فالقرآن العظيم ينصف – كعادته – ويقرر أن اليهود منهم الأمين – على القول بأنها فى اليهود فقط ، وقد قيل « يؤده اليك » « فى النصارى » ، و « لايؤده إليك » فى اليهود ،والناظر فى التلمود يدرك أسرار هذا الأمر وتلك الجرائم – ومنهم الخائن الذى يجحد أمانته إلا إذا قام صاحبها على رأس اليهودى ملحا ومطالبا ، وهذا الصنف موجود فى كل الأمم ،فما سر تخصيص اليهود ؟ هنا يكشف القرآن العظيم « سر اليهودية » الذى يمثل أفظع جناياتها والذى انفردوا به من دون الناس ، ذلك أنهم جعلوا هذه الجرائم قربات وتلك المفاسد عبادات ،

---

(١) سورة المائدة ٦٢

(٢) سورة الأعراف : ١٦٣ .

(٣) سورة آل عمران : ٧٥ ، ٧٦

وإن لم يكن من ضروب التقوى فهى - فى أقل الأحوال - حلال ، لذلك أورد القرآن القاعدة اليهودية ﴿ **ليس علينا في الأميين سبيل** ﴾ ويتبعها بما يبرىء ساحة «الوحى» من هذا الدنس ويقولون على الله الكذب والإصرار على استخدام الإيمان - كذبا - مع الأغيار فى صلب تعاليم « التلمود » الحقود ، لذلك بالغت الآية الثالثة بعد ذلك في استنكار الأمرين ، وتوعدت عليهما بأقسى العقوبات من الله تعالى ﴿ **أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾ (١)

ولذلك تأتى الآية الرابعة هنا فتطرق على رأس الأفعى من أحبار السوء ، الذين اختلقوا هذه التعاليم ، ونسبوها زيفا لله رب العالمين ﴿ **وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** ﴾ (٢) وهذه هى «حقيقة اليهودية التلمودية » (٣) .

(١٣) إصرارهم على الكفر ، ودعوة الناس إليه كما قال تعالى : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ..** ﴾(٤) هذا ويستبين الحق لهم واضحا ناصعا ولكنهم لن يتبعوه ، كما قال تعالى : ﴿ **ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذًا لمن الظالمين** ﴾(٥) بل هم لا يكتفون بهذا ولكنهم يجاهدون باطلا لردة الناس عن دينهم ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾(٦) وكما قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل** ﴾ (٧).

---

(١) سورة آل عمران ٧٧ (٢) سورة آل عمران ٧٨
(٣) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، ص ١٢٨ ، ١٣١ بتصرف
(٤) سورة البقرة ١٢ (٥) سورة البقرة ١٤٥
(٦) سورة البقرة ٢١٧ (٧) سورة النساء ٤٤

(١٤) الشماتة والأذى : قال تعالى : ﴿ إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم .. ﴾ [٢] .

(١٥) النفاق والإجرام ، كما قال تعالى : ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾ [٣] وقوله تعالى : ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يعلم إنهم لكاذبون ﴾[٤] وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾[٥] .

(١٦) السفهاء من الناس : قال تعالى : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها .. ﴾ [٦] .

(١٧) أصحاب الجدل العقيم : لقد اشتهر من قديم بغاية الجدل والمماحكة ولجاجة القول وسوء المراجعات ، فهم يجادلون بالحق أو بالباطل مع الله ومع أنبيائه ، وقد ذكر الله عز وجل لنا نموذجا من هذا في القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي .. ﴾ [٧] الآيات ، فقد أورد القرآن العظيم قصة مجادلتهم في البقرة مثلا على هذا اللجاج العجيب ، مع أن « موسى » – عليه السلام قد أسند الأمر صريحا إلى الله عز وجل ، هذا وقد سميت السورة باسم البقرة تحذيرا من اليهود ومن أفعالهم على السواء . والعجيب أنهم ينقادون في السوء ، وتقل مجادلتهم لأحبارهم ، بل هم كما قال القرآن

---

(١) سورة التوبة : ٥٠ (٢) سورة التوبة : ٦١
(٣) سورة التوبة : ٦٧ (٤) سورة التوبة : ١٠٧
(٥) سورة المنافقون : ١ (٦) سورة البقرة : ١٤٢
(٧) سورة البقرة : ٦٧ ، ٧٤ (٨) سورة التوبة : ٣١

الكريم : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ (٨) .

(١٨) اتباع الشيطان والتمثل بالحيوان : فقد وصفهم القرآن العظيم ﴿ .. وإذا خلوا إلى شياطينهم .. ﴾(١) يعنى أحبار السوء من يهود الذين كانوا « الشياطين » الموسوسين للمنافقين ، ثم هم أخلق الناس بأوصاف الدواب والحيوانات التى أطلقوها على غيرهم ، وفى هذا يقول القرآن عنهم : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾(٢) كما قال تعالى عنهم - بما يتكافأ وضلالهم - ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾ (٣) .

وأعجب مثال فى القرآن العظيم لهم ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ، ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾(٤).

(١٩) الاستعلاء العنصرى : اليهود أبشع دعاة التفريق العنصرى من قديم ، وغلاته الأولون ذلك لأن بنى إسرائيل تفردوا من بين الأمم بآفتهم المتكررة وخطيئتهم المدمرة ، حتى جعلوا ذلك « عقيدة ودينا » ونسبوه إلى الوحى الأعلى، وسجلوه فى صلب كتبهم الدينية على أنه حقائق إلهية ، ومقررات نبوية ، فيقول تعالى - حكاية لزعمهم الخطير : ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾(٥) وهذا برهان ساطع يبطل كل قول بالبنوة أو « المحبة الخاصة » بل هذا البرهان فى بنى إسرائيل هو تاريخهم كله ، فإن أحدا لم يذق عذابا كعذابهم ، لأن أحدا لم يذنب كذنوبهم

---

(١) سورة البقرة : ١٤
(٢) سورة الجمعة ٥
(٣) سورة الأنفال : ٥٥
(٤) سورة الأعراف ١٧٥ ، ١٧٧
(٥) سورة المائدة : ١٨

كما يرد عليهم القرآن الكريم هذا الزعم بقوله تعالى : **﴿ قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾** [١] .

فيصف القرآن العظيم دعوى اليهود بأنها زعم و « الزعم مطية الكذب » كما تقول العرب !!

(٢٠) الشعب الملعون وسقوط الشعب المختار : لقد اختار الله هذا الشعب - فى البداية ليكون صاحب رسالة يقوم بحملها فى العالم القديم ، وفضلهم بذلك على العالمين في زمانهم ولم يكن هذا الاختيار بسبب العنصر أو العرق أو النوع أو اللون ، أو السلالة الخاصة ، أو غير ذلك من دعاوى وأباطيل الجاهليات البشرية فى كل العصور ، وإنما كان « تكليفا لبنى إسرائيل واختبارا » لابتلائهم : أيشكرون أم يكفرون ؟

ولهذا قرن القرآن العظيم الأمرين جميعا « الاختيار والاختبار » فى آيتين متتاليتين **﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين . وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ﴾**[٢] ولكن اليهود سقطوا - فى هذا البلاء - سقوطا شنيعا ذريعا تفردوا به بين العالمين أجمعين بما حرفوا فى دين الله ، وزيفوا فى معالم الوحى ، وبما عصوا وكانوا يعتدون . . الخ وبذلك سلبوا عن أنفسهم شرف حمل الرسالة وأداء أمانة الوحى !

ولذلك غضب الله تعالى عليهم غضبا أبديا ، ولعنهم لعنا عارما باعتراف

---

(١) سورة الجمعة : ٦ ، ٧

(٢) سورة الدخان : ٣٢ ، ٣٣

(٣) من الملاحظات العجيبة أن أسفار العهد القديم تفيض فيضًا بلعن بنى إسرائيل وبيان جرائمهم وآثارهم ، كالشرك والزنا الشائع ويراجع على سبيل المثال فقط سفر الخروج ، إصحاح ٣٢ ، سفر الملوك الثانى ، إصحاح ١٧ وسفر أشعيا ، إصحاح ١ ، ٣ وسفر ارمياء ، خاصة الإصحاح ١ ،٢ ، ١١ ،وسفر حزقيال، إصحاح ٢ ، ٣ ، وأكثر من هذا ما نسب إلي يحيى وعيسى عليهما السلام فى الأناجيل النصرانية!!

كتبهم الدينية ذاتها ، وفى عهودهم المتتابعة ، وعلي ألسنة كبار أنبيائهم وصالحيهم.[٣] .

ويقرر القرآن العظيم هذه الحقيقة الصارمة ، ويكررها ويؤكدها فى كل مجال أو مقام تحدث فيه عن بنى إسرائيل ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾[١] .

(٢١) ملازمة الذلة والمسكنة : لقد رأينا كيف انحط وهوى « الشعب المختار » بذنوبه الفاحشة وضلالاته الفلاظ ، فلقوا جزاءهم ، قال تعالى : ﴿ وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾[٢] .

ويؤكد القرآن هذا المعنى مرة أخرى ، ويضيف حقائق جديدة ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾[٣] .

والآية الكريمة اتفقت مع سابقتها فى الحكم وأسبابه وزادت أمرين على جانب كبير من الأهمية الأول : أن هذا الحكم قد ضرب عليهم فى كل مكان يحلون فيه ، أو فى كل قتال يشتبكون فيه مع المؤمنين « أينما ثقفوا » .

الثانى : يحدث أحيانا « استثناء » تقتضيه حكمة الله تعالى وعلمه المحيط بكل شىء فيمدهم بأسباب منه ، أو من بعض الناس ليتم سبحانه وتعالى أمرا ما فى أرضه وخلقه ، وهذا واقعهم المتكرر ![٤] .

(٢٢) وحدة النفسية وتماثل النقائص : إن اليهود - بما ذكر عنهم - يقصرون

---

(١) سورة المائدة : ٧٨ ، ٧٩ (٢) سورة البقرة : ٦١

(٣) سورة آل عمران : ١١٢

(٤) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، ص ١٥٧ ، ص ١٦٢ ، ص ١٦٩ ، ١٧٢ بتصرف .

تلك الصفات على أزمانها ويخصونهـا ، بأجيالها ، هذا إن اعترفوا بأصلها ، ولم ينكروها من أساسها ، كما فعلوا مرارا مع النبى ﷺ !

والمتأمل فى حديث القرآن العظيم عن بنى إسرائيل يجد فيه « ظاهرة » عجيبة، غير معهودة فى الخطاب ، ولا مألوفة فى العتاب ، أو الحساب أو العقاب ، إذ يخاطب الأخلاف منهم بذنوب الأسلاف ، ويحاسب الحاضرين عن سفاهات الغابرين ويحكم على أجيالهم - حتى المقبلة منها بأدوات الحصر والعموم ، ويدمغهم جميعًا باللعنة والغضب ويؤذنهم من قديم بأن الله سيبعث عليهم سوء العذاب إلي يوم القيامة إلا قلتهم الصالحة !

ومن أمثلة ذلك فى القرآن العظيم ﴿ **الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتي يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين** ﴾ [1] .

والآية تحكى مقالة يهود المدينة ، وتسند مجىء الرسل السابقين وقتلهم إليهم وبينهم مئات السنين ، ومئات الأميال ، وعديد الأجيال ، ويقول تعالى - فى مثل هذا المعنى عن يهود المدينة أيضا ﴿ **وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين** ﴾ [2] إن هاهنا ألبتة « نفسية واحدة » متماثلة الخصائص والنقائص ، يتوجه إليها الخطاب والحساب على درجة واحدة ، بل يأتى عليها الحكم عاما مطردا لأنها لا تتغير قط عبر الزمان ، والمكان والأجيال ، وفى هذا يقول عز وجل ﴿ **لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون** ﴾ [3] وربما تفاوتت أجيالهم فى درجة السوء على قاعدة « بعض الشر أهون من بعض » ولكنهم جميعا

(١) سورة آل عمران : ١٨٣ .
(٢) سورة البقرة : ٩١
(٣) سورة المائدة : ٧٠
(٤) سورة النساء : ١٥٣

يطردون على الأصل ويدورون حول محور واحد من الضلالة والبهتان ، على ما قرره القرآن : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم .. ﴾(٤) فالسائلون هم يهود المدينة ، يطردون على داء قومهم القديم من عهد موسى حين سأله أجدادهم رؤية الله تعالى جهرة ! ولهذا التماثل النفسى فى أصل الداء تسند الآية سؤال « موسى » عليه السلام – للضمير العائد إلى « أهل الكتاب » الذين سألوا محمدا ﷺ رغم الفجوة الزمنية الهائلة بين العهدين !!

والسبب فى تعميم الحكم على اليهود أنهم يشكلون « أمة واحدة » متماثلة النقائص النفسية ، والخلقية تفيض لؤما وغدرا ، وتطفح كيدا وحقدا وتتمادى طغيانا وكفرا ، إنه طابع واحد ولون ثابت من فساد العقيدة ، وضلال التربية وانحراف السلوك ، وتحريف الوحى الالهى ، ونسبة الشعائر والشرائع إليه افتراء.. الخ .

لقد جاء يهودى « رافع بن حريملة » – المولود فى يثرب بعد جيل موسى عليه السلام ، بنحو ألفى سنة يقول للنبى ﷺ : « يامحمد إن كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه ! فأنزل الله عز وجل فى ذلك (١) : ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾(٢) فهذا كلام شنيع يتكرر منهم فى أجيالهم المختلفة ، كما يقول نقرآن العظيم ، والسرفى هذا تحمله الجملة القرآنية البالغة غاية الإعجاز والإيجاز « تشابهت قلوبهم » وفى هذا أصل الجواب ، وفصل الخطاب ، فى تشخيص داء بنى إسرائيل الرهيب ، إنهم أمة واحدة فى العوج والالتواء ، وهم فى الضلالة على كلمة سواء ! « تشابهت قلوبهم » كفرا بالله رب العالمين ، وتكذيبا لعباده المرسلين وتحريفا للوحى والدين،

(١) القصة فى اليهود على ما رواه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبى حاتم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، راجع فتح القدير » للشوكانى جـ ١ ص ١٣٤ ، ١٣٥ ط الحلبى الثانية ١٣٨٣ هـ

(٢) سورة البقرة : ١١٨ .

ويأسا من الآخرة ورضا بالحياة الدنيا وعبادة الملذات والنزوات ، واستعارا بالشهوات والشبهات ، وامتلاء بالغل والأحقاد ، واحترافا للتزييف والإفساد ! فهل بعد هذا من تعصب ؟ !![1] هذه هى أهم الصفات فى اليهود كما يعرضها القرآن الكريم ، وكفى بها عرضا ليعرفها القاصى والدانى ، وليتضح تعصب اليهود ، وليفتضح أمرهم .

---

(١) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، ص ١٨٨ ـ ١٩٤ بتصرف .

رذائل اليهود كما يصورها القرآن الكريم

يتضح مما ذكرناه عن صفات اليهود فى القرآن الكريم أنه قد سجل عليهم كثيرا من الأخلاق السيئة ، والعقائد الفاسدة ، والطباع القبيحة ، والمسالك الخبيثة ، فقد وصفهم بالكفر والجحود ، ونقض العهود ، والأنانية والغرور ، والجبن والكذب ، واللجاج والمخادعة ، والعصيان والتعدى ، وقسوة القلب ، وانحراف الطبع ، والمسارعة فى الإثم والعدوان ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وسوء أدبهم مع الله تعالى - وعداوتهم لملائكته وقتلهم لأنبيائه وجحودهم الحق ، وكراهتهم الخير لغيرهم بدافع الأنانية والحسد وتحايلهم على استحلال محارم الله تعالى ، ونبذهم لكتاب الله ، واتباعهم للسحر والأوهام الشيطانية وتحريفهم للكلم عن مواضعه ونسيانهم حظاً مما ذكروا به ، وحرصهم على الحياة وجبنهم عن الجهاد فى سبيل الله ، وطلبهم من نبيهم أن يجعل لهم إلها كما لغيرهم آلهة، وعكوفهم على عبادة العجل ، وتنطعهم فى الدين وإلحافهم فى المسألة ، إلى غير ذلك من هذه الرذائل التى دمغهم القرآن الكريم بها، وسجلها عليهم ، والتى تكشف عن حقيقتهم وتعصبهم الأعمى، والتى استحقوا بسببها الطرد من رحمة الله ، وضرب الذلة والمسكنة عليهم ، وإن هذه القبائح التى سجلها القرآن عليهم، يراها الإنسان واضحه جلية فيهم على مر العصور واختلاف الأمكنة ولم تزدهم الأيام إلا رسوخا فيها وتمكنا منها ، وتعلقا بها .

وما ذكر من رذائل ما هو إلا نماذج من قبائحهم ومفاسدهم ، وإن هذه القبائح والمفاسد قد ورثها خلف اليهود عن سلفهم ، وذكر القرآن لها ليسجل عليهم انحرافهم عن الحق وإيثارهم للغى على الهدى والتعصب على التسامح وليحذر المؤمنين من شروهم وقبائحهم [١].

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٥١٦ بتصرف .

﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ [١] ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾[٢] ومن الرذائل إلى الدعاوى . .

« ادعاءات اليهود الباطلة – فى القرآن الكريم – ورده عليها »

من بين صفات اليهود فى القرآن الكريم ،كما ذكر الله تعالى – الادعاءات الباطلة التى زعمها اليهود ، والأقاويل الفاسدة ،والأمانى الكاذبة ولليهود فى ذلك باع طويل ، ومجال واسع ، وكلام كثير ، لا يؤيده عقل أو نقل ، وقد تعرض القرآن الكريم لذكر هذه الدعاوى الباطلة التى صدرت عن اليهود ورد عليها بما يخرس ألسنتهم ويقطع حجتهم ويميط اللثام عن أكاذيبهم ويكشف ما خفى عن الناس من فضائحهم ومخازيهم[٣] .

ونسوق طائفة من مزاعمهم إجمالا ، فنقول :

أولا : قولهم : لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، وذلك فى قوله تعالى : **﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾** [٤] وقد ذكر هذا الزعم فى سورة آل عمران كذلك .

ثانيا : دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم قال تعالى : **﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين . ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم**

---

(١) سورة ق : ٣٧

(٢) سورة ق : ٤٥

(٣) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٥١٩ بتصرف .

(٤) سورة البقرة : ٨ – ٨٢

العجل من بعده وأنتم ظالمون ، وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ماآتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ (١) .

ثالثا : ادعاؤهم أن الهدى فى اتباع سبيلهم ، كما قال تعالى : ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ (٢) .

رابعا: زعمهم أنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا ، كما حكى القرآن عنهم ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٣) .

خامسا : قولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه وذلك فى قول الله عز وجل : ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾ (٤).

سادسا : قولهم : عزير ابن الله تقليدا لأحبارهم : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ (٥) .

---

(١) سورة البقرة : ٩ - ٩٣

(٢) سورة البقرة : الآيات من ١٣٥ - ١٤١ بتمامها .

(٣) سورة البقرة : ١١١ ، ١١٢

(٤) سورة المائدة : ١٨

(٥) سورة التوبة : ٣٠ ، ٣١

سابعا : إفكهم : أن ذنوبهم مغفورة لهم : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون . والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ﴾ (١) .

ثامنا : قولهم : ليس علينا فى الأميين سبيل : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ، بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين ﴾ (٢) .

تاسعا : بهتهم لمريم ، ودعواهم قتل « عيسى » - عليه السلام - قال تعالى : ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا . وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما . وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما . وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ (٣) .

عاشرا : قولهم : يد الله مغلولة : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الاعراف : ١٦٩ ، ١٧٠
(٢) سورة آل عمران : ٧٥ ، ٧٦
(٣) سورة النساء : ١٥٥ - ١٥٩
(٤) سورة المائدة : ٦٤

وإلى هنا نكون قد ذكرنا بعض دعاوى اليهود الباطلة أو أهم ما فيها ، مختصرة - كما حكاها القرآن الكريم عنهم ، وقد رد عليها بما يخرس ألسنتهم ويبطل حجتهم ، ويقطع دابر إفكهم [١] ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم ﴾ [٢] .

هذا وقد كنا نود أن نذكر شيئا عن هذه الآيات ، وإشارات عن واقع هذه الادعاءات مدعمة بالحقائق الواقعية ، وأفعال اليهود الثابتة ، ولكنا خشينا الإطالة، فاكتفينا بذكر الآيات وفى ذلك عبرة لأولى الأبصار ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

---

(١) راجع بتوسع : بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٥٢٠ - ٦١٠

(٢) سورة الأنفال : ٤٢

« نعم الله على بنى إسرائيل ،وموقفهم منها »

وكما حدثنا القرآن الكريم عن صفات اليـهود ، حدثنا عن كثير من ألوان النعم التى ساقها الله - سبحانه - لبنى إسرائيل وذلك ليحملهم على أن يقوموا بواجب الشكر لخالقـهم ، وليحذرهم من الوقوع فى المعـاصى وليغرس فيهـم خلق الحياء والبعـد عن المخالفة ولكنهم لم يفـعلوا شيئا مـن هذا ، ولذلك أعقبهـا الله - عز وجل - وهو يتحدث عن مظاهر النعم - بموقفهم الجحودى منها ، وما ترتب عليه من قصـاص عادل يتناسب مع ما اقتـرفوه من آثام ، فكأنه - سبحـانه - يصورهم وهم يمرون بحـالات ثلاث :حالة المن والعطاء ، وحـالة الجحود والإبـاء ، وحالة الانتقـام والجزاء ، وذلك ليكون فى قصـصهم عبـرة وعظة ، تهدى الناس إلى أن يقومـوا نحو خالقـهم بواجب العبـادة والشكر ، حتى لا يصـيبهم مـا أصاب بنى إسرائيل من عقوبات جزاء ظلمهم وكنودهم وتهالكهم على ارتكاب السيئات .

ومن الآيات الكريمة التى وردت فى هذا الشأن ، وقـد تحدثت عن النعم ،على سبيل الإجـمال وكذلك على سبيل التـفصيل [١] قوله تـعالى : ﴿ **يابنى إسـرائيل اذكـروا نعـمـتى التـى أنعـمت عليـكم وأوفـوا بعـهـدى أوف بعـهـدكم وإياى فارهبون**﴾[٢] .

ثم ذكر نعـمة تفـضيلهم على العـالمين - فى زمانهم - بقـوله تعالى : ﴿ **يابنى إسرائيل اذكروا نـعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فـضلتكم على العالمين** ﴾ [٣] كما قال تعالى : ﴿**سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ماجاءته فإن الله شديد العقاب** ﴾ [٤] كما ذكر سبحانـه وتعالى نعمة تفضيلهم على

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص٣٢٧ ، ٣٢٨ بتصرف .
(٢) سورة البقرة : ٤٠
(٣) سورة البقرة : ٤٧
(٤) سورة البقرة : ٢١١

العالمين فى غير موضع من القرآن ، سورة البقرة مرة أخرى ، وكذلك فى سورة الدخان والجاثية .

وذكر سبحانه - نعمة إنجائهم من عدوهم ، فقال: ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ [١] وشبيه بها فى سورة الأعراف وإبراهيم .

وذكرهم سبحانه وتعالى بنعمة فرق البحر بهم ، فقال تعالى : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ [٢] وقد تكرر ذكر هذه النعمة فى أكثر من سورة من القرآن ، فقد ذكرت فى سورة الشعراء والإسراء والذاريات، وطه والدخان .

ونعمة عفوه - سبحانه - عنهم بعد عبادة العجل -: ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ،ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ﴾ [٣] وقد تكرر هذا المعنى فى سورة الأعراف وطه وكذلك نعمة إيتاء موسى التوراة لهدايتهم ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون﴾[٤].

ونعمة إرشادهم إلى ما يتخلصون به من ذنوبهم: ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ [٥] .

ونعمة بعثهم بعد موتهم : ﴿ وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ،ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ [٦] .

---

(١) سورة البقرة : ٤٩
(٢) سورة البقرة : ٥٠
(٣) سورة البقرة : ٥١ - ٥٢
(٤) سورة البقرة : ٥٣
(٥) سورة البقرة : ٥٤
(٦) سورة البقرة : ٥٥ ، ٥٦

ونعمة تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم : ﴿ **وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ (١) وقد ذكرت فى سورة الأعراف وطه كذلك . . نعمة تمكينهم من دخول بيت المقدس ونكولهم عن ذلك : ﴿ **وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين** ﴾ (٢) وقد تكرر ذكر هذه النعمة فى سورة الأعراف ، وحديث القرآن عن نكولهم عنها فى سورة المائدة ، ونعمة إغاثتهم بالماء بعد أن اشتد بهم العطش : ﴿ **وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين** ﴾ (٣) وقد ذكرت تلك النعمة فى سورة الأعراف كذلك .

جحودهم للنعمة واستبدالهم الذى هو أدنى بالذى هو خير : ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** ﴾(٤) .

ونعمة شمولهم بفضل الله وبرحمته رغم نقضهم للمواثيق : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون . ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين** ﴾(٥) ، كما ذكر سبحانه وتعالى ذلك مرة أخرى : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس**

(١) سورة البقرة : ٥٧
(٢) سورة البقرة : ٥٨
(٣) سورة البقرة : ٦٠
(٤) سورة البقرة : ٦٠
(٥) سورة البقرة : ٦٣ ، ٦٤

حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون ﴾[١].

فماذا كان موقف بنى إسرائيل من تلك النعم ؟ هل شكروا أم كفروا ؟ لقد أعلمهم الله عز وجل بمعاقبة كل من الشكر والكفر ، فقال تعالى : ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾[٢] ولكن اليهود آثروا الكفر على الشكر ، والجحود على الرضى ، والأدنى على الذى هو خير .

جحدوا النعمة ، وكفروا بالمنعم - سبحانه - واتصفوا بسوء الأدب ، وحمق التفكير ، وهوان النفس ، وبلادة الطبع ، وبطر الحق ، والبغى على أنفسهم وعلى غيرهم .

أما بعد : فهذا طرف من النعم الجليلة التى حباها الله لبنى اسرائيل ، ولقد كان من الواجب عليهم أن يقابلوها بالشكر ، ولكنهم لم يفعلوا ، فكانت نتيجة ذلك أن سلبها الله - تعالى - عنهم ، وعاقبهم على جحودهم بما يستحقون ، وهذا طرف منها [٣] .

عقوبة الله لبنى إسرائيل

حدثنا القرآن العظيم عن كثير من نعم الله على بنى إسرائيل ، وأنهم قابلوها بالجحود ، والكفران ، فانتقم الله عز وجل منهم ﴿ جزاء وفاقا ﴾[٤] وذلك بسبب ظلمهم ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾[٥] ولذلك قال تعالى : ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ [٦] وشبيه بها فى سورة الأعراف .

كما حكم الله عليهم بقوله : ﴿ وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب

---

(١) سورة البقرة : ٨٣ (٢) سورة ابراهيم : ٧
(٣) بنو اسرائيل فى القرآن والسنة ص ٣٨٢ بتصرف .
(٤) سورة النبأ : ٢٦ (٥) سورة آل عمران : ١١٧
(٦) سورة البقرة : ٥٩

من الله .. ﴾[1] ومثلها قوله تعالى : ﴿فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين﴾[2] ومثيل هذا فى سورة آل عمران . وليس ضرب الذلة والمسكنة عليهم فحسب، بل عاقبهم الله بالمسخ ، فقال تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾[3] .

وقوله سبحانه : ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾[4] .

كما عاقبهم الله تعالى بالخزى فى الدينا والعذاب الشديد فى الآخرة ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾[5] .

وقد سخط الله عليهم ولعنهم ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾[6] ﴿ لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ﴾[7] .

هذا وقد أحبط الله أعمالهم ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ، أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴾[8] .

ومن عقوبة الله لهم : تحريم بعض الطيبات عليهم بسبب ظلمهم : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا

---

(١) سورة البقرة : ٦١
(٢) سورة البقرة : ٩٠
(٣) سورة البقرة : ٦٥ ، ٦٦
(٤) سورة المائدة : ٦٠
(٥) سورة البقرة : ٧٤
(٦) سورة المائدة : ٧٨
(٧) سورة المائدة : ٨٠
(٨) سورة آل عمران : ٢١ ، ٢٢

وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾(١) .

كما قال تعالى : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾(٢) .

وكذلك حكم الله عليهم بعذابهم ، وتسليط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ، وتمزيقهم شر ممزق ، قال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ، فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم ، وقطعناهم فى الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾(٣) .

ثم قضاء الله فيهم بسبب إفسادهم فى الأرض « مرتين » ، قال تعالى : ﴿وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾(٤) .

---

(١) سورة النساء : ١٦١

(٢) سورة الأنعام : ١٤٦

(٣) سورة الأعراف : ١٦٥ - ١٦٨

(٤) سورة الإسراء : ٤ - ٨

ولنا مع هذه الآيات الأخيرة وقفة أخرى إن شاء الله تعالى ، ولقد كان هذا حديث القرآن الكريم عن بعض العقوبات التى أنزلها الله على بنى اسرائيل ، جزاء بغيهم وظلمهم ذكرناها على سبيل الإجمال خشية الإطالة ، ونسأل الله عز وجل ألا يكون اختصارا مخلا . وبالله التوفيق .

* * *

إخبار القرآن عن اليهود

﴿ إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾[1] .

وإذا كان اليهود قد دأبوا على اتهام غيرهم والتعصب معهم ، لأنهم قوم بهت، فإن ذلك لا يصح بالنسبة لنا نحن « المسلمين » بعدما شرفنا الله تعالى بالقرآن ، وجعله لنا نورا نمشى به فى الناس ، وتبيانا لكل شىء خاصة فى حديثه عن اليهود، وإخباره عنهم فقد جاء القرآن العظيم بحقائق وتفصيلات شاملة فى هذا الباب تصل إلى الدرجة العليا من الإعجاز فى هذه المعجزة الربانية الخالدة ، فهو يكشف مكنونات « النفسية اليهودية » ، ويبلغ أغوارها الفكرية ، ويعرى أخلاقهم الرهيبة ، ووسائلهم الدنيئة ، ونوعيتهم المفرطة فى التعقيد والالتواء المتشابهة فى السوء عبر الأجيال !!

بل يرسم القرآن العظيم السبل الناهضة لعلاجهم وإبطال دسائسهم ويحدد الدواء الناجح لدائهم الوبيل ، وينصب القرآن العظيم الموازين بالقسط ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ، والمتأمل لحديث القرآن يلاحظ أمورا أساسية على غاية الأهمية منها :

أولا : العدل الربانى :

فالقرآن كلام رب العالمين ، الذى لا يظلم ولا يحابى ، ولا يتحيز ولا يحيف، ولا يتصور لدى مؤمن صحيح الاعتقاد أن يتسرب إليه شائبة عنصر ، أو شبهة خطأ ، أو تشويش انفعال وغضب أو ممالأة لقوم على قوم ، فهو برىء من كل ما صور به بنو إسرائيل إلههم (يهوه) ، وكلامه وأفعاله التى حشوا بها الأسفار والتلمود ونسبوها لله رب العالمين ، عز وجل !! ومن هنا :

---

(١) سورة النحل : ٧٦ .

نجد القرآن العظيم - تارة - يثنى على بعض بنى إسرائيل ثناء عظيما ، ويبلغ بهم ذروة شاهقة من الرضا والتقدير ، كما قال تعالى : ﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾[١] .

﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾[٢] .

ثم هو فى معظم الأحيان تبلغ حملته عليهم حدا رهيبا من التقريع والتنديد ، والذم والتوبيخ ، بل ينصبهم القرآن أمثولة الدهر والتاريخ كله فى الشقاق والنفاق، والالتواء والمراء ، والغدر والكفر ، كما قال تعالى : ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ، وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون ، وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ، لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾[٣] .

ونعود فنذكر بأنه :

ينبغى للقارىء المسلم - دائما - أن يتلقى كلمات الله عز وجل بما هى أهل له من الإجلال والإكرام ، والتأمل والفهم ، ومن الضرورى هنا تأمل هذه الجملة الخطيرة من النقائص اليهودية التى سجلها علهيم القرآن العظيم لمن أراد أن يعرف حقيقتهم المظلمة مثل : « لعنهم ، والغضب عليهم ، ومسخهم قردة وخنازير ، وعبادة الطاغوت والنفاق، والمسارعة فى الاثم والعدوان ، وأكل السحت » وكلها أخلاق تشيع فيهم ، وقد زينها لهم العتاة من الأحبار خاصة صناع التلمود بعد

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٩

(٢) سورة السجدة : ٢٤

(٣) سورة المائدة : ٦٠ : ٦٣

عصور أنبيائهم .. الخ[١] والسبب فى هذا الموقف القرآنى هو الإنصاف التام ، فالله تبارك وتعالى يعطى كل ذى حق حقه وكل ذى باطل ما يستحقه ، فهو يمدحهم إن أحسنوا ، وأطاعوا ، واستقاموا على الطريقة ، وقليل ما هم ، وهو يذمهم إن عاندوا وشاقوا ، وقالوا كلمتهم النكراء التى لم تقلها مثلهم أمة فى التاريخ « سمعنا وعصينا » وتبلغ درجة القرآن فى الحالين مبلغهم هم من الإحسان أو السوء ، ولا يظلم ربك أحدا ، بل كان تمام عدل الله تعالى أنه دائما يستثنى منهم القلة الصالحة – على ندرتها – كما قال تعالى فى الآيات السابقة: ﴿ وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ .. ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم .. ﴾[٢]

ومن هنا أيضا : فلا يخدع أحد بمدح القرآن العظيم لبعض بنى إسرائيل فى فترة ما، أو فى حالة ما فإن ذلك مقيد بطاعة الله ورسله عليهم السلام .

وإنما أردنا التنبيه على هذا الأمر بذاته ، لأنى أتوقع يقينا بأن اليهود ومحرفى الكلم عن مواضعه من «عبيد المال والسلطان» سيتخذون أمثال هذه الآيات الكريمة وسيلة لخداع المسلمين تزييفا لموقف القرآن الصارم من عبدة العجل وقتلة الأنبياء ، وأكلة الربا.. !![٣] .

ثانيا : الفيض القرآنى :

فالمتتبع لدراسة « المعضلة اليهودية » فى ضوء القرآن الكريم يلاحظ أنه لم يعالجها متعجلا فى نص أو نصين وإنما جاء فيهما بفيض زاخر ، يتناولها من أقطارها ، ويكشف كل خباياها وأبعادها التى يحتاجها المسلمون لمعرفة أعداء الله ورسله وكتبه ، ولذلك كان الحديث عن بنى اسرائيل فى القرآن الكريم من أكثر

---

(١) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ٦٩ – ٧٥ بتصرف .
(٢) سورة المائدة : ١٣
(٣) معركة الوجود ص ٧٥ – ٧٦ .

المسائل نصوصا بعد العقائد ، ومن أشد المواقف القرآنية وضوحا وتفصيلا وحسما.

لقد تحدث عنهم القرآن العظيم فى المكى منه والمدنى على سواء ، وفي السبع الطوال وما بعدها من المثانى والمثين ، والمفصل ، وتناولهم بالآية المفردة ، وبالجملة المتصلة من الآيات ، وفى تاريخهم الأول ، والمتكرر حتى عهد النبى الخاتم محمد ﷺ ، بل تحدث عما سيأتى من أحوالهم بعده باعتبارهم أمة واحدة فى الضلالة والبهتان ، تعمل على شاكلتها دائما كما نبهنا على ذلك مرارا، وكما قال عز شأنه: ﴿والذى خبث لا يخرج إلا نكدا ﴾[١] . وسيأتى تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى[٢] .

***

(١) سورة الأعراف : ٥٨ .

(٢) معركة الوجود ص ٧٦ - ٧٧ .

اليهود قبل الإسلام

فى القرآن المكى : بدأ القرآن العظيم فى وقت مبكر من « العهد المكى » يهتك أستار اليهودية ، ويضع بين أيدى المسلمين « مفاتيح » هذه النفسية المعقدة ويلفت أنظارهم إلى تأصل الانحراف والتحريف فى أعمالهم ، ويكشف لهم مساوىء التاريخ الإسرائيلى المشين !!

وفى هذا العهد كان المسلمون مستضعفين فى الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس ، بل كانوا عرضة دائما للتعذيب والمطاردة ومصادرة الاعتقاد والأرزاق ، وترك الديار والأموال فرارًا بدينهم من الفتنة العارمة ، فكانت دواعى المصلحة - فى تقديرنا البشرى القاصر - توجب تأجيل الكشف عن انحراف اليهود والاكتفاء بذكر بعض جوانبهم الطيبة فى الصبر والثبات ليتأسى بهم الرعيل الأول من المسلمين فى « مرحلة التكوين » والتأسيس الأولى ، ومن جانب آخر لم يكن للمسلمين احتكاك فكرى أو مكانى مع اليهود ، فيكون مبررا لهذا النقد العنيف أو سببا فى إشعال شرارته فكانت دواعى المصلحة - مرة أخرى - فى عدم فتح « جبهة عداوة » جديدة على المسلمين فى وقت هم أغنى الناس عن هذا لما هم فيه من المحنة والتعذيب والتكذيب ، بل هم أحوج الناس إلى جمع العواطف والقلوب حولهم يومئذ ، وخاصة من اليهود بما لهم من ثقل مادى وأدبى بين الأميين باعتبارهم أهل الكتاب الأول وأصحاب المال والحصون وأوفر الجاليات الدينية عددا وعدة !!

ولكن القرآن تنزيل من العلى الأعلى ، وهو الأعلم والأحكم ، وقد أحاط بكل شىء خبرا ، ومن ثم خالف تقديرات البشر ، وأخذ يكشف عن أخطاء اليهود منذ البداية .

وأرى من وراء هذا الإعلان المبكر سرا من أسرار الإعجاز فى القرآن العظيم ، خلاصته والله أعلم بمراده وأسرار كتابه :

أولا : تربيـة الأمـة الجديدة التى تـتكون ، والتى سـتحـمل أمـانة الوحى فى الأرض ، وإيقاظ مشاعـرها وغرس كل معانى النفور من التحـريف والعصيان فى وجدانهـا ، حتى لا تضل كـما ضل بنو إسرائيـل ولا تشرد بالقافلة البـشرية كـما شردوا ، ولا تجنى علـى جلال الوحى الالهى كمـا جنى عبـاد العجل ومـحتكرو الدين .

ثانيا : التمـهيد للمرحلة المقـبلة من عداء اليهـود للإسلام ، والتى كانت غيـبا محضا فى علم الله عز وجل ، لا يعلـمها النبى ﷺ ، ولا أحد من المؤمنين حوله بل ولا يتصوروننـها وبذلك قطع القرآن العظيم الطريق على اليهـود وهم قوم بهت - فلم يستطيعوا بعد الهجـرة أن يتقولوا على النبى ﷺ أنه كان يمدحهم فى مكة ، ثم هاجـمهم فى المدينة ، لخـلافهم مـعه ، وإن كـان بعض المستـشرقين لجـهلهم وتعصبهم قـد رددوا مثل هذا القول الساقط ورد عليهم الشيخ مـحمد الغزالى فى بعض كتبه .

ثالثا : بيان أن هذه القضية من قضايا الاعتـقاد والامتداد ، وليست من القضايا المرحلية التى تنـتهى بانتهـاء ظروفها ومـلابساتها ، إذ المسـألة تتعلق بإصراراليـهود إصـرار « نهائيـا » على تحريـف الوحى الالهى تحريفـا مطلقـا ، وطمس العقـائد والأخلاق تحت شعار خطير بنسبتها إلى الله عز وجل وإلى رسله الأكرمين .

* ومن هنا تأتى حملة القرآن عليهم فى مرحلة التكوين والتأسيس المكية لتكون «تأسيسا» لمعنى دينى عميق فى « النفسية الإسـلامية » تجاه اليهود فلا يصدقون لهم قـولا، ولا يأمنون لهم جـانبا ، بل يكـونون على أوفى حذر مـنهم دائما ، وقـد علموا من تاريخهم كيف استضعفوا أنبياءهم وأتعبوا رسلهم ، وتطاولوا على ربهم وعبدوا العجل، وفجروا فى الأرض .

لقد أراد القـرآن أن يمزج هذه المعانى مزجًا فى مـشاعر المسلم ، وأن يصـبغ بها نسيج النفـسية الإسلامـية بالنسبة إلـى اليهود خاصـة ، لتظل ثابتة مستمرة المدى

استمـرار اليهود على طريقتهم العوجـاء ، التى لا يتحولون عنها أبدا عبـر الأجيال وفى جميع الظروف!![١]

أفاض القرآن العظيم فى الحديث عن بنى إسـرائيل طوال العهد المكى ، وكدأبه دائما كان يتناولهم فى كل موقف بما يستحقون ، فهو يثنى على صالحيهم ثناء حسنا فى كثير من الآيات المكية ، كما قال تعالى : ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبـروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ [٢] بل إنه ليرتضى شهـادة الصالحين من علمائهم ويجعلهـا علامة على صـدق القرآن والنبى ﷺ ، توصلا إلـى إقناع الأميين الذين كانوا يسلمون لأهل الكتاب بتقدمـهم عليهم فى العلم ، ومعرفة التاريخ الدينى ، قال تعالى : ﴿ **وإنه لفى زبـر الأولين . أو لم يكن لهم آية أن يـعلمـه علمـاء بنى إسرائيل** ﴾ [٣] .

وكمـا قدمنـا ليس بعجـيب أن يختـار القرآن جـانب بنى إسرائيل الصـالح من الصبر، والثبات والتضحية ونحوها ، ليتأسى به الرعيل الأول فى فترة التكوين .

وإنما العجيب أن يتناول الجانب المـظلم فيهم بهذه الكثرة من التفصـيل والتأكيد ولما كان جمهورهـم - فى كل العصـور - يغلب عليهم الزيغ ، والمشاقة والنفاق ، والكفر - تـتبعـهم القرآن العظيم فى مـواطن العلل المتتـابعة من تاريخـهم المشين وتعصبهم البغيض ، وحقدهم المستمر .

ولما كان بنـو إسرائيل قد وطنوا لأنـفسهم مكانة مـرموقـة ، ومركـزًا ممتازًا بين الأميين من العرب ، بأن ألقوا فى روعهم أنهم أهل الدين والعلم والكتاب الأول، وأبناء الأنبياء وأصحاب المعرفة والثقـافة . . إلخ ، وغيبوا عنهم الجانب الخطير من قـتلهم للأنبيـاء ، وكـفرهم باللـه وإفسـادهم فى الأرض واحتـرافـهم التحـريف والتزييف، وكتموا ذلك عنهم تماما لتظل صورتهم زاهية .

(١) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ٧٧ - ٨٠ .
(٢) سورة الأعراف : ١٥٩ .
(٣) سورة الشعراء : ١٩٧ .

واستخدموا الجانب الدينى نفسه فى الحيل والدسائس وأساليب الختل والغدر ، والتفريق والوقيعة التى مرد عليها اليهود فى كل أجيالهم . . !

* من هنا - نجد القرآن العظيم يعاجل اليهود بطمس هذه الصورة المبهرجة التى غرسوها فى وجدان الأميين ويضع من أول الطريق - بين أيدى المؤمنين - حقائق هذه الشخصية المتماثلة عبر الأجيال ، ويقص عليهم من تاريخهم الشواهد والأدلة ، قال تعالى : ﴿ **وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين . إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ، وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين** ﴾ [1] . ومن المفيد تأمل هذه الآيات الكريمة جيدا ، فالآية الأولى تقرر علمه تعالى بكل غائبة فى الوجود وبذلك قطعت على بنى إسرائيل لجاجهم المعهود فى إنكار كل شىء لايرضى أهواءهم أو يختلفون فيه . وهى تقرر فى نفس الوقت للمؤمنين نوعية ما سيقصه عليهم القرآن . وأنه الحق المبين .

والآية الثالثة تبين أن القرآن فيه الهدى والرحمة للمؤمنين حين يفهمون عنه ، ويأخذون منه فينقذهم مما أوقعه بنو إسرائيل من ضروب الاختلاف ، والتدليس والتلبيس فى دين الله عز وجل أى أنه هو وحده - إذا التبست السبل - الهدى والرحمة للمؤمنين ، والمخرج الأمين مما هم فيه من ظلمات وفتن .

أما « أكثر الذى هم فيه يختلفون » فقد ذكره القرآن فى سور شتى ، تارة على سبيل « الإجمال » الصريح فى دلالته ، أو الدقيق فى إشارته تارة على سبيل «التفصيل » الذى يتتبع الوقائع والأضاليل بالكشف والتحليل ، بل وبالتحديد الذى يصل أحيانا إلى ذكر الأسماء والأزمان ، وسنبين هذين الأمرين بإيجاز »[2].

---

(١) سورة النمل : ٧٥ ، ٧٧

(٢) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ٧٧ ، ٨٠ .

أولا سبيل الإجمال :

فى سورة الأنعام يذكر ما حرمه على اليهود جزاء ظلمهم وطغيانهم **﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون، فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ﴾** (1) .

وفى سورة « النحل » يعود القرآن لبيان هذه المسألة وسببها : **﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾**(2)

وفى سورة « يونس » يختم الحديث عنهم بجملة ذات دلالة غريبة فى أحوال الأمم وشئون الاجتماع **﴿ ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾**(3) .

فهم كانوا متحدين ولو على ضلالة ، فلما جاءهم العلم والهدى والبينات تفسخوا واختلفوا ، وتلاطموا ! كما ذكرت سورة « الجاثية » ذلك : **﴿ ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾** (4) فانظر كيف تتحد أمة على الضلالة وتجتمع صفوفها مع الجهالة ، فإذا أعطيت أسباب الهدى وعلمت مالم تكن تعلم تخبطت واختلفت ؟!

---

(1) سورة الأنعام : 146 ، 147
(2) سورة النحل : 118.
(3) سورة يونس : 93 .
(4) سورة الجاثية : 16 ، 17 .

وانظر إلى عرض القرآن العديد من النعم الجليلة التى منحت لهم ، ، والتى قوبلت بأسوأ ألوان الكفر والغى مما لا تتسع الدنيا للجزاء عليه ، بل الساعة موعدهم وهى أدهى وأمر !

وفى سورة « الإسراء » يذكر جل شأنه دأب بنى إسرائيل فى الإفساد ، ثم القمع الإلهى المتكرر عليهم بذنوبهم : ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ (١) .

وهذه الآيات المكية ، التى تتحدث عن اليهود قبل الصدام معهم بسنين ، لجديرة بعناية التأمل والتدبر وقد فسرت بأنها حديث عن تاريخ بنى إسرائيل السابق على الإسلام ، والمراد « بالكتاب » التوراة ، وهذا محتمل ودلالته واضحة فى كشف مساوئ بنى إسرائيل التاريخية ولكن بعض المحققين من المفسرين يرون أن المراد (بالكتاب) القرآن الكريم ، فتكون الآيات إخبارا بالغيب عن مستقبل الأحداث ودليلهم :

(أ) أن فساد بنى إسرائيل ، وتسليط الأعداء عليهم فى الماضى لا ينحصر فى «مرتين » وإنما تكرر كثيرا فى كل أدوار تاريخهم تقريبا !

(ب) ولأنه لا يوجد دليل واحد صحيح يقطع بصرف الآيات إلى حكاية التاريخ الماضى فقط ، وبناء على هذا تكون « المرة الأولى » من الإفساد هى ما حدث منهم فى عهد النبى ﷺ ، وقد سلط الله عليهم المسلمين فجاسوا خلال

(١) سورة الاسراء : ٤ - ٨ .

الديار و « المرة الثانية » هى ما يفعلونه الآن بعد أن أصبحت لهم « الكرة » على المسلمين العصاة المفرطين فى دينهم ، وأمدوا بالأموال والبنين ، ونحن - الأمة المؤمنة - فى انتظار وعد الآخرة بإذن الله » (١) .

ثانيا : سبيل التفصيل :

وفى سور أخرى مضى القرآن يقص التفاصيل عن تاريخ بنى إسرائيل ، ويطيل فى الحديث عنهم ، على غمطه الجليل من الثناء على صالحيهم ، أو التنديد بمفسديهم ، وكشف عورات تاريخهم التى أخفوها وزيفوها على الناس .

وسنعرض هنا ما جاء عنهم فى سورة « الأعراف » وما يناسب المقام من سورة «طه» وهما سورتان مكيتان نزلتا قبل الهجرة ، وقبل الصدام الفكرى والحربى مع اليهود !

تستهل سورة « الأعراف » حديثها عن بنى إسرائيل بموقف نبى الله « موسى بن عمران » من « فرعون » وثباته أمام جبروته ثم عرضت مشاهد التحدى التى انتهت بسحرة فرعون إلى الخضوع لسلطان المعجزة الإلهية القاهرة ، وخروا سجدا، واستهانوا بتهديد فرعون المرعب ، وصاروا مثلا أعلى فى الثبات والصبر واليقين ، كذلك الشأن فى سورة « طه » ثم تعرض السورة الكريمة تهديد فرعون لبنى إسرائيل ، وما قاله موسى « عليه السلام » ليشيع فى قومه سكينة الإيمان وعزيمة اليقين فى الله رب العالمين: **﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾** (٢) .

وتبرز السورة مشهدًا من مشاهد الخور البادى على جمهورهم حين يردون على نبيهم الكريم فى أسى وهلع : **﴿ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون ﴾**(٣) .

---

(١) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ٨٥ - ٨٩ بتصرف .
(٢) سورة الأعراف : ١٢٨ . (٣) سورة الأعراف : ١٢٩ .

ثم تعرض السورة مصداق هذا الوعد والرجاء ، فتذكر الآيات البينات التى ساقها الله تعالى على فرعون وقومه تأديبا وتذكيرا من : السنين ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل والضفادع ، والدم إلى أن يأتى الميعاد فيرون بأعينهم مصرع الطاغية وجنده : ﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنا غافلين ﴾(١)

ولا ريب أن بنى إسرائيل عانوا من جور فرعون عذابا أليما ، وصبروا صبراً طويلاً ، وما أجل القرآن حين يسجل لهم هذا الموقف مذكرا بنعمة الله عليهم فى ختام هذه المشاهد .

﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ (٢) .

وإن آية واحدة من هذه الآيات كانت كافية لهداية أمة ، واقناع جيل ، فكيف بهذه السلسة المتتابعة من القوارع الخارقة ، والمعجزات الباهرة ؟

ولكن هذا الشعب « صلب الرقبة » أغلف القلب ، سريع الزيغ ، يقابل الآيات ببلادة الحس وانطماس الفهم ، وظلمة الوجدان ، آية ذلك ما عرضته السورة الكريمة بعد هذا مباشرة من كوارث جيل شهد الوحى والمعجزات ، وعاين الآيات المفصلات ، وكفر بمشهدهم وهم يسلكون طريقا فى البحر يبسا ، والماء حولهم كالطود العظيم ، وعلى الشاطىء الآخر يرون بأعينهم العزاء والجزاء وتشتفى صدور المعذبين وهم يرون الطواغيت تطويهم لجة الماء !!

مشهد لا ينسى ، ونعمة لا كفاء لشكرها ! ولكن قلوب بنى اسرائيل كانت تهيم فى ليل بهيم وتشرد فى واد سحيق ، فما كادوا يعبرون البحر ، والذكرى ماثلة والنعمة سابغة ، حتى مروا على وثنيين يعبدون تماثيل نحاسية على صور البقر –

(١) سورة الأعراف : ١٣٦ .
(٢) سورة الأعراف : ١٣٧ .

كما يقول بعض المفسرين - وحينئذ ارتدت مشاعرهم إلى وثنية طامسة دامسة !

﴿ وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلـها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾ (١) والمراد وصفهم (**بالجهالة النفسية**) **التى تدفع صاحبها إلى الطيش والحمق** ، والسفاهة مهما كانت النتائج ، وكذلك بنو إسرائيل « أشد خلق الله عنادا وجهلا وتلونا» .

وإلا فهم ما كانوا يجهلون التوحيد ، وهو قاعدة الدين ولب الإيمان ، وما كانوا يجهلون جلال الله عز وجل ونعمه تطوق أعناقهم وتملأ حياتهم ، وبنفسى موسى عليه السلام وهو يرد عليهم فى أسى كظيم : **﴿ قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين ، وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم .. ﴾** (٢) .

وتمضى السورة الكريمة مع مشهد آخر يبين أن هذه الوثنية لم تكن «جهالة عابرة» أو « فلتة طائرة » خليقة بالستر والإغضاء كأمثالها من الأخطاء وإنما كانت «ظلمة غائرة » متأصلة الجذور فى أعماق بنى إسرائيل ، تقص السورة ذهاب موسى لميقات ربه واستخلافه على قومه أخاه النبى الكريم « هارون » وتسجل لفظا له دلالة عجيبة فى وصية موسى : **﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾** (٣) .

ولنتأمل جيدا لفظ « المفسدين » وهو وصف ينطبق على اليهود من كل الوجوه ، ومن أقدم العصور إلى يومنا هذا ، وسنرى - إن شاء الله - كيف أطلقه القرآن عليهم مرارا ، وكأنه وصفهم المميز - مع كثرة المفسدين من غيرهم - لأن

(١) سورة الأعراف : ١٣٨ .
(٢) سورة الأعراف : ١٤٠ ، ١٤١ .
(٣) سورة الأعراف : ١٤٢ .

اليهود هم أئمة « الافساد » وأقطابه بلا منازع !

ومن إعجاز القرآن هنا حرصه على تحديد مدة الميقات « أربعين ليلة » وهى مدة بالغة القصر فى عمر الأمم ، لا تكفى لانحراف جيل أو إفساد أمة !!

ورغم هذا انطلق الفساد عارما فى بنى إسرائيل ، فغلب الطبع الكنود كل النذر، وتمرد عاصفا على كل الحيل ، كافرا بكل النعم والقيم ، لقد تراءى لحسهم الغليظ صورتان للإله المعبود : « العجل فى مصر وأصنام البقر على الطريق ثم موسى - الذى زجرهم أول مرة - فى الميقات بعيدا عنهم ، وهارون الفصيح لا تغنى فصاحته شيئا مع صلابة الرقبة !

وهنا حدث ما قصته السورة الكريمة ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ (١) .

وتسجل السورة أنهم أعلنوا ندمهم بعد فوات الأوان . ورجوع موسى عليه السلام الذى توجه باللوم العنيف إلى أخيه وأخذ برأسه يجره إليه ، فصارحه هارون بحقيقة هذه الأمة العجيبة ﴿ قال ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين ﴾ (٢) .

وتأمل قوله : ﴿ فلا تشمت بى الأعداء ﴾ لتعلم أن حقد هؤلاء القوم قديم رهيب لا يقف دونه شىء ولو كان خيرة أنبيائهم ، الذين أنقذوا بهم من الذلة والهوان !!

وتعرض سورة « طه » هذا المشهد بمزيد من التفصيل ، وتبرز الشناعة كاملة محدودة الأوصاف والأسماء والمنشأ والتنفيذ والاصرار والاستهتار : ﴿ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى

(١) سورة الأعراف : ١٤٨ .
(٢) سورة الأعراف : ١٥٠ .

السامرى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى ﴾[1].

ثم تقص السورة موقف « هارون » الواضح وتبرئه من شناعة ما نسب إليه بنو إسرائيل [2] : ﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى ، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾[3] ثم تنتهى الآيات إلى تحقيق موسى مع السامرى فى هذه الضلالة الشنيعة ، والحكم عليه حكما رادعا وطمس آثار فتنته : ﴿ قال فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لامساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ﴾ [4] .

وهكذا انتهت هذه الفتنة العاصفة المتعلقة بلب الاعتقاد ، فهل برىء بنو إسرائيل بعدها من الداء ؟

تمضى سورة « الأعراف » المكية فى عرض مساوىء هذا الشعب العصى ، فتبين أن موسى عليه السلام بعد أن أخمد الفتنة الوثنية ، وحرر بنى إسرائيل من مهانة العجل « اختار سبعين رجلا » من خاصة قومه ليجددوا التوبة والاعتذار من عبادة العجل فى ميقات ربه جل وعلا .

فإذا هؤلاء المختارون يرتكبون أمرا شنيعا ، فيطلبون رؤية الله عز وجل جهرة ، أو نحو ذلك ، مما استنزل عليهم رجفة صاعقة ، فأخذ موسى يضرع إلى ربه فى ذلة ليغفر لهم « المأساة الجديدة » ، ولما يعتذروا بعد عن سابقتها ، وفى ذلك يقول تعالى ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو

---

(١) سورة طه : ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) إذ نسب إليه الكذابون صناعة العجل (سفر الخروج - إصحاح ٣٢) والحمد لله رب العالمين الذى برأ رسله الأكرمين من دنس بنى إسرائيل .

(٣) سورة طه : ٩٠ .

(٤) سورة طه : ٩٧ .

شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾(١) .

ولنتأمل مرة أخرى الوصف العجيب الذى أطلقه عليهم أكبر أنبيائهم وهو وصف : « السفهاء » !!

وهو نفس الوصف العجيب الذى أطلقه عليهم القرآن العظيم فى العهد المدنى بعد أكثر من عشرين قرنا حين جادلوا فى تحويل القبلة فقال عنهم : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم .. ﴾ (٢) .

وكأنهم بذلك سلسلة واحدة متشابهة الحلقات ، مهما تباعدت الأزمنة أو تنوعت البيئات !!

والحق أننا نجد هذين الوصفين : « المفسدين ، والسفهاء » هما أخلق الألقاب ببنى إسرائيل إلى يومنا هذا ، بعدما شردوا عن طريق الله المستقيم !!

ثم تتابع سورة « الأعراف » عرض شناعات بنى إسرائيل فى عصور شتى :

فتذكر أهل الكتاب (من خلال دعوتهم للإيمان بمحمد ﷺ) بالتكاليف الشاقة والأحكام القاسية التى فرضت عليهم بظلمهم والتى ستوضع عنهم فى دين اليسر الذى بعث به ﷺ : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم.. ﴾(٣)

ثم تسجل السورة الكريمة ألوانا من فيوض النعم التى أسبغها الله تعالى عليهم، وتبرز كيف قابلوها بالجحود والكفران « وهم بعد لا يزالون فى التيه ﴿ وأوحينا

(١) سورة الأعراف : ١٥٥ .
(٢) سورة البقرة : ١٤٢ .
(٣) سورة الأعراف : ١٥٧ .

إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [١] .

ولما أذن الله تعالى بخروجهم من التيه ، وانطلقوا إلى الأرض المقدسة أمرهم الله تعالى أن يسكنوا بيت المقدس أو « أريحا » وأباح لهم الطيبات ، وأمرهم بالدخول سجدا مع قولهم حطة[٢] ووعدهم بالمغفرة والفضل !! ولكنهم فى كل موطن لا يتقون، بل يحرفون ويظلمون [٣] .

﴿ وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين ، فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ﴾ [٤] .

وحين استقر بهم المقام ، وسكنوا القرى والحواضر ، استحلوا محارم الله بأدنى أو أدنأ الحيل ، فاعتدوا فى السبت الذى حرم عليهم وتهافتوا أمام الاختبار الذى ابتلوا به لكثرة ذنوبهم وفسقهم ، وهذا ما سجلته السورة الكريمة تأكيدا للأغراض التى شرحناها من مباكرة اليهود بالتنديد والتقريع ، وفضح تاريخهم :

﴿ واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴾[٥]

---

(١) سورة الأعراف : ١٦٠

(٢) المراد بالسجود : الخضوع والانحناء ، إجلالا لنعمة الله عليهم ، أو سجدة شكر عند الدخول ، والمراد بالحطة : دعاء بأن الله يحط عنهم الذنوب ويغفر لهم أو غير هذا .

(٣) كان تحريفهم ما رواه الشيخان من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « قيل لبنى إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم ، فقالوا حبة فى شعرة فخالفوا فى القول والعمل جميعا وفى رواية غير الشيخين : قالوا حنطة : استهزاء .

(٤) سورة الأعراف : ١٦١ ، ١٦٢

(٥) سورة الأعراف : ١٦٣ .

ولا تفوت القرآن العظيم خطته الدائمة فى العدل والإنصاف ، فيسجل للقلة الصالحة فضلها وما كتب لها من النجاة بفضل الله تعالى ، ولكن الآيات الكريمة تسجل موقفا من أغلظ مواقف جمهرة اليهود ، لم يقبلوا فيه موعظة ولا تذكيرا ، ولم يرتدعوا فيه بنذر العذاب البئيس الذى أخذهم الله تعالى به ، فكانت القاضية، ومسخوا على مكانتهم قردة صاغرين !

﴿وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون . فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾[1] وسبحان الله العظيم !!

فأى قدر من وقاحة النفس وقساوة القلب ، وفظاعة الذنب هذا الذى أغضبه وهو الحليم الصبور ؟!

ولماذا لم يقع هذا فى غير اليهود على كثرة الخطايا والمذنبين فى الأولين والآخرين ؟!

إن المتأمل للآيات الست السابقة يجدها تسجل ، وتكرر على اليهود أوصاف : «الظلم والتبديل ، والاعتداء والفسق والتناسى استهانة بالحق والاستخفاف بنذر العذاب الشديد » !!

ثم تنتهى فى خاتمة المطاف إلى أظلم الأوصاف وهو « العتو » أى تجاوز الحد فى التمرد والاستكبار على أمر الله عز وجل ! فكان الجزاء كفاء العمل ، وماظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين !

وإذا تقررت هذه المعانى وتمكنت فى نفس المسلم ، تأتى الآية التالية نداء جهيرا وإعلاما خطيرا بأن الله العادل الذى لا يظلم مثقال ذرة سيبعث على بنى اسرائيل

---

(١) سورة الأعراف : ١٦٤ ، ١٦٦ .

من يسومهم سوء العذاب ، جيلا بعد جيل ، وإلى يوم القيامة .

ولنتأمل هذا الحكم الصارم : ﴿ وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾ (١) .

وهذا الإعلام الإلهى الرهيب المؤكد بغير تأكيد ، إيذان بحقيقة خطيرة يلح القرآن على تقريرها فى مواطن كثيرة وهى : استواء أجيالهم فى الظلم والفسوق، والعتو استواء يجعل أولاهم وأخراهم فى استحقاق العذاب على سواء فيبعث الله تعالى عليهم من الأمم التى تبتلى بأحقادهم من يروع أمنهم ، ويلبسهم ثوب الذلة والصغار بما كسبت أيديهم ، جزاء وفاقا. ثم تتحدث السورة الكريمة عن الشتات الصارم الذي ضربه الله عليهم ، وتقلبهم في أفانين الشدة والرخاء ، رجاء أن يتذكروا ويرجعوا إلى الطريق : ﴿ وقطعناهم فى الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾ (٢) .

ولكنهم زادوا ضلالاً فى شتاتهم ، واتخذوا أحبارهم أربابا من دون الله ، وابتدعوا فى هذه الفترات ابتداعا خطيرا فى دين الله عز وجل ، فكان الخلف أقسى من السلف، إذ انكبوا على حطام الدنيا وأهملوا الدين والآخرة وزعموا لأنفسهم مبررات كاذبة لاستحلال « الأمم » مالاً ودماء وأعراضا - على ما ذكرنا - وادعوا على الله عز وجل دعوى خطيرة بأنه يغفر لهم كل خطيئة ،ونحو ذلك مما افتراه أحبار السوء من خلفاء السامرى ، والذى تجسد فى عقائد « التلمود » وأخلاقه وأضاليله فيما بعد ، تلك التى نسوا بها مواثيق « التوراة » الغليظة بألا يفتروا على الله عز وجل !

وقد أشارت السورة الكريمة إلى هذا إشارات دقيقة معجزة فى صدد التنديد باليهود ، فى ذلك الوقت المبكر من العهد المكى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف

(١) سورة الأعراف : ١٦٧ .

(٢) سورة الأعراف : ١٦٨

ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ (١) .

ومن المهم هنا تأمل الكلمات القرآنية الباهرة ، ذات المضامين الحافلة والمعانى المتعددة، مثل قوله : « ورثوا الكتاب » فهى تفيد أنهم ضلوا على علم ، وهذا أشنع ألوانه ، أو تفيد أنهم أخذوا الكتاب « وراثة » رثت فى نفوسهم عظمتها وجلالها ، ومثل قوله تعالى : « الأدنى » بمعنى يأخذون « أقرب » ما يعرض لهم من متاع الدنيا أو بمعنى أدنأ ما يعرض لهم منها ، ومثل قوله : « سيغفر لنا » بالبناء للمفعول تعبيرا عن عقيدتهم بأن الله تعالى سيغفر لهم لأنهم أبناءه وأحباؤه أو لأن آباءهم وأسلافهم من الأنبياء سيشفعون لهم فى زعمهم الفاسد .

والآية الكريمة تسجل عليهم إصرارهم على نيل أعراض الدنيا بأية وسيلة حين تكرر هذا الأمر بعد دعوى المغفرة ، كما ذكرته قبلها !

ولما كانت العلة الأساسية فى هذا الضلال اليهودى كله هى الافتراء على الله تعالى ونسبة منكراتهم إلى الوحى ، خص الله هذه المسألة بذاتها من مواثيق الكتاب : **﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ﴾** (٢) ويأتى فى ختام هذا قوله عز شأنه : «ودرسوا ما فيه » ليسجل عليهم أمرين :

أنهم درسوا ما فى الكتاب ثم تجاهلوه عن عمد بعد العلم !

أو محوا ما فيه وغيروه وبدلوه عن عمد أيضا ، وكل ذلك صادق عليهم ، وواقع فى تاريخهم ، وهو مصدر انحرافهم قديما وحديثا على سواء .

وفى ختام هذه الشناعات الإسرائيلية ، تعود سورة « الأعراف » المكية إلى جيلهم الأول مرة أخرى ، فتذكر تأبيهم المزعج عن قبول الشريعة التى مَنَّ الله

---

(١) سورة الأعراف : ١٦٩ .

(٢) سورة الأعراف : ١٦٩ .

تعالى عليـهم بها، واستـعصاءهم عن أخذها حـتى رفع فوقهم الطور وخـيروا بين أمرين ، الإبادة الشاملة أو أخذ الشريعة كاملة .

﴿ وإذ نتـقنا الجبل فـوقـهم كأنه ظلـة وظنوا أنه واقع بهم خذوا مـا آتيناكم بقـوة واذكروا ما فيـه لعلكم تتقون ﴾ [١] والنتق هو الزعـزعة والنقض ، واختـيار هذا اللفظ يدل على مـدى عمق الشـدة والصرامة التـى عولج بها هذا الأمـر ، وعلى مبلغهم هم من المشاقة والعصيـان ، الذى عادوا إليه، بعد هبوط الجبل فى ضراوة عاتيـة ، هى أغرب وأفـحش ما عرف فـى التاريخ الدينى كله من ضـروب الجراءة والاستهتار» [٢] .

كما قـال تعالى عنهم : **﴿ ورفعنا فوقـهم الطور خذوا ماآتيناكم بقوة واسـمعوا قالوا سمعنا وعصينا .. ﴾** [٣] .

***

(١) سورة الأعراف : ١٧١ .
(٢) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ٩٠ - ١٠٤ بتصرف
(٣) سورة البقرة : ٩٣ .

المبحث الثانى

« تعصب اليهود فى الجانب العملى »

إن تاريخ اليهود مع المسلمين لهو تاريخ ملىء بالتعصب من أوله إلى آخره ، «فنحن المسلمين – قد نالنا من اليهود أذى كثير ، فهم – أى اليهود – الذين حاربوا الدعوة الإسلامية – منذ مهدها وإلى يومنا هذا بكل سلاح ، وبكافة الوسائل ، واغتصبوا – حديثا بمعاونة دول الكفر – بقعة من أرضنا المقدسة ، وهى فلسطين بما فيها المسجد الأقصى وأقاموا عليها دولة لهم فى عام ١٩٤٨ م .» (١).

وما بين البداية والنهاية ، استمرت عداوة اليهود فى أشد صورها ، وكيدهم فى غايته ، ما تكاد تنطفىء نار حروبهم ، إلا وقد أوقدوها ، وأشعلوا نارها من جديد، وما تتم لهم مؤامرة إلا وفكروا فى غيرها ، وما عاهدوا عهدا ، إلا – من يوم عهدهم – تحينوا الفرصة فى نقضه والانقضاض على المسلمين ، على حين غفلة منهم ، وإعطائهم الأمان لهم ، فاليهود تاريخهم معروف ، وتعصبهم مألوف، يجرون وراء مطامعهم ، لتحقيق مطالبهم ، واليهود قوم كالأرانب إذا خافوا ، ذئاب إذا قدروا ، يتباهون بالشر إذا قدروا ، ويتوارون عن العيون ، متى خافوا ، ويقابلون النعمة بالنقمة ، والجميل بالجحود ، ويسخرون من المؤمنين ، ويسارعون بالأذى إلى المتقين ، يختلفون مع غيرهم حبا فى الخلاف ، ورغبة فى النزاع ، وأملا فى إشعال نار الفتن ، إن قدروا سفكوا الدماء وعكروا الصفاء ، وإن تمكنوا قتلوا الأبرياء ، وامتدت أيديهم إلى الشرفاء ، وتطاولوا على الأنبياء ، وظلموا الضعفاء ، وإن جد الجد فهم الجبناء ، وأهل النفاق والرياء ، فهم بين وحشية اليهود ، وغطرسة التلمود ، وخيانة الحقود ، واجتماع جرائم الوجود ، وصفاتهم أنهم خاطئون ، منافقون ، قساة ظالمون ، لصوص مجرمون ، متغطرسون ، مخادعون ، متعصبون .. الخ .

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ، ص ١١ ، ١٢ بتصرف .

وفى أول الأمر : « كان اليهود يسكنون يثرب - التى سميت « المدينة » بعد - يجاورهم الأوس والخزرج بعدما نزحوا من اليمن ، بعد حادث سيل العرم ، وكانوا ضعفاء بجوار الأوس والخزرج إلى أن قويت شوكتهم باتحادهم تحت رئيسهم « مالك بن العجلان » .

ولكن اليهود مع ماكانوا عليه من بسط نفوذ وسلطان على الأرض ، وما كان لهم من حصون وآطام وقرى عاشوا فيها متكتلين مستقلين فيها ، لم يحكمهم يهود، بل كانوا فى حماية سادات القبائل ورؤسائها ، يؤدون لهم إتاوة فى كل عام مقابل حمايتهم لهم ، ودفاعهم عنهم ، ومنع الأعراب من التعدى عليهم ، وقد لجئوا إلى عقد المحالفات معهم ، فكان لكل زعيم يهودى حليف من الأعراب ومن رؤساء العرب » [١].

والخلاصة : أن علاقة اليهود بالأوس والخزرج كانت خاضعة للمنفعة الشخصية والمكاسب المادية ، فهم يعملون على إثارة الحرب بين الفريقين متى وجدوا فى إثارتها فائدة لهم ، كما حصل ذلك فى كثير من الحروب التى أنهكت الأوس والخزرج ، وأنهم كانوا يهمهم أن تكون لهم السيطرة المالية على المدينة ، وأن يكونوا فى نظر الناس أنهم أصحاب الكتاب الأول . وأهل العلم بالأديان والشرائع، وأنهم - كما يزعمون - أبناء الله وأحباؤه ، وأنهم كانوا يبشرون بمبعث نبى جديد يكون منهم ، وبه ينتصرون على الناس ، ويقتلون الأوس والخزرج ، قتل عاد وإرم ، كما أشار إليه القرآن الكريم ، فى قوله تعالى : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ [٢] .

« وقد استمرت علاقة اليهود بالأوس والخزرج تسير على هذا المنوال ، إلى أن هاجر النبى ﷺ إلى المدينة ، فاشتركوا فى استقباله ، أول الأمر [٣] ثم ماذا ؟ .

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ، د/ جواد على .جـ ١ ص ٢٣ بتصرف ط المجمع العلمى العراقى .

(٢) سورة البقرة : ٨٩

(٣) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٧٨ بتصرف .

« قام النبى محمد ﷺ بدعوتهم إلى الإسلام ، والتمسك بتوحيد الله تعالى وإخلاص العبودية له ، والخضوع لحكمه ، وسلك النبى ﷺ فى دعوته لهم كل وسيلة من شأنها إقناعهم بصدقه ، وصدق دعوته ، ليتبعوه ويصدقوه » (١).

« وكانَ موقف الإسلام مع أهل الكتاب عادلا ، ومنهاجه معهم واضحا سليما فى دعوتهم إلى الإسلام ، وسماحته معهم ، ولقد كان الواجب على بنى إسرائيل - وهم أهل كتاب - أن يقابلوا الإحسان بالإحسان ، وأن يتبعوا النبى ﷺ فيما يدعوهم إليه ، ولكن اليهود لم يكونوا عند حسن الظن بهم ، فلقد وقفوا من الدعوة الإسلامية موقف المشكك فى صحتها ، المعادى لرسولها ﷺ ، المثير للفتن بين أتباعها ، وسلكوا فى سبيل القضاء عليها كل مسلك ، أو تعطيل مسارها - على الأقل- كل سبيل ، ولم تلح لهم بادرة يستطيعون معها الطعن فى الإسلام ونبيه ﷺ إلا اهتبلوها واستغلوها لصالحهم ، وماذلك إلا لأنه قد أحزنهم أن رأوا تعاليم الإسلام قد أقبل عليها الكثيرون .

وأن المسلمين يزيدوُن ولا ينقصون ، وأن كل يوم يمر عليهم يزيدهم قوة إلى قوتهم ويكسبهم استقلالا فى العمل والتفكير ، وحز فى نفوسهم ما شعروا به من أن عظمتهم المادية والسياسية المبنية على تفرق العرب ، وتمزق وحدتهم ، قد بدأت تنهار وتتلاشى ، بعد أن دخل الأوس والخزرج فى الإسلام ، فأصبحوا بنعمة الله إخوانا متحابين متعاونين ، بعد أن كانوا فى الجاهلية متباغضين متنازعين » (٢) .

- وأفزعهم أن رأوا النبى ﷺ لم يجعلهم خارج نطاق دعوته ، وإنما دعاهم إلى الدخول فى الإسلام كغيرهم ممن دعا ، لأن رسالته عامة للناس جميعا ، ومرد فزعهم من توجيه الدعوة إليهم ، زعمهم الباطل أن الشعب الإسرائيلى فذ فى النوع الإنسانى ، وأنه شعب الله المختار من بين سائر الأمم ، وأن من المحال أن يرسل الله رسولا من غيرهم وأن يوحى إليه بشرع جديد لا يقتصر فى تعاليمه

(١) راجع بتوسع : بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٨٦ ، ١١٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٩ بتصرف ، السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ٣٢٦ ، ٣٢٨ بتصرف ط دار التراث العربى (بدون ذكر الطبعة والتاريخ) .

على ما جاء في التوراة .

– وغاظهم أن لمسوا في شخصية النبي ﷺ المنافس الخطير الذي قضى على امتيازهم الديني وكيانهم الخاص ومركزهم الأدبي ، فقد أخذ الناس ينصرفون عنهم ، ويتخذون النبي ﷺ مرجعهم الأعلى ، ومرشدهم الأعظم وقائدهم المطاع، لأنه رسول من عند الله ، ومن صميم العرب ، وما جاء به فيه السعادة الدينية والدنيوية .

– وأحزنهم أن شاهدوا تعاليم الإسلام تدعو إلى إحياء روح الأخاء والمساواة بين البشر فلا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لإسرائيلي على غيره إلا بالتقوى ، وأنها قد اجتذبت بعض علمائهم ورؤسائهم إليها ، فها هو ذا حبرهم وابن حبرهم « عبد الله بن سلام » لم يلبث حين اتصل بالنبي ﷺ أن أسلم ، وأمر أهل بيته بأن يسلموا معه ، ولم يكتف بإعلان إسلامه بل وصف اليهود بأنهم قوم بهت ، وحذر النبي ﷺ من مكرهم وخيانتهم (١) .

فقد أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال : سمع « عبد الله بن سلام » بمقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف (٢) فأتى النبي ﷺ فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال: « أخبرني بهذه جبريل آنفا قال : جبريل؟ قال: نعم ، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية : ﴿ **قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك** ﴾ (٣) .

« أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت » قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول

---

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٣٩ ـ ١٤٠ بتصرف .

(٢) يخترف : أي يجني ثمارها .

(٣) سورة البقرة : ٩٧ .

الله، يارسول الله إن اليهود قوم بهت وأنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم يبهتونى ، فجاءت اليهود ، فقال لهم رسول الله ﷺ « أى رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ » قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، قال « أرأيتم إن أسلم» قالوا : أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله ، فقالوا : هو شرنا وابن شرنا ، وانتقصوه، فقال: هذا الذى كنت أخاف يارسول الله » (١) .

لقد تنكر اليهود للدعوة الإسلامية وتوجسوا خيفة من صاحبها ﷺ منذ البداية ومن بعد الهجرة « فعن صفية بنت حيى بن أخطب - رضى الله عنها - قالت : كنت أحب ولد أبى إليه وإلى عمى أبى ياسر لم ألقهما فى ولد لهما قط وأهش إليهما إلا أخذانى دونه ، فلما قدم النبى ﷺ ونزل قباء فى بنى عمرو بن عوف ، غدا إليه أبى وعمى أبو ياسر مفلسين ، قالت : فوالله ما رجعا إلا مع مغيب الشمس ، قالت : فرجعا إلينا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى ، فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما نظر إلى واحد منهما ، مع ما بهما من الغم ، قالت : وسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبى: أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : أتعرفه بنعمته وصفته ؟ قال : نعم والله ، قال : فماذا فى نفسك منه ؟ قال : عداوته - والله ما بقيت »(٢) .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن أبا ياسر بن أخطب لما قدم النبى ﷺ المدينة ، ذهب إليه وسمع منه وحادثه ، ثم رجع إلى قومه ، فقال : ياقوم أطيعونى فإن الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه فانطلق أخوه حيى بن أخطب - وهو يومئذ سيد اليهود ، وهما من بنى النضير - فجلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه ثم رجع إلى قومه - وكان فيهم مطاعا - فقال : أتيت من عند رجل - والله -لا أزال له عدوا أبدًا فقال له أخوه أبو ياسر : يا ابن أمى، أطعنى فى هذا الأمر وأعصنى فيما شئت بعده لا تهلك ، قال : لا والله لا

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب التفسير : باب قوله تعالى : ﴿قل من كان عدوا لجبريل﴾ جـ ٣ ص ٩٨ .
(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٢٩ - ٢٣٠ البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٢١٢ .

أطيعك أبدا واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه ، قلت : أما «أبو ياسر» فلا أدرى ما آل إليه أمره، وأما «حيى» فشرب عداوة النبى ﷺ ولم يزل ذلك رأيه حتى هلك » (١) .

* ومن هذا نرى أن اليهود قد أضمروا سوءا للدعوة الإسلامية منذ وصول الرسول ﷺ إلى المدينة ، إلا قليلا منهم ، ممن هداهم الله إلى الإسلام .

ومع ذلك فإن النبى ﷺ قد تغاضى عن عداوة هذا البعض دون أن يجهلها وعمل على نشر روح التعاون والمودة مع اليهود ، فتحدث إلى رؤسائهم وتحدثوا إليه ، وتقرب منهم وتقربوا منه ، وأباح للمسلمين أن يؤاكلوهم وأن يتزوجوا من نسائهم ، وفرح اليهود عندما رأوا النبى ﷺ والمسلمين يستقبلون فى صلاتهم بيت المقدس الذى هو قبلة بنى إسرائيل فى صلاتهم ، وقد أراد النبى ﷺ بجانب حسن معاملته لهم أن يزيد فى أسباب التعاون وتبادل المنافع معهم ، فعقد بينه وبينهم معاهدات عادلة ، أمنهم فيها على أنفسهم وأموالهم وعقائدهم وضمنها ما فيه خيرهم وخير المسلمين (٢) .

ولكن لم يجد من ذلك شىء مع اليهود ، بل نشطوا لمحاربة الدعوة الإسلامية فى المدينة وسلكوا كل طريق لإطفاء نورها ، وإخماد سلطانها ، لقد كرهوا أن يثبت أمر هذا الدين الحنيف ، وعز عليهم أن يعيشوا فى ظلاله ، وتحت سلطانه ، وإن اكتسبوا الأمن والقرار ، واستفادوا الرواج المادى فى هذا الجوار ، فأجمعوا أمرهم على أن يكيدوا للنبى ﷺ والمؤمنين ، وعلى أن يقفوا فى وجه الدعوة الإسلامية يصدون عنها ويبغونها عوجا ، ويحشدون كل مالهم من قوة ومال فى سبيل القضاء عليها فى مهدها ، فماذا هم صانعون لبلوغ غايتهم ؟

للإجابة على هذا السؤال نقول : ليس من قبيل المبالغة أن نؤكد أن اليهود لم يتركوا وسيلة من شأنها تعطيل سير الدعوة الإسلامية إلا ولجوها ، أو بادرة

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٢١٢ .

(٢) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ١٣٥ بتصرف .

يستطيعون معها الطعن فى الإسلام ونبيه ﷺ إلا استغلوها . وهذه بعض مسالكهم لكيد الإسلام والمسلمين نذكرها بشىء من الإجمال :

أولا : مسلك المجادلات الدينية والمخاصمات الكلامية :

يبدو لنا أن أول طريقة اتبعها اليهود لإيذاء النبى ﷺ وإثارة الفتنة بين صفوف المسلمين ، هى الاكثار من المجادلات الدينية ، والمخاصمات الكلامية ، فإن الإسرائيلى من طبعه الجدل والمماراة فى قبول الحق ، وقصة أمرهم بذبح البقرة ، وقصة الملأ من بنى إسرائيل الذين قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ، وغيرهما مما جاء به القرآن الكريم فى شأن لجاجهم ، خير دليل على ما نقول .

ولسنا الآن بصدد تحليل نفسياتهم ، وإنما نحن الآن بصدد إيراد بعض الشواهد والنماذج للمسائل التى دار الجدل حولها ، وبيان أن جدالهم كان صادرا عن سوء نية ، وأنه لم يكن من أجل الوصول إلى الحق ، وإنما كان من أجل إظهار الرسول ﷺ بمظهر العاجز عن مقارعة حججهم ، ومجابهة براهينهم حتى يتشكك المسلون فى صدق نبيهم ﷺ ويرجعوا عن دين الإسلام الذى هداهم الله إليه .

ولكن اليهود خابوا فى مسلكهم هذا كما خابوا فى غيره ، فقد لقن الله تعالى نبيه ﷺ الرد الذى يخرس ألسنتهم ، ويبطل حجتهم ، ويظهر أمر الله وهم كارهون [1] .

* وهذه بعض الأمور التى جادل اليهود فى شأنها النبى ﷺ :

(أ) جدالهم للنبى ﷺ فى شأن نبوته بقصد الطعن فيها ، والتشكك فى صدقه وانصراف الناس عن دعوته واتخذوا لذلك وسائل متعددة من أهمها :

١ - تصريحهم بأن محمدا - ﷺ - ليس هو النبى المنتظر الذى بشرت به الكتب السماوية ، بعد أن عرفوا صدقه كما يعرفون أبناءهم ، وقد حكى القرآن

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ١٤١ . ١٤٣ بتصرف .

الكريم كذبهم هذا فى قوله تعالى : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾ (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما . « أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ،فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء : يامعشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته ، فقال لهما سلام بن مشكم - أخو بنى النضير - ما جاءنا بشىء نعرفه وما هو بالذى كنا نذكره لكم ، فأنزل الله الآية الكريمة (٢) .

٢ - ظهورهم أمام الناس بمظهر المحافظ على عهود الله ، وأنهم ما تركوا الإيمان بمحمد ﷺ حسدا له ، وإنما تركوا الإيمان به لأنه لم يأت بالمعجزات التى أتى بها الأنبياء السابقون ، فهم معذورون إذا لم يؤمنوا به لأنه ليس نبيا صادقا - فى زعمهم .

ولقد حكى القرآن الكريم شبهتهم هذه ورد عليها بما يدحضها ، فقال تعالى : ﴿ **الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين** ﴾ (٣) .

٣ - مطالبتهم للرسول ﷺ بالمطالب المتعنتة ، على سبيل التحدى والتعجيز وإظهاره بمظهر العاجز عن إجابة مقترحاتهم ، لكى ينصرف الناس عنه ويعتقدوا عدم تصديقه ، أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: « قال رافع بن حريملة اليهودى للرسول ﷺ يامحمد : إن كنت رسولا من

---

(١) سورة البقرة : ٨٩

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٢٤ بتصرف

(٣) سورة آل عمران : ١٨٣

الله كمـا تقول ، فقل لله فيكلمنا حـتى نسمع كلامه ، فـأنزل الله فى ذلك قوله تعالى : ﴿ **وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الـله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون** ﴾ (١) .

٤ - ومن الوسائل التى اتبـعها اليهـود للطعن فى نبوة النبى ﷺ ، محـاولتهم إنكار أن يكون القرآن منزلا من عند الله تعالى - على محمد ﷺ .

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قـال : قال ابن صوريا الفطيونى لرسول الله ﷺ يامحمد مـاجئتنا بشىء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية بيـنة فنتبعك بها- وغرضهم من هذه المقالة الطعن فى كون القـرآن الكريم معجزة للرسول ﷺ فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ **ولقد أنزلنا آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون** ﴾ (٢) .

٥ - ومن الوسائل الخبيثة التى سلكها اليهود للطعن فى نبوة النبى ﷺ إنكارهم نزول الوحى عليه من السماء ، وغرضـهم بذلك اتهامه بأن ما يقوله ليس من عند الله - تعالى - وإنما من عند نفسه .

أخرج ابن حاتم عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل من اليهود يقال له « مالك ابن الصيف » فـخاصم النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ : أنشـدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فى التوراة أن الله يبغض الحبـر السمين -وكان حبرا سمينا - فغضب ، وقال : ﴿ **ما أنزل الله علـى بشر من شىء** ﴾ فقال له أصحابه : ويحك ولا على موسى ؟ فأنزل الله ﴿ **وما قدروا الله حق قـدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء قل من أنزل الكـتاب الذى جاء به موسى نـورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبـدونها وتخفون كثـيرا وعلمتم ما لـم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون** ﴾ (٣) .

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى جـ ١ ص ٥١٢ ط الحلبى والآية من سورة البقرة : ١١٨ .

(٢) أسباب النزول للنيسابورى ص ١٦٤ بتصرف ط مكتبة الجمهورية والآية من سورة البقرة : ٩٩ .

(٣) لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى على هامش الجلالين ص ٢٢٢ والآية من سورة الأنعام ورقم الآية ٩١ .

وقال النيسابورى : قال محمد بن كعب القرظى : أمر الله محمدا ﷺ أن يسأل أهل الكتاب عن أمره وكيف يجدونه فى كتبهم ، فحملهم الحسد لمحمد ﷺ أن كفروا بكتاب الله وكفروا برسوله ، وقالوا : ما أنزل الله على بشر من شىء فأنزل الله هذه الآية [١] .

* هذه بعض الصور الجدلية التى اتبعها اليهود للطعن فى نبوة النبى ﷺ ، وقد باءت كلها بالفشل ، لأن القرآن الكريم ، قد اهتم بهذه الحرب الجدلية - التى هى أشبه ما تكون بحرب الأعصاب،أو ما يسمى بالحرب الباردة فى عصرنا الحاضر - فتعقب مزاعم اليهود وفندها ، ورد عليها بما يدحضها ويثبت صدق النبى ﷺ [٢]

﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة وإن الله لسميع عليم ﴾[٣].

فهذه صورة من صور التعصب عند اليهود .

(ب) جدالهم مع النبى ﷺ في شأن إبراهيم وملته :

كانت ملة إبراهيم واتباع النبى ﷺ لها ودعوته إليها ، موضوع آيات عديدة فى العهد المكى ، وكانت هذه الآيات تعلن بأن إبراهيم - عليه السلام - كان موحدا لله - تعالى - وما كان من المشركين ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين** ﴾ [٤] .

ثم قوله تعالى - بعد ذلك فى السورة - ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين** ﴾ [٥]، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة ، نزلت آيات مدنية متعددة ، تحكى - أيضا - أن إبراهيم - عليه السلام - كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين وأن ما يدعيه أهل الكتاب أن إبراهيم عليه السلام - كان يهوديا أو نصرانيا قول باطل وزعم فاسد .

(١) أسباب النزول للنيسابورى ص ١٦٤ بتصرف
(٢) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ١٤٨ بتصرف
(٣) سورة الأنفال : ٤٢ .
(٤) سورة النحل : ١٢٣ . (٥) سورة النحل : ١٢٠ .

فقال تعالى : ﴿ **ياأهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ، هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين** ﴾ (١) .

عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : اجتمعت نصارى نجران ، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده ، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانيا ، فأنزل الله تعالى: ﴿ **ياأهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم .. الآيات** ﴾ (٢) .

(جـ) جدالهم في نبوة عيسى – عليه السلام :

ومن المسائل التى احتدم فيها الجدل بين النبى ﷺ وبين اليهود نبوة عيسى عليه السلام ، لأن الاسلام يعترف لعيسى بالنبوة ، وأنه من الرسل ، وأن مثله كمثل آدم ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ (٣) وأن أمه صديقة مطهرة من كل ما يخدش المروءة والشرف ، ولكن اليهود لا يسلمون بذلك ، فهم لا يعترفون له بالنبوة ، بل يرون أنه قد أتى عن طريق غير شريف وأن أمه كانت امرأة بغيا .

أخرج ابن جرير – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : « أتى لرسول الله ﷺ نفر من اليهود ، فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبى رافع وأزار بن أبى أزار وأشيع ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ؟ قال : أومن بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له

---

(١) سورة آل عمران : ٦٥ ، ٦٨
(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٧٢ بتصرف .
(٣) سورة آل عمران : ٥٩ .

مسلمون ، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته ، وقالوا لا نؤمن بمن آمن به ، وما نعلم أهل دين أقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ، ولا دينا شرا من دينكم ، فأنزل الله فيهم : ﴿ **قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثرهم فاسقون** ﴾ (١) .

(د) جدالهم فى قضية النسخ :

ومن الأمور التى اشتد فيها الجدل بين النبى ﷺ وبين اليهود ، قضية النسخ ، وكان جدالهم فيها يبغون من ورائه إثارة الفتن والطعن فى شريعة الإسلام . لقد استنكر اليهود أن يبدل الله آية بآية ، أو حكما بحكم ، وقالوا : ألا ترون إلى محمد - ﷺ - يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ، ويأمرهم بخلافه ، ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ، ما هذا من شأن الأنبياء وما هذا القرآن إلا من كلام محمد - ﷺ - يقوله من تلقاء نفسه ، وهو كلام يناقض بعضه بعضا .

ولم يترك القرآن الكريم تلك الشبهات التى أثارها اليهود حول شريعة الإسلام بدون جواب بل أنزل الله تعالى - آيات كريمة لدحضها وإزالتها من الصدور ، ليزداد المؤمنون إيمانا ،ومن هذه الآيات التى أنزلها الله تعالى فى هذا الشأن ، قوله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير. ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير . أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل** ﴾ (٢) .

(هـ) جدالهم في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام :

من المسائل التى اشتد فيها الجدل بين النبى ﷺ وبين اليهود أخرج ، البخارى فى صحيحه عن البراء بن عازب - رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشرشهرا ، وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن

(١) تفسير ابن جرير جـ ٦ ص ٢٩٢ والآية من سورة المائدة : ٥٩ .
(٢) سورة البقرة :١٠٦ ، ١٠٨

تكون قبلته قِبَل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ جهة مكة فداروا كما هم قِبَل البيت . وكان اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى قِبلَ بيت المقدس ، فلما ولى وجهه قِبَل البيت أنكروا ذلك»[1] . وكانوا يشيعون بين الناس أن النبى ﷺ قد اتبع قبلتهم وعما قريب سيتبع ملتهم ، واعتبروا اتجاه المسلمين فى صلاتهم إلى بيت المقدس نوعا من اقتباس الهدى منهم ، فتأثر الرسول ﷺ من موقفهم الجحودى وانبثقت فى نفسه أمنية التحول إلى الكعبة ، وأكثر من التضرع والابتهال إلى الله كى يوجهه إلى قبلة أبيه إبراهيم وقد أجاب الله تعالى رجاء نبيه ﷺ فولاه القبلة التى يرضاها، ففرح المؤمنون لذلك لأن فى توجههم إلى بيت الله الحرام ، تأليفا لقلوبهم، فهو مثابتهم ، ومركز تجمعهم ، وموطن أمنهم ومهوى أفئدتهم ، وجامع وحدتهم،وقد استقبلوا هذا التحويل بالسمع والطاعة لله ورسوله ﷺ ، أما اليهود ومن على شاكلتهم ممن فى قلوبهم مرض فقد استقبلوه بالاستهزاء والجحود ، وإثارة الشبهات لبلبلة الأفكار وتشكيك المسلمين فى عقيدتهم .

ومما قاله المشركون فى ذلك: إن محمدا ﷺ قد تحير فى دينه ويوشك أن يرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا ، ومما قاله المنافقون : مابال المسلمين كانوا على قبلة ثم تركوها؟ ومما قاله اليهود ـ الذين تولوا أكبر التشكيك فى صحة التوجه إلى بيت الحرام ـ :

« إن كانت القبلة الأولى – وهى بيت المقدس – على حق فقد تركتم أيها المسلمون الحق ، وإن كانت على باطل فعبادتكم السابقة باطلة ، ولو كان محمد – ﷺ – نبيا حقا ماترك قبلة الأنبياء وتحول إلى غيرها ، ومافعل اليوم شيئا وخالفه غدا [2] .

(١) أخرجه البخارى : كتاب الإيمان ، باب الصلاة جـ ١ ص ١٧ ، والترمذى كتاب التفسير ،باب سورة البقرة جـ ١ ص ٨٦ وأحمد جـ ١ ص ٢٥٠ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٢٥٢ إلى ٢٥٤بتصرف .

ومقصدهم من وراء هذه المقالات المرذولة ، الطعن فى شريعة الإسلام ، وفى نبوة محمد ﷺ ، ولكن القرآن أفسد عليهم خطتهم وأحبط مكرهم ،فأخبر الله تعالى نبيه ﷺ بما سيقوله هؤلاء السفهاء جميعا قبل أن يصدر عنهم، ومهد لتحويل القبلة بما يطمئن النفوس ، ويثبت الإيمان فى القلوب ويهيىء الأفئدة لتقبل هذا الأمر العظيم . فذكر الله فى الآيات السابقة على التحويل أنه إذا نسخ آية أتى بما هو خير منها أو مثلها ، لأن القادر على كل شىء المالك للسموات والأرض تصرفا وتدبيرا ، أعلم بما يقصد به عباده وما فيه الخير لهم .

ثم ذكر - سبحانه - بعد ذلك أن له المشرق والمغرب ، ففى أى مكان توجه المصلى فثم وجه الله ، ثم نبه رسوله ﷺ بأنه لن يرضى عنه اليهود ولا النصارى حتى يتبع ملتهم .

ثم فصل القرآن الكريم بعد ذلك - الحديث عن البيت الحرام وتعظيمه وشرفه، فذكر أن الله - تعالى - قد جعله مثابة ومرجعا للحجاج والعمار ، يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ، وأخبره سبحانه أنه قد عهد فى بنائه إلى نبيين كريمين ، هما سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام - وأمرهما بتطهيره من كل رجس للطائفين والقائمين والركع السجود .

* ولقد كانت الآيات الواردة فى شأن المسجد الحرام قبيل الأمر بتحويل القبلة. كفيلة باعطاء صورة وافية لكل عاقل بأن بيتا له هذه القداسة جدير بأن يكون قبلة للناس فى صلاتهم ، ولكن اليهود ومن فى قلوبهم مرض لم يكن إعراضهم عن الحق لشبهة فى نفوسهم ينقصها الدليل ، وإنما كان إعراضهم مرجعه العناد والمكابرة وكلاهما يعمى ويصم ، فلا غرابة أن ينطقوا كفرا ، ولاكت ألسنتهم قبحا وسفها .

إلا أن ما قالوه من شبهات حول تحويل القبلة لم يجد آذانا صاغية من المؤمنين، لأن الله - تعالى -قد مهد للتحويل بما يطمئن النفوس ، ولقن نبيه ﷺ الجواب على شبهاتهم قبل أن ينطقوا بها، ليكون ذلك أقطع لحجتهم كما قالوا فى

الأمثال: « قبل الرمى يراش السهم » [١] .

فأنزل الله تعالى الآيات الكريمة من سورة البقرة فى شأن صرف القبلة إلى البيت الحرام ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم . قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون..** ﴾ [٢] .

ثانيا : تعنتهم فى الأسئلة بقصد إحراج الرسول عليه الصلاة والسلام :

استعمل اليهود فى المسلك السابق - الذى تكلمنا عنه - المجادلات الدينية والمخاصمات الكلامية ، لزلزلة الإيمان فى نفوس أتباع الدعوة الإسلامية ، ولكنهم حين وجدوا أن هذه المجادلات قد فشلوا فيها ، وخرجوا منها بالخيبة والخسران ، لأن بنزول القرآن الكريم لقن رسوله ﷺ الإجابات التى تبطل حجتهم وتخرس ألسنتهم ، لجئوا إلى مسلك آخر لتشكيك المسلمين فى عقيدتهم ، ألا وهو توجيه الأسئلة المتعنتة إلى الرسول ﷺ بقصد إحراجه وإظهاره بمظهر العاجز عن إجابة مطالبهم .

وقد حكى القرآن الكريم هذا المسلك الخبيث من اليهود ، ووبخهم عليه ، فقال تعالى : ﴿ **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا**

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ١٥٧ ـ ١٦١ بتصرف .

(٢) سورة البقرة : ١٤٢ ، ١٤٤ وبقية الآيات إلى : ١٥٠ .

العـجل من بعد مـا جاءتهم البـينات فـعفـونا عن ذلك وآتينا مـوسى سلطانا مبـينا ، ورفعنا فوقهم الطور بميثاقـهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ [١] .

أخرج ابن جرير عن ابن كعب القرظى قـال : جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يامحمـد إن موسى جاء بالألواح من عند الله فأتنا أنت بالألواح من عند الله حتى نصـدقك ، فأنزل الله : ﴿ يسألك أهل الكتـاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء . . الآيات ﴾[٢] والمراد بأهل الكتاب هنا اليهود خاصة بدليل سياق الآيات الكريمة التى ذكرت أوصافا لا تنطبق إلا عليهم .

* هذا ومن قبيل الأسئلة المتعنتة التى وجـهها اليهود للنبى ﷺ سؤالهم إياه عن الروح وعن طعـام أهل الجنـة وشـرابهـم ، وعن الجنازة ، وهل تتـكلم ، وعن وحـدانية اللـه ، وعن ذى القرنين ، وعن ذات الـله تعالى . إلـى غيـر ذلك من الأسئلة التى وجهوها إلى النبى ﷺ بقصد إحراجـه والإساءة إليه لا بقصد المعرفة والوصول إلى الحق . ومنهـا ما جاء فى الصـحيحين عن عـبد الله بن مسـعود ، قال: « بـينما أنا مع النبى ﷺ فى حـرث وهو متكىء علـى عسيب - أى جـريدة نخل - إذ مر اليـهود ، فقال بعضـهم لبعض ، سلوه عن الروح ، فقـال بعضهم مـارابكم إليه ؟ - أى مـا دعاكم إلى سـؤال تخشـون عقـباه - وقـال بعضـهـم لا يستـقبلكم بشىء تكرهونه ، فقـالوا سلوه - فسألوه عن الروح فـأمسك النبى ﷺ فلم يرد عليهم شيـئا ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقمت مـقامى ، فلما نزل الوحى قال : ﴿ ويسـألونك عـن الروح قل الروح من أمـر ربى ومـا أوتيـتـم من العلم إلا قليلا ﴾[٣] .

وفى صحـيح مسلم عن ثوبان أنه قال: كنت قـائما عند رسول الله ﷺ فـجاء

---

(١) سورة النساء : ١٥٣ ، ١٥٤

(٢) تفسير ابن جرير جـ ٦ ص ٧

(٣) أخرجـه البخارى واللفظ له من كتاب التفسـير باب ويسألونك عن الروح جـ ٣ ص ١٥١ . ١٥٢ وأخرجه مسلم فى كتاب « صفات المنافقين » باب سؤال اليهود جـ ٢ ص ٥١٨ والآية من سورة الإسراء : ٨٥ .

حبر من أحبار اليهود ، فقال السلام عليك يامحمد ، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول يارسـول الله ! فقال اليهودى : إنما ندعوه باسمـه الذى سمـاه به أهله ، فقال رسـول الله ﷺ : « اسمى الذى سـمانى به مـحمـد » ، فـقال اليـهـودى : أين يكون الناس يوم تبـدل الأرض غيـر الأرض والسموات ؟ فقال رسـول الله ﷺ : « هم فى الظلمة دون الجسر - أى الصراط - فقال اليهـودى : فمن أول الناس إجازة - أى عبور الصراط - ؟ فـقال « فقراء المهاجـرين » فقال اليـهودى : فما تحـفتهم- أى هديتـهم - حين يدخلون الجنة ؟ فقال رسـول الله ﷺ : « زيادة كبد الحوت» فـقال اليهودى : فمـا غذاؤهم على إثرها ؟ قال :« ينـحر لهم ثور الجنة الذى كـان يأكل من أطرافها » فـقال : فـما شرابهم عليه ؟ قال : « من عين تسمى سلسبيلا » فقال اليهودى : صدقت وجئت أسـألك عن شىء لا يعلمـه أحـد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجـلان ، قال :«ينفعك إن حدثتك » فقال اليهودى : أسمع بأذنى ثم قال :جئت أسالك عن الولد ؟ فقال ﷺ : مـاء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فـإذا اجتمعـا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكر - بإذن الله - أى كان الولد ذكرا - وإذا علا منى المرأة منى الرجل كـانت أنثى - بإذن الله - أى كـان الولد أنثى - فـقـال اليهـودى : لقـد صدقت وإنك لنبى ، ثم انصرف فذهب » [1] .

وأخـرج أبو داود عن أبى نملة الأنصـاوى عن أبيه ، أنه بينـما هو جـالس عند رسول الله ﷺ وعنده رجل من اليهـود ، إذ مر بجنازة فقال اليهودى : يـامحمد هل تتكلم الجنازة ؟ فقـال النبى ﷺ : « الله أعلم فقال اليهـودى : إنها تتكلم ، فقال النبى ﷺ : ما حدثكم به أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوه ، وإن كان حقا لم تكذبوه » [2] .

وقـال ابن إسـحاق : « أتى رسـول الله ﷺ « النحـام بن زيد » و «قـروم بن

(١) أخرجه مـسلم كتاب « صفات المنافقين » باب فى البـعث والنشور وصفة الأرض يوم القيـامة بنحوه -جـ ٢ ص ٥١٧ .

(٢) سنن أبى داود كتاب العلم باب رواية حديث أهل الكتاب جـ ٣ ص ٣١٨ .

كعب» ، و «بحرى بن عمرو» ، فقالوا له : يامحمد أما تعلم أن مع الله إلها آخر؟ فقال رسول الله ﷺ : الله لا إله إلا هو بذلك بعثت ، وإلى ذلك أدعو ، فأنزل الله فيهم **﴿ قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون . الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾** [١] .

وقال أيضا : قال جبل بن أبى قشير ، وشمويل بن زيد لرسول الله ﷺ : يامحمد أخبرنا ، متى تقوم الساعة إن كنت نبيا كما تقول ؟ فأنزل الله تعالى فيهما: **﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾** [٢] .

وقال أيضا : قال حيى بن أخطب ، وكعب بن أسد ، وأبو رافع وأشيع وشمويل بن زيد لعبد الله بن سلام حين أسلم : ما تكون النبوة فى العرب ، ولكن صاحبك ملك ، ثم جاءوا إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن ذى القرنين فقص لهم ما جاءه من الله تعالى فيه مما كان قص على قريش ، وهم كانوا ممن أمر قريشا أن يسألوا رسول الله ﷺ عنه حين بعثوا إليهم النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبى معيط » [٣] .

وقال أيضا : وحُدِّثت عن سعيد بن جبير أنه قال : أتى رهط من يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يامحمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟ قال فغضب رسول الله ﷺ حتى امتقع لونه - أى تغير - ثم ساورهم - أى باطشهم - غضبا لربه ، قال : فجاءه جبريل - عليه السلام - فسكّنه ، فقال: خَفِضْ

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٧٢ والآية من سورة الأنعام : ١٩ ، ٢٠ .
(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٧٣والآية من سورة الأعراف : ١٨٧ .
(٣) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٧٤ ، ٣٧٥

عليك يامحـمد، وجاء من اللـه - تعالى - بجواب مـا سألوه عنه: ﴿ قل هو الـله أحد. الله الصـمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفـوا أحد ﴾ قال : فلما تلاها عليهم، قالوا فصف لنا يامحمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عضده ؟ فغضب ﷺ أشد من غضبـه الأول ، وساورهم ، فأتاه جبريل - عليه الـسلام - فقال له مثل ما قال أول مرة وجاءه من الله تعالى بجواب ما سألوه بقول الله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [١] .

فهـذه بعض النماذج للأسئلة المتـعنتة التى وجههـا اليهود إلى النبى ﷺ بقـصد مضايقته وإظهاره بمظهر العاجز عن إجـابة أسئلتهم ولقد خابوا فيما سلكوه ، ولم يصلوا إلى ما أرادوه ، فقد كان النبى ﷺ يجيبهم بما يخرس ألسنتهم ويردهم على أعقابهم خاسرين .

﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ [٢] ا . هـ [٣].

***

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٧٥ ، والآية من سورة الزمر : ٦٧ وسورة الإخلاص .

(٢) سورة التوبة : ٣٢ .

(٣) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ١٨٣ ، ١٩٠ بتصرف .

ثالثا : محاولتهم الدس والوقيعة وإثارة الفتنة بين المؤمنين :

ومن المسالك الخبيثة التى اتبعـها اليهود لكيد الإسلام والمسلمين ، مسلك الدس والوقيـعة وإثارة الفتنة بين المؤمنين ، وقد حـكى القرآن الكريم هذا المسلك ووبخ اليهود على سلوكهم إياه ، وأرشـدهم إلى الطريقة المثلى التى تهديهم إلى الصراط المستقيم ، فـقال تعالى : ﴿ قل ياأهل الكتاب لم تـكفرون بآيات الله والله شهـيد على ما تعملون ، قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهـداء وما الله بغافل عـما تعلمون . ياأيهـا الذين آمنوا إن تطيعوا فـريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيـكم رسوله ومن يعتـصم بالله فقـد هدى إلى صراط مسـتقـيم . ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جـميـعـا ولا تفرقـوا واذكروا نـعمـة الله عليكم إذ كنتم أعـداء فـألف بين قلوبكم فأصبـحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شـفا حفرة من النار فأنقـذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (١) .

أخـرج ابن جرير - فى سـبب نزول هذه الآيات - عن زيد بن أسلم ، قـال : «مَـرَّ شَاسُ بنُ قيس - وكان شـيخا قد عسا - كبـر وأسن - فى الجاهلية ، عظيم الكفر ، شـديد الضغن على المسلمين شديد الحـسد لهم - على نفر من أصـحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعـهـم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من جمـاعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسـلام ، بعد الذى كان بينهم من العـداوة فى الجاهليـة ، فقـال : قد اجتـمع ملأ بنى قـيلة - أم الأوس والخزرج - بهذه البـلاد ، والله مالنا معهـم إذا اجتمع ملؤهم بها من قـرار ،فأمر فتى شابا من اليهود وكان معه ، فقال : اعمد إليهم فاجلس معهم ، وذكرهم يوم بعاث ، وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار - وكان يوم

(١) سورة آل عمران : ٩٨ . ١٠٣ وبقية الآيات الواردة فى القصة إلى ١٠٥ .

بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج - ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك ، فتنازعوا وتفاخروا ، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب : « أوس بن قيظى » - أحد بنى الحارثة بن الحارث من الأوس - « وجبار بن صخر » - أحد بنى سلمة من الخزرج ، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رددناها الآن جذعة - يريد عودة الحرب شابة فتية قوية - وغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاح السلاح ، موعدكم الظاهرة - وهى الحرة - فخرج إليهم رسول الله ﷺ فيمن معه من المهاجرين من أصحابه ، حتى جاءهم فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا ؟

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله كيد عدو الله « شاس بن قيس» فأنزل الله فى شاس بن قيس وما صنع ﴿ **قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ، قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء** . . الآية ﴾ وأنزل الله - عز وجل - فى أوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما ، الذين صنعوا ما صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين** .. ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **أولئك لهم عذاب عظيم** ﴾ [١] .

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد بينت مسلكا من مسالك اليهود الخبيثة لكيد

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٤ ص ٢٣ ، ٢٤ .

الإسـلام والمسلمين وتعصبـهم على مدى الأيام ، ووبختـهم على ذلك توبيخـا موجـعا، وفضحتـهم على مر العـصور والدهور وحذرت المؤمـنين من شرورهم وكيدهم .

رابعاً : محاولتهم رد المسلمين عن دينهم بطريق الخداع والتلبيس :

ومن مسالك اليهود - أيضا - لكيد الإسلام والمسلمين ، إظهارهم الإيمان لفترة من الوقت ثم رجوعهم عنه بعد ذلك إلى الكفر ، وقد حكى القرآن الكريم عنهم هذا اللون الخبيث من المخادعة فى كثير من آياته ، ومن ذلك قوله تعالى : **﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾**[1].

إن هذه الآيات الكريمة قد حكت عن اليهود طريقة ماكرة لئيمة ، هى تظاهرهم بالإسلام ليحسن الظن بهم من ليس خبيرا بمكرهم وخداعهم حتى إذا ما اطمأن إليهم الناس جاهروا بكفرهم ، ورجعوا إلى يهوديتهم ، ليوهموا حديثى العهد بالإسلام ، أو ضعاف الإيمان ، أنهم قوم يبحثون عن الحقيقة ، وأنهم ليس عندهم أى عداء للنبى ﷺ، وأن الذى حصل منهم هو أنهم بعد دخولهم فى الإسلام واتباعهم لمحمد ﷺ وجدوه دينا باطلا وأن محمدا ﷺ ليس النبى المرتقب ، وأنهم ماعادوا إلى يهوديتهم إلا بعد الاختبار والفحص وإمعان النظر فى دين الإسلام .

ولا شك أن هذه الطريقة التى سلكوها لصرف المسلمين عن دينهم ، من أقوى ما تفتق عنه تدبيرهم الشيطانى ، لأن إعلانهم الكفر بعدالإسلام وإظهارهم الإيمان

(١) سورة آل عمران : ٧٢ . ٧٤ .

به ، من شأنه أن يدخل الشك فى القلوب ، ويوقع ضعاف العقول والإيمان فى حيرة واضطراب، خاصة وأن العرب قوم أميون ، ومنهم من كان يظن أن اليهود أعرف منهم بمسائل العقيدة والدين ، وأنهم ما ارتدوا عن الإسلام إلا بعد اطلاعهم على نقص فى تعاليمه .

والمتتبع لمراحل التاريخ قديما وحديثا ، يرى أن كثيرا من الدهاة فى السياسة والحروب يتخذ هذه الخدعة ذريعة لإشاعة الخلل والاضطراب فى صفوف الأمم والجماعات (١) .

قال المرحوم الشيخ محمد عبده : « هذا النوع الذى تحكيه الآيات من صد اليهود عن الإسلام مبنى على قاعدة طبيعية فى البشر ، وهى أن من علامة الحق ألا يرجع عنه من يعرفه ، وقد فقه هذا « هرقل» ملك الروم ، فكان مما سأل عنه أبا سفيان من شئون النبى ﷺ عندما دعاه إلى الإسلام : « هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فى الإسلام ؟ فقال أبو سفيان : لا. » وقد أرادت هذه الطائفة أن تغش الناس من هذه الناحية ليقولوا : لولا أن ظهر لهؤلاء بطلان الإسلام لما رجعوا عنه بعد أن دخلوا فيه ، واطلعوا على بواطنه وخوافيه إذ لا يقبل أن يترك الإنسان الحق بعد معرفته،ويرغب عنه بعد الرغبة فيه بغير سبب»(٢).

وقد روى المفسرون فى سبب نزول هذه الآيات الكريمة روايات متعددة كلها تدور حول المعنى الذين قررناه ، ومنها ما أخرجه ابن جرير الطبرى عن قتادة قال: « قال بعض أهل الكتاب لبعض أعطوهم الرضا بدينهم أول النهار ، واكفروا به آخره ، فإنه أجدر أن يصدقوكم ، ويعلموا أنكم قد رأيتم ما تكرهونه ، وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم » (٣) .

---

(١) بنو اسرائيل فى القرآن والسنة ١٩٧ ، ١٩٨ بتصرف .

(٢) تفسير المنار جـ ٢ ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ بتصرف ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ م .

(٣) تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٣ ص ٣١١ .

خامسا : تلاعبهم بأحكام الله – تعالى –ومحاولتهم فتنة الرسول عليه الصلاة والسلام عند تقاضيهم إليه :

هذه وسيلة جديدة من الوسائل اليهودية الخبيثة لكيد الدعوة الإسلامية ، استعملوا فيها ما جبلوا عليه من خداع وختل ، وذلك أنهم كانوا يتحاكمون إلى الرسول ﷺ فى بعض قضاياهم ، مؤملين أن يقضى بينهم بغير ما أنزل الله ، فيشيعوا ذلك بين الناس ، ويعلنوا عدم صدقه فى نبوته لأنه لو كان صادقا لحكم بما أنزل الله .

ولكن الرسول ﷺ حكم بينهم بما أنزل الله ، فأحبط خطتهم ، وغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، وهذه آيات كريمة من سورة المائدة – الحافلة بقصص بنى إسرائيل – تصور لنا هذا اللون من مسالكهم الخبيثة فتقول : ﴿ يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تأتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم . لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . سماعون للكذب أكالون للسحت ، فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾ [1] .

وردت فى سبب نزول هذه الآيات الكريمة أحاديث متعددة منها :

* ما أخرجه البخارى عن ابن عمر – رضى الله عنهما : « أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة قد زنيا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : «ما تجدون في التوراة فى شأن الرجم ؟ فقالوا : نفضحهم ويجلدون،

(١) سورة المائدة : ٤١ إلى ٤٣ وبقية الآيات إلى ٥٠ .

فقال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله : ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا صدقت - يامحمد - فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما . قال عبد الله بن عمر : فرأيت الرجل يجنأ على المرأة -أى ينحنى عليها - يقيها الحجارة»[١]

ومنها ما رواه مسلم فى صحيحه عن البراء بن عازب قال: مُرَّ على الرسول ﷺ بيهودى محممًا - أى على وجهه الفحم - مجلودًا ، فدعاهم ، فقال : هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم فقالوا : نعم ، فدعا رجلا من علمائهم فقال: أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم ؟ فقال: لا والله ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك ، نجده الرجم ، ولكنه كثر فى أشرافنا ، كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، فقلنا تعالوا حتى نجعل شيئا نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم ، فقال النبى ﷺ اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه ، قال : فأمر به فرجم ، قال: فأنزل الله تعالى : ﴿ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر﴾ إلى قوله : ﴿يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه﴾ - أى يقولون ائتوا محمدا . فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه ، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا[٢] إلى آخر ما ورد فى سبب نزول الآيات .

سادسا : تحالفهم مع المنافقين ضد المسلمين :

من أساليب اليهود فى محاربة الدعوة الإسلامية ، مظاهرتهم لكل مناوىء لها بصفة عامة ومحالفتهم للمنافقين فى سبيل القضاء عليها بصفة خاصة، وفي سورة المائدة ، وسورة الحشر ،آيات تكشف عن الولاء المتبادل بين طائفتى اليهود

(١) أخرجه البخارى كتاب التفسير باب : قل فأتوا بالتوراة جـ ٣ ص ٤٦ .
(٢) أخرجه مسلم كتاب الحدود ، باب رجم اليهود وأهل الذمة فى الزنا جـ ٢ ص ٥٤ ، ٥٥ .

والمنافقين بالمدينة .

قال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين** ﴾ [١] .

روى ابن جرير عن عطية بن سعد قال : جاء عبادة بن الصامت من بنى الحارث بن الخزرج إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إن لى موالى من يهود كثير عددهم ، وإنى أبرأ إلى الله ورسوله من يهود ، وأتولى الله ورسوله ، فقال عبد الله بن أبى : إنى رجل أخاف الدوائر ، ولا أبرأ من ولاية موالى .

فقال رسول الله ﷺ لعبد الله بن أبىّ ، يا أبا الحباب ، ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو إليك دونه ، قال : قد قبلت ، فأنزل الله عز وجل : ﴿**ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ..**﴾ إلى قوله تعالى : ﴿**نادمين**﴾[٢] .

وهكذا نرى أن الآيتين الكريمتين قد بينتا بأسلوب صريح أن طائفتى اليهود والمنافقين كونتا جبهة متحدة فى عدائها للدعوة الإسلامية .

ويقول تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لاينصرون** ﴾ [٣] من المتفق عليه بين المفسرين أن سورة الحشر قد نزل معظمها فى شأن بنى النضير ، فقد ذكرت ما

---

(١) سورة المائدة : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٦ص ٢٧٥ .

(٣) سورة الحشر : ١١ ، ١٢ .

أصابهم من هزيمة على يد المؤمنين بسبب جرمهم ، وهاتان الآيتان تصوران مظهراً من مظاهر التناصر بين اليهود والمنافقين، وإن كان هذا التناصر لم يتم بصورة فعلية.

فقد أخرج ابن جرير وابن إسحاق : « أن المسلمين لما حاصروا بنى النضير أرسل عبد الله بن أُبَىّ ومن معه من المنافقين إليهم من يقول لهم : اثبتوا وتمنعوا ، فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم فتربص اليهود ذلك من نصرهم ولكن المنافقين لم يفعلوا[١] فأنزل الله هاتين الآيتين ، وبعد أن سقنا بعض الآيات التى تثبت تحالف اليهود مع المنافقين لكيد المسلمين .

نستطيع أن نقول : إن اليهود هم الذين ساعدوا على إيجاد طائفة المنافقين وتقويتها فى المدينة ، بما بثوا فيهم من الشكوك ، وبما أثاروا حول الإسلام من شبهات وأباطيل ، وأن المنافقين ما قويت شوكتهم إلا بمساعدة اليهود إياهم ، وليس أدل على ذلك من أنه بمجرد أن ضعفت قوة اليهود بعد تنكيل المسلمين بهم، رأينا المنافقين - أيضا - يخفت صوتهم وتنهار دولتهم ،كما وصفتهم الآية الكريمة بقولها : ﴿ **لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لَوَلَّوا إليه وهم يجمحون**﴾ [٢].

ولقد كان اليهود وراء المنافقين يشجعونهم ، ويمدونهم بالمال وبالأفكار الخبيثة لحرب المسلمين . [٣].

سابعا : تحالفهم مع المشركين ، وشهادتهم لهم بأنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا :

فى سورة النساء - آيات كريمة - سجلت على اليهود موقفا مخزيا ، وهو أنهم رغم كونهم أهل كتاب فقد حملهم الحسد على أن يفضلوا عابدى الأوثان على أهل الإيمان ، هذه الآيات الكريمة هى قوله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا**

(١) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ١٣٩ بتصرف .

(٢) سورة التوبة : ٥٧

(٣) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ بتصرف .

من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا . أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا . أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ﴾ (١) .

أخرج ابن جرير عن عكرمة أن كعب بن الأشرف انطلق إلى المشركين من كفار قريش فحرضهم على النبى ﷺ وأمرهم أن يحاربوه ، وقال لهم : إنا معكم سنقاتله فقالوا : إنكم أهل كتاب وهو صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ثم قالوا: نحن أهدى أم محمد ، قال : اعرضوا على دينكم ، فقال أبو سفيان: نحن قوم ننحر الكوماء ، ونسقى اللبن على الماء ، ونصل الرحم ، ونقرى الضيف ، ونطوف بهذا البيت ، ومحمد قطع رحمه، وخرج من بلده ، فقال : بل أنتم خير وأهدى ،فنزلت فيه : **﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ..﴾** الآية (٢) .

وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس ، قال : « كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان و بنى قريظة «حيى بن أبى الحقيق وأبو رافع» وكان سائرهم من بنى النضير فلما قدموا على قريش ، قالوا : هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتاب الأول ، فاسألوهم أدينكم خير ، أم دين محمد ؟ فسألوهم ، فقالوا دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه ، فأنزل الله فيهم : ألم تر إلى الذين . . ملكا عظيما »(٣) .

هذا وتحالفهم مع المشركين الذى سجلته الآيات الكريمة على اليهود قد شهد بقبحه : « الدكتور اسرائيل ولفنسون » اليهودى فى كتابه « تاريخ اليهود فى جزيرة

(١) سورة النساء ٥١ ، ٥٥

(٢) تفسير ابن جرير جـ ٥ ص ١٣٤

(٣) تفسير ابن جرير جـ ٥ ص ١٣٥

العرب » فقد قال معلقا على هذه القصة :« كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامى ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم، لأن بنى إسرائيل الذين كانوا لمدة قرون حاملى راية التوحيد فى العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين والذين نكبوا بنكبات لا تحصى من تقتيل واضطهاد بسبب إيمانهم بإله واحد فى عصور شتى من الأدوار التاريخية ، كان من واجبهم أن يضحوا بحياتهم وكل عزيز عليهم فى سبيل أن يخذلوا المشركين ، هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأوثان إنما كانوا يحاربون أنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التى توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام والوقوف منهم موقف الخصومة »[1] .

وفى سورة المائدة آيتان كريمتان - كذلك - تصرحان بوضوح أن كثيرا من اليهود يوالون المشركين بغضا منهم للإسلام ، وهاتان الآيتان هما قوله تعالى : ﴿ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾ [2] وإلى هنا تكون الآيات الكريمة قد كشفت عن تواطؤ اليهود مع المشركين لمحاربة المسلمين ، وفى هذا الكشف تحذير للمسلمين من شرورهم حتى لا ينخدعوا بهم ولا يأمنوا لهم [3].

ثامنا : إيذاؤهم لرسول الله ﷺ بالقول القبيح والخطاب السيىء :

جبل اليهود على المخادعة والمراوغة واتخذوا هذه المخادعة والمراوغة سلاحا لهم فى إيذائهم للنبى ﷺ فكانوا يخاطبونه بالكلام الذى فيه تورية ويلوون

---

(١) تاريخ اليهود فى جزيرة العرب ، لإسرائيل ولفنسون ص ١٧٣

(٢) سورة المائدة : ٨٠ ، ٨١

(٣) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٢٣٣

ألسنتهم بالكلمة لتؤدى الغرض السيىء الذى يقصدونه وهو إيذاء النبى ﷺ ،والتهكم به ، والتهوين من شأنه وإظهاره أمام أصحابه بمظهر الجاهل بأساليبهم .

كان الصحابة – رضى الله عنهم – ينطقون بالكلمة يقصدون بها معناها الصحيح الذى فيه تكريم وإجلال للنبى ﷺ ، ولكن اليهود كانوا يتلقفون هذه الكلمة فيلوون بها ألسنتهم لتؤدى معنى قبيحا عندهم وقت النطق بها . وقد حكي القرآن الكريم عنهم ذلك ، ونهى المؤمنين عن مخاطبة الرسول ﷺ بألفاظ معينة حتي لا يتخذها هؤلاء ذريعة للإساءة إلى النبى ﷺ [١] .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا ، وللكافرين عذاب أليم . مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ [٢] . فكلمة « راعنا » تعنى المبالغة فى الرعى بمعنى حفظ الغير وإمهاله وتدبير أموره ، وتدارك مصالحه ، وهذا الذى قصده أهل الإيمان أى راقبنا يارسول الله وانتظرنا حتى نفهم كلامك ونحفظه . ولكن اليهود تلقفوها على المعنى البعيد ، فهم يقولون : « راعنا ياأبا القاسم » وهم يريدون اسم الفاعل من الرعونة التى هى الحمق والخفة ، فنهى الله تعالى المسلمين عن استعمال هذه الكلمة حتى لا يتخذها اليهود وسيلة لإيذاء النبى ﷺ

كما قال تعالى – كذلك : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا ، واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴾ [٣] .

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٢٣٣
(٢) سورة البقرة ١٠٤ ، ١٠٥
(٣) سورة النساء ٤٦

وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلَّموا إنما يقولون السام عليكم ، والسام هو الموت ، ولهذا أمرنا أن نرد عليهم « وعليكم » وإنما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا ، والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولا وفعلا (١) .

وقال الإمام ابن تيميه : كان المسلمون يقولون راعنا يارسول الله وارعنا سمعك يعنون من المراعاة وكانت هذه اللفظة ، سبا قبيحا بلغة اليهود فلما سمعتها اليهود اغتنموها وقالوا فيما بينهم : كنا نسب محمدا سرا فأعلنوا له الآن بالشتم ،وكانوا يأتونه ويقولون : راعنا يامحمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها « سعد بن معاذ » ففطن لهم - وكان يعرف لغتهم -فقال لليهود : عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده يامعشر اليهود لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقة فقالوا أولستم تقولونها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا** ﴾ لكى لا يتخذ اليهود ذلك سبيلا إلى شتم الرسول ﷺ (٢) .

ومن الأحاديث ما أخرجه البخارى عن أنس بن مالك قال : « مر يهودى برسول الله ﷺ فقال : السام عليك فقال رسول الله ﷺ « وعليك » فقال رسول الله ﷺ لأصحابه - أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ،قال يقول : « السام عليك » قالوا يارسول الله : ألا نقتله قال : لا ،إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليك (٣) .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله ، قال : سلم ناس من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السام عليك : ياأبا القاسم فقال : وعليكم ، فقالت عائشة - وغضبت - عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ مهلاً يا عائشة! فإن الله يحب الرفق في الأمر كله ، فقلت : ألم تسمع ما قالوا ؟ قال : بلى قد سمعت

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤٨ بتصرف .

(٢) كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيميه ص ٢٠٨ ط دار الاعتصام بتصرف .

(٣) صحيح البخارى كتاب استتابة المرتدين باب إذا عرض الذمى وغيره بسبِّ النبى جـ٣ ص ١٩٦ ، ١٩٧

فرددت (وعليكم) وإنما نجاب ولا يجابون علينا[١] .

تاسعا : استهزاؤهم بالدين وشعائره :

من مسالك اليهود - أيضا - لكيد الدعوة الإسلامية ، اتباعهم طريق الاستهزاء بالإسلام والتهكم بشعائره وعباداته ، وقد فضح القرآن الكريم مسلكهم هذا ونهى المؤمنين عن موالاتهم ومصافاتهم ، فقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتو الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين . وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾[٢] والمعنى : يامن آمنتم بالله حق الإيمان وصدقتم بكتبه ورسله واليوم الآخر ، لا يجوز لكم - بحال من الأحوال - أن توادوا الذين اتخذوا دينكم - الذى هو مناط سعادتكم - هزوا ولعبا ، أى : جعلوه مادة للسخرية والعبث والاستخفاف ، ومن مظاهر ذلك اظهارهم للإسلام أمامكم فإذا ماخلوا إلى شياطينهم قالوا : إنما نحن مستهزئون ، ثم بين الله تعالى استهزاء اليهود ومن على شاكلتهم بشعيرة خاصة من شعائر الدين بعد أن صرح فى الآية الأولى باستهزائهم بالدين على الإطلاق .

فقال تعالى : ﴿ وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ أى : إذا دعا بعضكم بعضا إلى الصلاة وأذن المؤذن بحضور وقتها سخر من دعوتكم إليها وتضاحك من الإعلام بها من نهيتكم عن موالاتهم من اليهود وغيرهم ، لأنهم قوم يجهلون حقيقة الأديان ، وماقدروا الله حق قدره ، ولا عرفوه حق معرفته[٣] .

قال الإمام القرطبى : « كان إذا أذن المؤذن وقام المسلمون إلى الصلاة قال

(١) رواه مسلم كتاب السلام باب النهى عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم جـ ٢ ص ٢٦٨

(٢) سورة المائدة : ٥٧ ، ٥٨

(٣) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ بتصرف

اليهود: قاموا ،لا قاموا ، وكـانوا يضحكون إذا ركع المسلمون وسجدوا ، وقالوا فى حق الأذان : لقد ابتـدعت يامحمد شيـئا لم نـسمع به فيـما مضى من الأمم ، فمن أين لك صياح مثل صياح العير ؟ فما أقبحه من صوت وما أسمجه من أمر .

وقيل : إنهم كـانوا إذا أذن المؤذن للصلاة تضـاحكوا فيـما بينهم ، وتغـامزوا على طريق السخف والمجون ، وتجهيـلا لأهلها وتنفيرا للناس عنها ، وعن الداعى إليها[١] .

ونفى سبحـانه وتعالى العقل عنهم لأنهم لم ينتفـعوا به واتخذوا دين الله هزوا ولعبا وهذا فعل من لا عقل عنده .

عاشرا : محاولتهم قتل الرسول ﷺ :

لم يكتف اليهـود بحروب الجدل التى حاربوا بهـا النبى ﷺ ولا بحروب الدس والوقيـعة ومحاولة إثارة الفـتنة بين أصحابه ولا بإظهارهم الإسـلام فى أول النهار وكـفرهم فى آخـره ، ولا بتـحالفـهم مع كل مبـغض للإسـلام والمسلمين ، ولا باستهـزائهم بالدين وشعائره ، لم يكتفوا بكل ذلك من أجل القـضاء على الدعوة الإسلاميـة ، وإنما لجأوا إلى وسيلة أخرى سولتـها لهم أنفسهم الغـادرة وعقولهم الحاقـدة ، وهذه الوسـيلة هى محـاولة قتل النبى ﷺ ، وقـد ذكر القـرآن الكريم المؤمنين بنعم الله تعالى عليهم وكيف أنه سبحانه - نجى نبيهم محمداً ﷺ من مكر اليهود وأذاهم ، فقال تعالى : **﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قـوم أن يبسطوا إلـيكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقـوا الله وعلى اللـه فليتـوكل المؤمنون ﴾** [٢] .

أخـرج ابن جرير فـى سبب نزول هذه الآية - عن ابـن أبى زياد قال: « جـاء رسول الله ﷺ بنى النضير يستعينهم فى عقل - دية - أصابه - تحمله الرسول عن

(١) تفسير القرطبى جـ ٦ ص ٢٢٤ ط دار الكتب .
(٢) سورة المائدة : ١١

أصحابه - ومعه أبو بكر ، وعمر وعلى فقال : أعينونى فى عقل أصابنى ، فقالوا: نعم ياأبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة ، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذى تسألنا ، فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه ينتظرونه .

وجاء حيى بن أخطب - وهو رأس القوم - وهو الذى قال لرسول الله ﷺ ما قال فقال حيى لأصحابه: لا ترون أقرب منه الآن ، اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه، ولا ترون شرا أبدا ، فجاءوا إلى رحى لهم عظيمة ليطرحوها عليه فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاءه جبريل عليه السلام - فأقامه من ثم ، فأنزل الله تعالى - الآية - فأخبر الله عز وجل نبيه ﷺ ما أرادوا به [1] .

وبذلك تكون الآية الكريمة قد ذكرت المؤمنين بنعمة الله عليهم ، ليزدادوا له شكرا وحمدا ، وأشارت إلى ما أراده اليهود من أذى لرسول الله ﷺ فأحبط الله تعالى - كيدهم - وخيب مسعاهم ، هذا وليست هذه هى الحادثة الوحيدة التى حاول اليهود فيها قتل النبى ﷺ ، بل هناك غيرها .

فقد أخرج الإمام البخارى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: « لما فتحت خيبر واطمأن رسول الله ﷺ بعد فتحها - أهديت إليه شاة فيها سم ، فقال رسول الله ﷺ بعد أن لاك منها مضغة ثم لفظها - اجمعوا لى من كان هنا من اليهود ، فجمعوا له ، فقال لهم حين اجتمعوا عنده : إنى سائلكم عن شىء فهل أنتم صادقى فيه ؟ فقالوا :نعم ياأبا القاسم فقال لهم رسول الله ﷺ : من أبوكم؟ قالوا : أبونا فلان ، قال: كذبتم أبوكم فلان - قال الحافظ ابن حجر - أى إسرائيل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام - قالوا : صدقت وبررت قال : فهل أنتم صادقى عن شىء إن سألتكم عنه ؟ قالوا : نعم ياأبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا فقال لهم : من أهل النار ؟ قالوا: نكون فيها زمانا يسيرا ثم تخلفوننا فيها فقال: اخسئوا فيها - أى اسكنوا فيها سكون ذلة

(١) تفسير ابن جرير جـ ٦ ص ١٤٦ .

وهوان - والله لن نخلفكم فيها أبدا ، ثم قال لهم : هل أنتم صادقى عن شىء إن سألتكم عنه ؟ فقالوا : نعم ، قال : أجعلتم فى هذه الشاة سما ؟ - نسب إليهم الجعل لأنهم لما علموا به لم ينكروه - قالوا : نعم ، قال: فما حملكم على ذلك؟ قالوا : أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك[١] وغيرها مما يماثلها ، وبهذا نرى أن اليهود حاولوا قتل الرسول ﷺ أكثر من مرة ولكن الله تعالى عصمه من مكرهم ونجاه من شرهم ﴿ **ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ [٢].

***

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى جـ ٧ ص ٣٤٥ ط الكليات الأزهرية.
(٢) سورة التوبة : ٣٢ .

المبحث الثالث :

نقض المعاهدات وتدبير المؤامرات

لما حل باليهود عصر التشتت والتشرد ، وانساحوا فى الأرض حيارى لا يعرفون لهم دارا ، ولا قرارًا ، فنزل بعضهم مصر وارتحل بعضهم إلى أوروبا ، وانتقلت بعض قبائلهم إلى جزيرة العرب قبل بعثة النبى ﷺ ببضعة قرون ، فحطوا بها . وتكونت فيها مستعمرات يهودية أشهرها ما كان بفدك وخيبر وتيماء، ووادى القرى . وكانت هذه المستعمرات حول يثرب - المدينة المنورة - وكان من القبائل التى تقيم فى هذه المستعمرات بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، كما أقام بعض اليهود فى اليمن وفى تيماء وفى يثرب نفسها .

ولقد أحسن العرب جوار اليهود ، ولكن اليهود - لخبثهم - لم يحسنوا جوارهم للعرب بل عملوا على استنزاف أموالهم عن طريق المعاملات الربوية المحرمة ، كما مهر اليهود فى صناعة السلاح ليبيعوه للعرب ، فلما كان أهل المدينة زراعا مستقرين ، ولم تكن بهم حاجة إلى الحرب بل كانوا متحابين فيما بينهم ، فكر اليهود أنه لابد من تفريق كلمة العرب وتمزيق وحدتهم ، حتى يتسنى لهم السيطرة عليهم ، وإيجاد سوق لرواج أسلحتهم ، فعمل اليهود على إثارة الشحناء بينهم ، وما وهنوا فى العمل حتى أقاموا الحرب بينهم وأشعلوا نارها ، فقامت الحرب بين قبيلتين كبيرتين هما الأوس والخزرج - وهما ابنا عم فى أصل النسب ، ولكن بمكر اليهود وخداعهم وأحابيلهم الشيطانية فرقوا الكلمة وأشاعوا البغضاء ، وأقاموا الحرب وأشعلوا نار الفتنة ، فكسب اليهود ضعف العرب وفرقتهم ، بجانب قوة لهم ورواج لاقتصادهم عن طريق السلاح مرة ، وعن طريق الربا مرة أخرى .

وتوالت الحروب بين الأوس والخزرج حتى كادت أن تهلكهم وتفنيهم ، وكان آخر هذه الحروب الحرب المشهورة بموقعة « بعاث » والتى أعقبها سريان نور

الإسلام إليهم فشعت أضواؤه عليهم فاستنارت القلوب وهدأت الفتن واستراح الجميع ، وخرجوا من الظلمات إلى النور بإذن الله الهادى إلى صراط مستقيم»[١] .

فلما استضاءت قلوبهم بنور الإيمان وتوحدت كلمتهم على الحق اغتاظ اليهود وملأ الحقد قلوبهم ، فعملوا على إشعال نار الفتنة بين الأوس والخزرج مرة تلو الأخرى[٢] .

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة ، وبدأ يضع الدعائم التى لابد منها لقيام رسالته ، والأسس التى لا غنى عنها لإرساء قواعد دولة الإسلام ، ومن بين هذه الدعائم ، صلة الأمة بالأجانب عنها ممن لايدينون بدينها « فسن فى ذلك رسول الله ﷺ قوانين السماح والتجاوز التى لم تعهد فى عالم ملىء بالتعصب والتغالى » عندما جاء النبى ﷺ إلى المدينة وجد بها يهودا توطنوا ومشركين مستقرين فلم يتوجه فكره إلى رسم سياسة للإبقاء أو المصادرة والخصام ، بل قبل عن طيب خاطر وجود اليهود والوثنية وعرض على الفريقين أن يعاهدهم معاهدة الند للند على أن لهم دينهم وله دينه ..»[٣] وكتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار وادعهم فيه ، وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم ، « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ..» - وذكر فى الصحيفة طوائف الأنصار والمهاجرين - وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ من ٣٢٠ بتصرف ط دار التراث العربى ، اليهود فى القرآن ، للأستاذ عفيفى عبد الفتاح طبارة ص ١٣ ، ١٤ بتصرف ، ط دار العلم للملايين رقم ١١ ، جنايات بنى اسرائيل ص ٢٦٧ - ٢٦٩ بتصرف .

(٢) راجع فى بحثنا محاولتهم الدس والوقيعة بين المسلمين .

(٣) فقه السيرة للشيخ الغزالى ص ١٩٧ ، ١٩٨ بتصرف ط النور الإسلامية - الثانية .

متناصر عليهم . . وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، وإن ليهود بنى النجار مثل ماليهود بنى عوف وإن ليهود بنى الحارث وبنى ساعدة وبنى الأوس . . فى مثل ماليهود بنى عوف . . وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب - وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله » أ . هـ[١].

إنها وثيقة عادلة وكريمة تنطق برغبة صادقة من المسلمين فى التعاون الخالص مع اليهود لبث السكينة فى ربوع المدينة والضرب على أيدى العادين والعابثين ، مدبرى الفتن والمكائد من أى دين أو قبيل كانوا ، ولقد نصت - بلا خفاء - على كفالة الحريات الدينية للجميع والتعاون على نصرة المظلوم وحماية الجار ورعاية الحقوق العامة والخاصة ، واتفق اليهود والمسلمون على الدفاع عن الوطن إذا هاجمه العدو ، كما قررت حرية الخروج من المدينة لمن شاء والقعود فيها لمن شاء بشرط أن يحفظ الحرمة ، وفى النهاية استنزلت تأييد الله على من أبر بما فيها واتقاه واستنزلت غضبه على من يخون ويغش .

وبر المسلمون بالوعد ووفوا بالعهد ، استجابة لأمر الله تعالى : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾ [٢] لكن اليهود ما لبثوا أن أعلنوا العصيان والتمرد فماذا فعلوا؟[٣] لم يكن اليهود صادقين يوم وافقوا على تلك الوثيقة ، ولم يكونوا

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣١٨ - ٣٢٠ بتصرف

(٢) سورة الاسراء : ٣٤ .

(٣) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ بتصرف ، وفقه السيرة للغزالى ص ١٩٩ ، ٢بتصرف .

جادين حين ارتضوا ذلك العهد وقبلوا إنفاذه ، بل نقضوا العهد وأخلفوا الوعد ، وبدأوا بالعدوان ، بأساليب شتى وصور مختلفة حين ضاق بهم المسلمون ذرعًا من طول الصبر عليهم وفاءا بعهدهم معهم ، وظن اليهود أن عدم تعرض المسلمين لهم ما هو إلا دليل على ضعفهم أمام قوة اليهود فلجوا فى طغيانهم يعمهون ، وجاهر كثير منهم بالعداوة والطعن والنيل من الأعراض .

ولم يشأ الرسول ﷺ أن يقاتلهم جميعا ، بل رأى استئصال الشريرين منهم لعلهم يرتدعون ، فقام أفراد من المسلمين بقتل « أبى عفك » الذى كان يرسل الأشعار يطعن بها فى النبى محمد ﷺ ويحرض قومه على الخروج عليهم وظل كذلك بعد غزوة «بدر» يغرى بهم الناس ، ومثلة « عصماء بنت مروان » وكذلك قتل « كعب بن الأشرف » الذى استغل مواهبه الشعرية فى هجاء المسلمين والنيل من الإسلام ونبى الإسلام ﷺ وواسى أهل مكة فى قتلى « بدر » وطلب منهم الخروج لمهاجمة المدينة ومد يد المساعدة إليهم ، وحالفهم على قتال المسلمين (١) .

وعاد « كعب » إلى المدينة سافر العداوة ، بعيد الجراءة فتشبب بنساء المسلمين وصاغ قصائد الغزل فى بعض المسلمات ، الأمر الذى أطاح بصبر المسلمين ، وطير أحلامهم ، هذا فضلا عن تدبيره خطة لقتل النبى ﷺ غيلة ، إذ تواطأ مع جماعة من اليهود على دعوة النبى ﷺ وليمة ، فإذا حضر فتكوا به (٢) .

ولقد حاول الرسول ﷺ أن يكفه عن أذاه بالحسنى فلم يكف واستمر سادرا فى غيه وأذاه ، فأهدر المسلمون دمه ، وبعث إليه النبى ﷺ من استنزله من حصنه ليلقى جزاءه العادل الحق (٣) .

فلما طلع الصباح علمت اليهود بمصرع جبارها فدب الرعب فى القلوب العنيدة

---

(١) جنايات بنى إسرائيل ص ٢٨٨ بتصرف .

(٢) فقه السيرة للشيخ الغزالى ص ٢٦٣ بتصرف .

(٣) راجع سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٣٩ ، ٤١ بتصرف .

وأسرعت الأفاعى إلى جحورها تختبىء فيها ، لقد أجدت العصا حين أعيت النصيحة وبطل المقال ، ولزم اليهود حدودهم فلم يتجرأوا على المسلمين بسب ، وظهر أنهم لن يمالئوا على الله ورسوله مشركا بعد اليوم »[١] . غير أن الأحداث التى جرت بعد ذلك بينت أن دخيلتهم لن تصفو يوما للإسلام وأهله ولا يستحقون إلا التأديب الصارم بتسيير الجيوش إليهم وقعقعة السلاح فكانت الحرب بينهم وبين المسلمين ، بعد أن فشل اليهود فى محاولاتهم لتضليل المسلمين وإشاعة الانحراف بينهم ، وإثارة الفتنة والفرقة فيهم ، ومنع زيادتهم أو عرقلة المد الإسلامى الزاحف لجأو إلى القوة العسكرية ، وإن لم يكن فى بداية الأمر صراحة، بل خيانة وغدرا ، وكان « بنو قينقاع » أول جماعة يهودية هددت المسلمين بالحرب ونكث العهد ، وهم قبيلة من اليهود كانت تسكن المدينة فى حى واحد من الأحياء العربية وكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر ، فلما انتصر المسلمون فى « بدر » انتصارا حاسمًا على المشركين كان لذلك النصر وقع الصاعقة على قلوبهم فاستشاطوا غضبا وسخطا ، وأعلنوا استهانتهم بالنصر وقللوا من شأنه وقيمته ، وذلك أمر تجزع له النفوس الأبية[٢] فكظم المسلمون غيظهم وانتظروا ما تأتى به الأيام ، وما تتمخض عنه الليالى من مكر اليهود ولؤمهم ، وسعى هؤلاء إلى حتفهم بظلفهم إذ أشعلوا الشرارة الأولى التى أحرقت يابس العشب بينهم وبين المسلمين ، فقد حدث أن امرأة عربية قدمت بحليها فى سوق بنى قينقاع ، فجلست إلى صائغ هناك ، فاجتمع حولهم نفر من اليهود يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها وهى غافلة فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها ، وضحك اليهود منها ، وصاحت المرأة ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه وهكذا طارت الشرارة الأولى لتحرقهم[٣] ولما وقعت منهم تلك الخيانة ، ونقضوا العهد ،

(١) فقه السيرة للغزالى ص ٢٦٤ بتصرف .
(٢) جنايات بنى إسرائيل ص ٢٩٠ ، ٢٩١ بتصرف .
(٣) فقه السيرة للغزالى ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ بتصرف .

فأظهروا البغى والحسد وكشفوا عن غلهم الدفين ، وضغينتهم للمسلمين ، ما كان للمسلمين أن يقفوا مكتوفى الأيدى وإلا لهانت الأمة وذل المسلمون، وطمع فيهم أعداؤهم .

فسار النبى ﷺ إليهم وجمعهم فى سوقهم ثم قال لهم : « يامعشر يهود احذروا من الله ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم » - وهذا إنصاف بالغ من الرسول ﷺ وإنذار إليهم - فقالوا : مدلين بقوتهم - يامحمد إنك ترى أننا كقومك ، لا يغرنك أنك لقيت قوما لاعلم لهم بالحرب - يعنون أهل قريش فى بدر - فأصبت منهم فرصة ، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس »[١] .

وهكذا نرى أن بنى قينقاع قد أمعنوا فى بغيهم وعنادهم ،وقابلوا نصح الرسول ﷺ وتحذيره إياهم بالسخرية والتهكم[٢] وهذا الكلام منهم يحمل تهديدا سافرا وإحساسا بقوة تفوق قوة المسلمين ، غير أن هذه القوة انهارت أمام إصرار المسلمين وإيمانهم ، فقد توجه الرسول ﷺ بجيشه ، فلجأ هؤلاء إلى حصونهم يقاتلون فيها ، ففرض رسول الله ﷺ عليهم الحصار خمس عشرة ليلة حتى اضطروا للتسليم ورضوا بما يصنعه الرسول ﷺ فى رقابهم وذراريهم ، فعفا الرسول ﷺ بسماحتة عن قتلهم وسبى نسائهم وذريتهم على أن يخرجوا من المدينة بلا رجعة ، فرحلوا إلى أذرعات بالشام ولم يبقوا هناك طويلا حتى هلك أكثرهم»[٣]

« أما كان خيرا لهم أن يؤدوا حقوق الجوار ، ويعرفوا قيم العهود ويبقوا فى المدينة آمنين موفورين ؟ لقد تعجلوا الشر فباءوا به . .

وما معنى أن يغضب اليهود الموحدون - كما يزعمون - من انتصار الإسلام

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٣٣ ، ٣٤ بتصرف .
(٢) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .
(٣) تاريخ الطبرى جـ ٢ ص ٤٨ ط دار المعارف (بتصرف)، وسيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٣٣ ، ٣٤ بتصرف .

على الشرك ، وبم يفسر حنوهم على القتلى من عبـدة الأوثان ، وسعيهم الخبيث لتغلب كفة الوثنية العربية على هذا الدين الجديد .

إن التفسير الوحيـد لهذا الموقف أن اليهود انقطعت صلاتهم بمعنى الدين ، وأن سلوكهم العام لا يترتبط بمالديهم من تراث سماوى وأنهم لا يكترثون بما يقترب من عقيـدة التوحيد أو أحكام التوراة ، لأن هذه وتـلك مؤخرة أمام شهـواتهم الغالبة وأثرتهم اللازبة . .

والظاهر أن طوائف اليهـود التى عاشت بين العرب كانت عصـابات من المرتزقة اتخـذت الدين عونا لمطامع اقـتصـادية بعـيدة المدى ، فلمـا توهم أن هذه المطامع مهـددة بالزوال ظهر الكفر المخبـوء ،فإذا هى كفـر بالله وسائر المرسلين » [1] هذا فضلا عما أظهروه من تعصب وتطرف فى العـداء ، وانتهى المسلمون من أمر قبيلة من القبـائل اليهودية الكبرى وبدأت القـبيلتان الأخريان واحـدة تلو الأخرى تعلن عن مكنون نفسـها من الضـغن للإسلام والكيد للمـسلمين ، وكانت البـادئة بهذا الأمر قبيلة بنى النضير ، فما حديثها ؟

بنو النضير : [2] وكانت غزوة بنى النضير فى شهر ربيع الأول من السنة الرابعة بعد الهـجرة أى بعـد غزوة أحد بحـوالى خمسـة شهور ، ولقـد ترتب على هزيمة المسلمين فى غزوة أحـد أن تنكر لهم كثـيرون ممن كانوا يهـادنوهم أو يداهنونهم ، فأعراب البادية أعـدوا أنفسهم للإغارة على المدينة وانتهاب خـيرها ، والقضاء على مسلميها ، واليهود جاهروا بسخريتهم وأظهروا سرورهم لانتصار المشركين ، وشعر النبى ﷺ بدقـة المـوقف ، لأن الأمم أصـعب مـا تكون بعـد الهـزائم الكبـيـرة والانكسارات الخطيرة[3] .

---

(١) فقة السيرة للشيخ محمد الغزالى ص ٢٦٠ - ٢٦٢ بتصرف .

(٢) النضير : اسم قبيلة من اليهود الذين كـانوا يسكنون العالية بوادى بطحان على بعد ميلين أو ثلاثة من المدينة ، وكانوا يملكون نخيلا بجوارها .

(٣) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

ومـا حدث لبنى قـينقـاع قد أثار ثـائرة إخوانهم من اليـهـود ، ومن ثم نشطوا للإيقاع بالمسلمين هذا فـضلا عن نقضهم العهـد ، ومخالفة مـا جاء فى المعاهدة ، والتى من بين نصوصـها ، تحمل اليـهود عبئـا من نفقات الحرب إذا كـانت خارج المدينة ، ومشاركتهم الفعلية إذا كان الهـجوم على المدينة ، وصد كل مغير عليها ، فلما كانت غزوة « أحد » وطلب من اليهـود المشاركة فى الدفاع عن المدينة امتنعوا عن ذلك ، ورفضوا إعانة المسلمين بالسـلاح أو بالمال ، بل أخذوا يصرفون الناس عن الخروج إلى المعركة ، مما أدى إلى رجوع « عـبد الله بن أبى بن سلول » ومعه ثلاثمائة من أتباعه ، وهم ثلث الناس يومئذ [١] .

« هذا فضلا عن إيوائهم لأعداء المسلـمين ، وإرشادهم إلى مواطن الضعف فى المدينة وذلك لما قدم أبو سـفيان فى مائتى راكب من مكة إلى المدينة أعـقاب غزوة بدر ، نزل بنى النضير تحت جنح الظلام ، فطرق باب سـيدهم « سلام بن مشكم » فاستقـبلة استقبالا حسنا ، وسـقاه خمرا وعرفه أخبـار المسلمين ، وتدارس معه أصلح الطرق لإيذائهم ، والإفلات من عقوباتهم .

وهجم أبو سفيان ومن معـه على بيوت بعض المسلمين ولاذوا بالفرار ، وشعر النبى ﷺ أن بنى النضير يتربصون به الدوائر ، بعد نكبة الرجيع وبئر معونة [٢] ، وأن هذه النكبـة ذكرتهم بانتـصار قـريش فى أحد وأنسـتهم فـوز المسلمين فى بدر وغيرها ، فـأراد الرسول ﷺ أن يستدرجـهم لتتضح له نياتهم - فـذهب إليهم فى عدد من الصحابة لكى يطلب معاونتهم فى دية القـتيلين اللذين قتلهما « عمرو بن أمية » خطأ غداة مرجعه من بئر معونة ، لأن القتيلين من بنى عامر كانا حليفى بنى النضيـر ، وكان لهم مع النبى ﷺ عقد وجـوار لم يعلم به عمرو بن أميـة ، فلما

(١) السيرة النبوية لابن كثير جـ ٣ ص ٣٤٤ ط دار الفكر العربى (بتصرف) .
(٢) حادثة الرجـيع وبئر معونة حـصلت بعد غزوة أحـد وفيها قـتل أكثر من خـمسين صحابيـا غدرا وهم فى طريقهم لتعليم الغادرين فرائض الإسلام وشعائره .

حدثهم النبى ﷺ تظاهروا بتلبية الطلب ، وقالوا: « نعم ياأبا القاسم نعينك ما أحببت مما استعنت بنا عليه وجلس النبى ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا ، ولكن اليهود خلا بعضهم إلى بعض ، وبرزت فيهم روح الغدر والخيانة فقالوا : إنكم لن تجدوا محمدا ﷺ على مثل هذه الحال منفردا ليس معه من أصحابه إلا نحو عشرة فمن منكم يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه ؟ وتطوع « عمرو بن جحاش » اليهودى لذلك ، وحين أوشكوا على إنفاذ المكيدة الخبيثة ألهم الله عز وجل رسوله ﷺ مكر اليهودية ، فنهض من مكانه وخرج راجعا إلى المدينة ، فلما استلبث النبى ﷺ أصحابه قاموا فى طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة ، فسألوه عنه ، فقال رأيته داخلا المدينة فأقبل أصحاب النبى ﷺ حتى انتهوا إليه -وقد قصد المسجد- فقالوا يارسول الله، قمت ولم نشعر، فأخبرهم بما اعتزمه اليهود من الغدر به ومحاولة قتله ، وهكذا تعدد أذى بنى النضير وظهر غدرهم ، ونكثوا عهدهم ، فكان لابد من تأديبهم تأمينا للمدينة ، فبعث رسول الله ﷺ «محمد بن مسلمة» إليهم وقال له : اذهب إلى بنى النضير ، فقل لهم : إن رسول الله ﷺ أرسلنى إليكم أن اخرجوا من بلادى فلا تساكنوننى بها ، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر ، وقد أجلتكم عشرا ، فمن رئى بعد ذلك منكم ضربت عنقة ، وأسقط فى أيدى بنى النضير ، ولم يجدوا جوابا يردون به وبدأوا يعدون العدة للرحيل، فبعث إليهم أهل النفاق وعلى رأسهم « عبد الله بن سلول » من يقول لهم : اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وأن أخرجتم خرجنا معكم ، ولا تخرجوا من دياركم وأموالكم وأقيموا فى حصونكم فإن معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصونكم ، ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم ، فعادت لليهود بعض ثقتهم ، وتشجع كبيرهم « حيى بن أخطب » وأرسل إلى النبى ﷺ من يقول له : « إنا لن نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك ، فكبر الرسول ﷺ وكبر معه المسلمون ، وقال : « حاربت يهود » وانقضت الأيام

العشرة ولم يخرجوا من ديارهم .

ونهض النبى ﷺ والمسلمون لمناجزتهم وتحدى من ينضم إليهم من قبائل اليهود الأخرى أو من غيرهم ، فحاصروهم خمس عشرة ليلة - أو عشرين ليلة - وعمد النبى ﷺ إلى قطع نخيلهم وتحريقها ، ليقضى على أسباب تعلقهم بأموالهم وزروعهم ولتزول حماستهم للقتال ، وجزع اليهود ، وتصايحوا : يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من يفعله ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ، وأدرك بنو النضير أنه لا مفر من جلائهم ، ودب اليأس فى قلوبهم ، وخاصة بعد أن أخلف ابن أبى وعده بنصرهم وعجز إخوانهم عن أن يسوقوا لهم خيرا ، أو يدفعوا عنهم شرا ، فأرسلوا إلى النبى ﷺ يلتمسون منه أن يؤمنهم حتى يخرجوا من ديارهم ، فقال لهم : « اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة » وهى الدروع والسلاح » فرضوا بذلك وطفقوا يجمعون ما يشاءون من مال أو طعام ويخربون بيوتهم لكى لا ينتفع بها المسلمون من بعدهم ، وحملوا أمتعتهم على ستمائة بعير ، وخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم حتى لا يشمت بهم المسلمون ، فقصد بعضهم خيبر ، وسار آخرون إلى أذرعات بالشام، وحزن المنافقون لإجلائهم حزنا شديدا وأنشدوا الأشعار فى مدحهم .

وقد قسم ﷺ أموال بنى النضير التى تركوها بين المهاجرين دون الأنصار بعد أن استبقى قسما للكراع والسلاح ، هذا وفى شأن بنى النضير ، نزلت معظم آيات سورة الحشر ، وقد سماها ابن عباس « رضى الله عنهما » بسورة بنى النضير [1].

بنو قريظة :[2] وقد كان لإجلاء بنى النضير وبنى قينقاع عن المدينة أسوأ الأثر

---

(١) راجع / البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ٧٤ - ٧٧ ، سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ١٣٨ ، ١٤٠ ط دار التراث العربى وفقه السيرة للغزالى ص ٢٩٩- ٣٠١ ط النور الإسلامية (الثامنة) . ، وبنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٢٧٠ - ٢٨٦ الزهراء للاعلام العربى .

(٢) قبيلة من اليهود ، كانت تسكن المدينة .

فى نفوسهم فأخذوا يفكرون فى الأمر ويلتمسون الطرق للثأر من محمد ﷺ وأصحابه الذين أجلوهم عن ديارهم فى يثرب ، وكان لهم بها سلطان من قرون مضت ثم أصبحوا فى حال يرثى لها فى بلاد الشام أو خيبر ، وقد أدرك زعماء اليهود أن أى طائفة منهم أو من مشركى قريش لن تستطيع مغالبة الإسلام أو إيقاف مده الزاحف إذا حاربته منفردة ، وإنهم ربما بلغوا مآربهم إذا رموا الإسلام بطوائف الكفر مجتمعة عن قوس واحدة ، فلجأوا إلى تأليب العرب ليكونوا لهم عونا فى القضاء على محمد وصحبه وتنفيذا لهذا خرج نفر من زعماء اليهود ، فيهم «حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع» ، من بنى النضير، ومعهم من بنى وائل «هوذة بن قيس وأبو عمار الوائلى» ، حتى قدموا مكة على قريش يستنفرونهم على حرب رسول الله فسأل أهل مكة « حييا » عن قومه ، فقال : تركتهم بين خيبر والمدينة يترددون حتى تأتوهم فتسيروا معهم إلى محمد وأصحابه ، وقال لهم اليهود : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله وسألوه عن قريظة فقال : أقاموا بالمدينة مكرا حتى تأتوهم فيميلوا معكم.!!

« والغريب أن أحبار التوراة أكدوا لعبدة الأوثان فى مكة أن قتل محمد ﷺ حق واستئصاله أرضى لله ، لأن دين قريش أفضل من دينه ! فقد قالت قريش لليهود يامعشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول وأصحاب العلم بما نختلف فيه ومحمد ، أفديننا خير أم دينه وأنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين نزل فيهم قول الله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾ [(١)] ، [(٢)].

هذا وقد عقد اليهود مع قريش حلفا على حرب محمد ، ثم ذهبوا إلى أعراب غطفان فعقدوا معهم حلفا مماثلا لما تم مع أهل مكة ، ودخل فى هذا الحلف عدد من القبائل الناقمة على الدين الجديد ، وأسفر هذا العمل اليهودى عن خروج

---

(١) سورة النساء : ٥١ .

(٢) فقة السيرة للغزالى ص ٣١٤ بتصرف .

عشرة آلاف مقاتل بقيادة أبى سفيان بن حرب مصممى العزم على إبادة الإسلام وأهله ، وكان ذلك فى الغزوة المعروفة باسم «غزوة الأحزاب» وفى لحظات العسر والكرب على المسلمين يأتى بنو قريظة أمرا إدا ، تكاد تنفطر له السموات وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدا ويشيب الطفل قبل المشيب [١] .

قريظة تنقض العهد : « أقبلت الأحزاب من قريش وغطفان ومن تبعهم من اليهود وغيرهم لاستئصال شأفة الإسلام والمسلمين ، وعلم رسول الله ﷺ أن الالتحام مع هذه الجيوش الضخمة فى ساحة ممهدة محفوف بالمخاطر ، فلجأ ومن معه إلى حفر خندق يكون بينهم وبين الأعداء ، وحفر الخندق فى نواحى المدينة عدا الجهة التى يقيم فيها يهود قريظة ، فقد اعتمد المسلمون على العهد الذى بين الطرفين ولدى اليهود حصون متينة تمنع الأعداء من دخول المدينة من جانبهم ، إذ كانت آطامهم بين جيوش المسلمين والأحزاب بمثابة السور الذى لا يخترق ، وجاء العدو بخيله ورجله ، فضرب حصارا على المسلمين داخل الخندق وكانت أياما عصيبة صابرها المؤمنون جاهدين ، وليس أدق فى تصوير هذه الشدة من قوله الله تعالى : ﴿ إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هناك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ [٢] .

« وفى ذلك الوقت العصيب تنقض بنو قريظة العهد وتنضم إلى صفوف الكافرين ، بعد أن أخذ « حيى بن أخطب » على عاتقه إقناع بنى قريظة بذلك ، وبعد محاولة منه وتردد من « كعب بن أسد » - سيد بنى قريظة الذى ذكر وفاء محمد ﷺ وصدقه لعهده وخشى مغبة ما يدعو إليه « حيى » لكن حييا مازال بكعب حتى لان له ، وتحركت فى نفس كعب يهوديته فقبل ما طلب منه حيى ونقض عهده مع المسلمين .

---

(١) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ص ٣٠٠ - ٣٠٢ بتصرف .

(٢) سورة الأحزاب : ١٠ ، ١١ .

وخرج عن حياده، بعد أن اطمأن إلى أن المسلمين قد أحيط بهم وأنه لن يؤاخذ على خيانته » [١] .

ومن هذا يتبين أن حرص « قريظة » الأول على التزام العهد كان خوفا من عواقب الغدر فحسب ، وليس نابعا من طبيعة تحب الوفاء وتحرص عليه ، فى الوفاء منهم إلا لمصلحة ، فإذا انتهت عادوا للغدر والخيانة . وهذا دأبهم دائما - ورب الكعبة - فلا نغتر بصلح أو بسلام معهم . !!

هذا - ولما علم النبى ﷺ بالخبر أرسل رجالا من قبله ليستجلوا له الموقف على حقيقته ، فقالوا لرجاله : من رسول الله ، لا عهد بيننا وبين محمد ، وهذا منهم منتهى الغدر والخيانة ، والتعصب ، فتأمل !

وكانت ساعات رهيبة تلك التى انقضت فيها الأحزاب على المدينة ، وزادها حرجا انضمام بنى قريظة إليهم ولكنه على الرغم من مناظر الهلع والفزع التى بدت على المسلمين فإنهم كانوا مطمئنين إلى تحقيق ما وعدهم الله ورسوله ﴿ **ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم إلا إيمانا وتسليما** ﴾ [٢] .

وفيما هم على صبرهم هذا وإيمانهم بنصر الله إياهم جاءهم الفرج من السماء ، ونزل العذاب فرجا للمؤمنين ونقمة على الكافرين ، إذ أرسل الله ريحا صرصرا عاتية على الكفار قلبت قدورهم واقتلعت خيامهم ثم أرعدت السماء وأبرقت وأمطرت مطرا شديدا فأطفأت نيرانهم وأفسدت طعامهم وراحوا يرتجفون من الزمهرير المرير ، فوقع الاضطراب بينهم ، وولوا مدبرين [٣] .

قال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود**

---

(١) فقه السيرة للغزالى ص ٣٢٠ ، ٣٢١ بتصرف

(٢) سورة الأحزاب ٢٢ .

(٣) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ص ٣٠٣ ، ٤ ٣ بتصرف

فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾[١] وهزم الله الأحزاب فانكفأوا إلى ديارهم خاسئين وبقى بنو قريظة وحدهم يواجهون مصيرهم على نقض عهدهم ، ومعاونتهم لأهل الكفر على استئصال المسلمين ، لقد فضحت نواياهم وظهرت طواياهم ، فأصبحوا وأمسوا أشبه بالمجرم الذى ثبتت إدانته فهو يرقب بوجه كالح قصاص العدالة منه ، وكانت مشاعر التغيظ فى أفئدة المسلمين نحو أولئك اليهود قد بلغت ذروتها ، إنهم هم الذين استخرجوا العرب استخراجا واستقدموهم إلى دار الهجرة ليجتاحوها من أقطارهم ويستأصلوا المسلمين فيها ، فكيف ساغ لأولئك الخونة من بنى إسرائيل أن يرسموا بأنفسهم الخطة لإهلاك الإسلام وأبنائه على هذا النحو الذليل ؟ ثم ما الذى يجعل بنى قريظة خاصة ، وهم لم يروا فى جوار محمد ﷺ إلا البر والوفاء ، يستديرون بأسلحتهم ، منضمين إلى أعداء الإسلام كى يشركوهم فى قتل المسلمين وسلبهم، وها قد دخل فى حصونهم «حيى بن أخطب» رأس العصابة التى طافت بمكة ونجد، تحرض الأحزاب على الله ورسوله ، وتزعم أن « الوثنية أفضل من التوحيد»[٢] .

لذلك ما إن وثق المسلمون من انصراف الأحزاب وجموع المشركين حتى توجهوا بأمر الرسول ﷺ إلى بنى قريظة وحاصروهم داخل حصونهم ، وقبيل وصول الرسول ﷺ إليهم كانوا يسبون نساءه بقبيح السباب ، فلما دنا من حصونهم ، قال لهم : « يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ، قالوا : ياأبا القاسم ما كنت جهولا » .

هذه خلال اليهود يسفهون إذا أمنوا ويقتلون إذا قدروا ، ويذكرون الناس بالمثل العليا إذا وجلوا ليستفيدوا منها وحدهم لا لشىء آخر ، أما العهود فهى آخر شىء

---

(١) سورة الأحزاب : ٩ .

(٢) فقه السيرة للغزالى ص ٣٣٠ ، ٣٣١ بتصرف .

فى الحياة يقفون عنده »[1] فتأمل !

« وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب فاستيقنوا أن الاستسلام لابد منه ، وامتلأت قلوبهم باليأس والفزع ، وهنا عرض عليهم سيدهم كعب بعض أمور يتخيرون منها ما يحلوا فى نظرهم فرفضوها جملة وتفصيلا ، قال لهم « كعب » يامعشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون ،وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخذوا أيها شئتم قالوا : ما هى؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل وأنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره ، قال : فإذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبنائنا ونسائنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ثقلا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء ، قالوا : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال: فإذا أبيتم على هذه ، فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة ،قالوا : نفسد سبتنا علينا ونحدث فيه مالم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه مالم يخف عليك من المسخ ، قال : مابات رجل منكم منذ ولدته أمة ليلة واحدة من الدهر حازما »[2] .

رفضوا كل ما عرضه عليهم سيدهم ، وحاولوا الظفر بصلح كإخوانهم السابقين من بنى النضير وبنى قينقاع وأبى المسلمون إلا أن يسلموا دون قيد أو شرط ، لأن ما فعلوه يفوق كل وصف وتقييم .

«فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس ، فقالوا :

---

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ بتصرف .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ١٢٠ بتصرف .

يارسول الله إنهم كانوا موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت ، يعنون عفوه عن بنى قينقاع حين سأله فيهم عبد الله بن أبى ، فقال رسول الله ﷺ : يامعشر الأوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فذلك إلى سعد بن معاذ .

واستقدم رسول الله ﷺ سعد ليصدر حكمه فجاء من الخيمة التى كان فيها يُمَرَّض إثر اصابته بسهام الأحزاب واكتنفه قومه يقولون : يا أباعمرو أحسن إلى مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم [1] .

« لكن سعدا لم ينس فى ضجيج الرجاء الموجه إليه أن الإسلام وأبناءه والمدينة وثمارها وحرثها ونسلها وحرمتها لم تنج من وطأة الأحزاب المهاجمين إلا بأعجوبة خارقة ، وأن بنى قريظة هؤلاء ومن آووهم كانوا المحرضين والشركاء المقبوحين فى هذه الحرب التى أعلنت لاستئصال التوحيد الحق واجتياح أهله ، ولم ينس كيف نقضت بنو قريظة عهدها ، واستقبلته بالألفاظ البذيئة عندما ذهب يناشدها الوفاء، ألم يقل لهم يومئذ : أخشى عليكم مثل يوم بنى النضير أو أمر منه ، فكان ردهم عليه « أكلت أير أبيك »[2] لذلك مالبث « سعد » - لما أكثروا عليه الرجاء - أن صاح بقومه قائلا : قد آن لسعد ألا تأخذه فى الله لومة لائم ،وحكم فيهم «سعد» فقال : فإنى أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء ، فأقره النبى ﷺ وقال لسعد : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات[3] وحفرت الخنادق بسوق المدينة وسيق إليها اليهود أرسالا - طائفة بعد أخرى - ليدفعوا ثمن خيانتهم وغدرهم ، فضربت أعناقهم ودفنوا حيث قتلوا ولم يقتل من نسائهم سوى امرأة واحدة قصاصا «الخلاد بن سويد » فقد ألقت

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ١٢١ بتصرف .
(٢) فقه السيرة للغزالى ص ٣٣٦ .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ١٢١ ، ١٢٢ بتصرف ، سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ١٧١ - ١٧٨ وفقه السيرة للغزالى ص ٢٢٦ بتصرف .

عليه رحا فقتلته أثناء الحصـار ، ولم ينج من رجالهم سوى أربعة أعلنوا إسلامهم لله رب العـالمين ، وأنزل اللـه تعـالى فى بنى قـريظة ﴿ **ورد الله الذين كـفـروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتـاب من صيـاصيـهم[1] وقـذف فى قلوبهم الرعب فـريقـا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضًا لم تطؤها وكان الله على كل شىء قديرا** ﴾ [2] .

وكان من بين من قتل من بنى قريظة « حـيى بن أخطب » من بنى النضير الذى كان رأس الفتنة وسببا فى نقض عـهد بنى قريظة ، جاء إلى « كعب بن أسد » رأس القوم ودخل معهم حصنهم وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه .

ثم إن رسول الله ﷺ قـسم أموال بنى قريظة ونسـاءهم وأبناءهم على المسلمين بعدمـا أخرج الخمس ، وقـسم للفارس ثلاثة أسـهم ، وسهمـا للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستا وثلاثين [3] .

* هل فى حكم سعد قسوة أو تعصب ؟ لعل سائلا فيقول : ما سر هذا العنف الذى عومل به بنو قريظة دون غيرهم من اليهود ؟

ويجاب على هذا بأن هذا يتفق مع فظاعة الجرم الذى ارتكبوه ضد المسلمين فى وقت كانت فيه الجمـاعة المسلمة أشد ما تكون حاجة لتأمين جبهـتها الداخلية حتى تكرس كل إمكانياتها لمواجهة الخطر الخارجى الماثل أمـامها ، فكان هذا جزاءًا وفاقا على ما اقترفوه،وكان من العبث بقـاؤهم بالمدينة أو إجلاؤهم عنها كغيرهم ، فهم لم يكتفـوا بحيـادهم بين الرسول ﷺ والمشركين ، ناقـضين بذلك معـاهدة الدفاع المشترك - بل انضموا إلى الأعداء محاولين طعن المسلمين من الخلف طعنة دنيئة .

(١) حصونهم .

(٢) سورة الأحزاب : ٢٥ - ٢٧ .

(٣) البداية والنهاية جـ ٤ ص ١٢٤ ، ١٢٦ بتصرف .

إنهم وقعوا فى جريمة الخيانة العظمى - بتعبير العصر - وهى لا تقل عن حكم الإعدام فى سائر المذاهب والبلدان ، فحكم سعد مبنى على النتيجة التى كانت تترتب على فعلتهم لو نجحت المؤامرة ، فحكم عليهم بما عرضوا المسلمين له وتمنوه لهم وخططوا له لإبادتهم .

وإن كائنا من كان فى موقف النبى ﷺ وسعد بنى معاذ لو حاول أن يحكم على بنى قريظة بغير ما حكم لما أمكنه ذلك ، وما وسعه إلا أن ينحنى إجلالا وإكبارا لقضاء محمد ﷺ [1] وذلك بالقتل وإنما تقع تبعات الحكم به على من تعرض له بسوء صنيعه وبما أسلف من نيات خبيثة لم يسعفها الحظ فتتحقق ، ولو تحققت لكان ألوف المسلمين هلكى تحت أقدام الأحزاب المنسابة من كل ناحية يحصونهم ويؤازرهم أولئك اليهود ، وربما كانت مغامرات نفر من طلاب الزعامة سببا فى هذه الكارثة التى حلت ببنى قريظة ولو أن حيى بن أخطب وأحزابه سكنوا فى جوار الإسلام وعاشوا على ما أتوا من مغانم ما تعرضوا ولا تعرض قومهم لهذا القصاص الخطير ، لكن الشعوب تدفع من دمها ثمنا فادحا لأخطاء قادتها .

وفى عصرنا هذا دفع الروس والألمان وغيرهم من الشعوب أثمانا باهظة لأثرة الساسة المخدوعين . .

ولذلك ينعى القرآن على أولئك الرؤساء مطامعهم ومظالمهم التى يحملها غيرهم قبلهم ﴿ **ألم تر الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار . جهنم يصلونها وبئس القرار** ﴾ [2] أ . هـ [3] .

---

(١) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ص ٣٠٩ ، ٣١٠ بتصرف .
(٢) سورة إبراهيم :٢٨ ، ٢٩ .
(٣) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى ص ٣٣٧ بتصرف .

يهود خيبر :[١] « إن الخصومة بين اليهود والمسلمين لم تنته بانهزام قريظة وانكسار شوكتها وإجلاء غيرها من المدينة فهناك فى خيبر جماعة أخرى كان بعضها مقيما فيها من زمن والبعض الآخر أتى إليها من القبائل التى كانت تعيش فى المدينة من يهود بنى قينقاع وبنى النضير وبعض الفارين من بنى قريظة ، وهؤلاء وأولئك يحلمون نفس الصفات ويتجملون بالخيانة والدنس ﴿ سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون﴾[٢] .

وليس يؤمن لليهود شر ما بقيت لهم قدرة على فعله ، وقد صور حديث الرسول ﷺ نقمة اليهود على الإسلام بقوله : « ماخلا يهودى بمسلم إلا هم بقتله»[٣] ولا نعرف لهذه النقمة الدفينة علة ، إلا انحراف أصحابها عن الجادة ومن حق المسلمين أن يحذروها وأن لا يدعوا لها بقية تنمو مع الزمن » [٤] .

« السبب فى فتح خيبر : وكان السبب الحامل على اتجاه المسلمين إلى خيبر أن اليهود لم يتركوا طبيعتهم الدنسة ولم يكتفوا بما حدث لهم فى السنين الماضية ، فعقدوا حلفا مع المشركين من غطفان لهذا الغرض ، وعلم الرسول ﷺ بالأمر فعزم على استئصال البقية الباقية من اليهود حتى يستريح الناس من شرهم ، وتطهر الأرض من خبثهم [٥] ، ولكن ذلك بعد دعوتهم ، وقطع حجتهم وأرسل إليهم « عليا بن أبى طالب » يقول له ﷺ : « أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى ،

---

(١) خيبر : قرية واقعة فى طرف المدينة الشرقى ، وتبعد عنها بحوالى ١٥٠ ك . م تقريبا ، وكان يقيم بها بعض طوائف اليهود ثم زاد عددهم وكان فيها غزوة خيبر (المعروفة) عام سبعة من الهجرة فى أوله .

(٢) سورة المائدة : ٨٠

(٣) أخرجه الخطيب فى « تاريخ بغداد » جـ ٨ ص ٣١٦ وقال حديث غريب جدا ، وقال الألبانى حديث ضعيف ، انظر : هامش / فقه السيرة ص ٣٣٩ بتحقيق الألبانى .

(٤) فقه السيرة ص ٣٣٩ بتصرف .

(٥) جنايات بنى إسرائيل ص ٣١٢ .

فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم» [١].

وفى صحيح مسلم والبيهقى من حديث سهيل بن أبى صالح عن أمية عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه ، قال عمر: فما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، فدعا عليا فبعثه ثم قال : اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت ، قال على: على ما أقاتل الناس؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله،[٢] لفظ البخارى [٣].

هذا ومن الأسباب التى حملت النبى ﷺ على حربهم كذلك أنهم - بعد القضاء على بنى قريظة لذلك - أخذوا يرسلون الوفود بالأموال إلى المدينة لفداء نساء وذرارى بنى قريظة ، ثم اجتمعوا فيما بينهم ، وقرروا تأليف جيش منهم ومن يهود وادى القرى وتيماء للزحف على المدينة وهى خالية من أهلها حين كانوا فى صلح الحديبية للأخذ بثأر قريظة ، وقد تطوع لقيادة هذا الجيش « أسير بن رزام» .

ولقد أصبح المسلمون بعد صلح الحديبية آمنين أهل مكة والنواحى الجنوبية من الجزيرة العربية ، أما ناحية الشمال من المدينة فوجود يهود خيبر فيها من شأنه أن يجعل أمن المدينة فى خطر ، فقد يستعين بهم « هرقل » فى حرب المسلمين ، ولا شك أنهم سيلبون طلبه لكى يثأروا لأنفسهم من المسلمين متى لاحت لهم أى فرصة[٤] .

---

(١) رواه مسلم والنسائى عن قتيبه .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ص ١٨٣ ، ١٨٤ بتصرف .

(٣) أخرجه البخارى ، وأخرجه مسلم .

(٤) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ بتصرف .

وعندما توجه النبى ﷺ إلى خيبر رأى - بحنكته الحربية - وحكمته السياسية - أن يفصم الجبهة المؤلفة ضده من يهود وغطفان ، فأوهم غطفان أن الهجوم متجه إليها ، وأن قوة المسلمين توشك أن تلتف بأرضها ، فقبعوا فى دورهم ، ولم يجرؤا على مناصرة خيبر ، ونجحت خطة النبى ﷺ فى عزل يهود خيبر عن حلفائهم [(١)] .

كما ظن يهود خيبر أن رسول الله ﷺ متجه إلى غطفان فأمنوا على أنفسهم واتجهوا إلى أعمالهم يديرون مصالحها ، فلم يأخذوا أهبتهم للقتال ، « وخرج رسول الله ﷺ بجيشه متجها نحو خيبر ، فوصلها بعد ثلاث ، وما تنفس صبح اليوم الرابع حتى كان المسلمون أمام حصونها المشيدة ، وقد أصبح اليهود غادين إلى حقولهم بمساحيهم ومكاتلهم ، وعلى حين غفلة من أمرهم فوجئوا بالجيش الإسلامى قاب قوسين أو أدنى منهم ، فدب الرعب فى القلوب فارتدوا إلى حصونهم فزعين ، وهم يقولون »محمد والخميس (الجيش) معه ، فلما رآهم رسول الله ﷺ على هذه الصورة من الفزع أحب أن يفت فى عضدهم أكثر ، فقال : « الله أكبر ، هلكت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»[(٢)] .

وشن المسلمون هجومهم على الحصون المنيعة ، فتداعت تحت وطأتهم حصنا بعد حصن وكان اليهود يدافعون عنها دفاع المستميت ، لأن « خيبر » أخصب أرضهم وأمتع بقاعهم فكلما سقط حصن فر من فيه إلى حصن آخر ، وهكذا ، حتى إذا لم يبق إلا حصون قليلة استمسك بها اليهود وبدا أن الاستيلاء عليها صعب المنال ، وهَمَّ المسلمون بنصب المنجنيقات ليهدموها على من فيها ، فأيقن اليهود بالهلكة ، ولم يروا محيصا من الاستسلام فعرضوا على رسول الله ﷺ الصلح على أن يجلوا من خيبر ولهم ما حملت ركابهم وللمسلمين سائر ما بقى .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٢٤٥ ، ٢٤٧ بتصرف .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ١٨٣ ، ١٩٤ بتصرف والحديث فى صحيح البخارى عن أنس (٧/ ٣٧٦)

فقبل رسول الله ﷺ الصلح مشترطا عليهم ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئا ، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد ، وبذلك سقطت حصون خيبر فى أيدى المسلمين ، وخضع أهلها لحكم النبى ﷺ .

وأراد الرسول ﷺ أن يجلـهم عنها ، فقالوا يامحمد : دعنا فى هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلال يقومون عليها وكانوا لا يستطيعون أن يقوموا عليها ، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع وثمر وقال لهم :« نقركم فيها على ذلك ما شئنا » .

وكان عبد الله بن رواحة - رضى الله عنه - يأتيهم كل عام فيخرصها [1] عليهمَ ، ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه ، وأرادوا أن يرشوه فقال لهم : يا أعداء الله ، تطعمونى السحت ، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلى ، ولأنتم أبغض الناس إلى «من عدتكم من القردة والخنازير» (فى رواية أخرى) ، ولا يحملنى بغضى إياكم وحبى إياه على ألا أعدل عليكم ، فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض .

ولما سمع بذلك يهود وادى القرى ، وفدك وتيماء عقدوا صلحا مع الرسول ﷺ مستسلمين بعدما رأوا ما حدث بخيبر على أن يحقن النبى ﷺ دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل »[2] .

خيانة اليهود وسماحة الرسول ﷺ الكريم : ومع كل هذا التسامح الكريم الذى بدا من النبى ﷺ ومن المسلمين ، تجاه اليهود فى الوقت ذاته بدت نذالة اليهود وتعصبهم وخيانتهم للرسول ﷺ وقد بلغ الحقد منتهاه فى نفوس يهود خيبر وذلك فى فعل امرأة يهودية خبيثة هى امرأة « سلام بن مشكم » إذ أقدمت على عمل بلغ غاية القبح والدناءة أرادت أن تنتقم لقومها ، فأهدت إلى رسول

(١) الخارص هو الذى يقدر الثمر على أصوله .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ١٩٨ - ٢٠٠ بتصرف .

الله ﷺ شاة مسمومة وأكثرت من السم فى ذراع الشاة ، لما عرفته من أن الرسول يؤثرها على بقية اللحم ، وجلس الرسول ﷺ وأصحابه حولها ليأكلوها ، فتناول النبى مضغة منها فلاكها ثم لفظها ، وهو يقول : «إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم » وكان مع الرسول ﷺ « بشر بن البراء بن معرور » استساغ اللحم فأكل فمات ، وجيء بالمرأة الجانية فاعترفت بما صنعت ، وقالت للنبى : بلغت من قومى مالم يخف عليك ، فقلت إن كان ملكا استرحت منه ، وإن كان نبيا فسيخبر . فقال عليه الصلاة والسلام : « ما كان الله ليسلطك على » .

وقد وردت روايات فى أن النبى ﷺ أمر بقتلها ، وأخرى فى أنه عفا عنها وقد وفق العلماء بينهما بأنه لم يقتلها أولا ، فلما مات « بشر بن البراء » قتلها قصاصا منها وقد احتجم النبى ﷺ ليخزون أثر المرض ، وعندما دخلت عليه « أم بشر » لتعوده فى مرض موته قال لها : « يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلتها مع بشر بخيبر » (١)

* لقد قضت غزوة خيبر على قوة اليهود فى البلاد الحجازية قضاءًا نهائيًا ودانوا جميعا لسلطان المسلمين وزال كل مالهم من نفوذ ومكانة فى شبة الجزيرة العربية وأصبح المسلمون مطمئنين على مدينتهم من الجهة الشمالية بعد فتح خيبر كما اطمانوا عليها من الجهةالجنوبية بعد صلح الحديبية وماتت الفتن التى كان اليهود يبثونها فى أنحاء الجزيرة العربية لكيد الإسلام والمسلمين ، ومد الإسلام رواقه على هذه الأرض ، التى عاش اليهود عليها حينا من الدهر يتمتعون بخيراتها دون أن يشكروا نعم الله عليهم ، وأيقن أعداء الدعوة الإسلامية بأنها قد أخذت مكانها تحت الشمس وأن نورها فى طريقه ليعم الآفاق . وعامل الرسول ﷺ بقية اليهود الذين لم يجاهروا بعدائهم بالتسامح ، فلم يكلف يهود البحرين إلا أن يدفعوا الجزية ، ورضى من يهود بني غاوية وبنى عريض أن يدفعوا الجزية ولهم الذمة .

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ٢٠٨ - ٢١١ بروايات مختلفة ، وقد سبق حديث الشاة برواية البخارى مع تخريجة .

وأوصى معاذ بن جبل - رضى الله عنه - بألا يفتن يهود اليمن عن يهوديتهم ، وصالح ﷺ يهود « مقنى وبنى حنينة » على ربع كراعهم وثمارهم ، وكتب لهم كتابا بذلك وعندما طلب يهود خيبر من الرسول ﷺ أن يرد عليهم صحائف التوراة التى وصلت إلى أيدى المسلمين بعد فتح خيبر ،أجابهم إلى طلبهم وردها عليهم(١) .

وفى ذلك يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون : « إن اليهود حفظوا له ـ النبىﷺـ هذه اليد ، حيث لم يتعرض بسوء لصحفهم المقدسة ، ولم يفعل ما فعله الرومان حين تغلبوا على أورشليم وفتحوها سنة ٧٠٥ م إذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم، ولم يفعل ما فعله النصارى فى حروب اضطهاد اليهود فى الأندلس ، حيث أحرقوا - أيضا - صحف التوراة ، هذا هو البون الشاسع بين الفاتحين ممن ذكرنا وبين رسول الإسلام ، عليه الصلاة والسلام » (٢) .

ولم تكن هذه الأولى من نوعها ، فقد سمح لهم قبل ذلك بأخذ صحفهم المقدسة المشتملة على وصية موسى لبنى إسرائيل عند جلائهم من المدينة فى غزوة بنى النضير وذلك مع شدة عداوة اليهود لرسول الله ﷺ ، وهذا منتهى السماحة والكرم لو عقل الناس(٣) .

هذا ولعلم النبى ﷺ بكيد اليهود ومكرهم وعدم أمنهم على الإسلام ، والمسلمين ، أوصى قبيل وفاته بإخراجهم من الجزيرة العربية ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يجتمع بجزيرة العرب دينان » (٤) .

وقد بقوا فيها أيام « أبى بكر الصديق » - رضى الله عنه - وذلك لانشغاله

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٣٢١ .

(٢) تاريخ اليهود فى جزيرة العرب ، نقلا عن بنى إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٣٢١ .

(٣) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ص ٣١٥ .

(٤) أخرجه أبو داود ، كتاب الإمارة باب فى إخراج اليهود من جزيرة العرب - بنحوه جـ ٣ ص ١٦٥ وأحمد جـ ٦ ص ٢٧٥ .

بحروب الردة وربما لعدم علمه بهذا الحديث ، كما ذكر .

وفي خلافة « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه ، أجلاهم عن جزيرة العرب ، خاصة بعد أن ارتكبوا بعض الجرائم في حق المسلمين ، فقد اغتالوا رجلا من الأنصار وألقوه في أحد الآبار واعتدوا على « عبد الله بن عمر » رضي الله عنهما، وهو نائم[1].

وقد ساق البخاري حديثا طويلا في كيفية إجلاء عمر ليهود خيبر ، فقال : حدثنا . . عن ابن عمر قال : لما فدع أهل خيبر يدى عبد الله بن عمر ، قام «عمر» خطيبا فقال : إن رسول الله ﷺ كان قد عامل يهود خيبر على أموالهم ، وقال : نقركم ما أقركم الله ، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك ، فعدى عليه من الليل ، ففدعت يداه ورجلاه ، وليس لنا هناك عدو غيرهم ، هم عدونا وتهمتنا وقد رأيت إجلاءهم .

فلما أجمع « عمر » على ذلك أتاه أحد بنى الحقيق ، فقال : ياأمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا محمد ﷺ وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا ؟ فقال عمر : أتظن أنى نسيت قول رسول الله ﷺ : « كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة ، فقال : هذه هزيلة من أبى القاسم ، فقال عمر : كذبت ياعدو الله ، فأجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وإبلا وعروضا من أقتاب وجمال وغير ذلك » [2] .

كما قال رضى الله عنه « إن الله عز وجل قد أذن فى جلائكم ، فقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : « لا يجتمع بجزيرة العرب دينان،فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتنى به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليتجهز للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من

(١) راجع بتوسع / سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٢٦٨ - ٢٦٩

(٢) أخرجه البخارى : كتاب ، باب مايجوز من الشروط جـ ٣ ص ٢٣٨ .

رسول الله ﷺ منهم » [١].

وتطهرت المنطقة من قوم اشتهروا بالخيانة واتسموا بالغدر والخسة ، ما ينفك ذلك عنهم وصدق من قال : « لو تركت الحمير نهيقها والأفاعى لدغها لترك اليهود نقضهم للعهود » [٢] !!!

وبذلك تهيأ للدين الإسلامى مناخ طيب مكنه من الازدهار وساعده على الانطلاق بإذن الله الواحد القهار ، وكان هذا نهاية المطاف فى صراع اليهود المكشوف ضد الإسلام، فى مبدأ الدعوة الإسلامية وصدر دولته وبدأ من بعد صراعهم الخبيث المبطن ليحقق لهم بعض ما يأملون مما لم يمكن تحقيقه فى صراعهم المكشوف [٣] .

وبعد ، إن اليهود قد عاشوا فى الجزيرة العربية مئات السنين ، يأكلون من خيرها ويتقلبون على أرضها ، ولو أنهم وقفوا من دعوة الإسلام موقف المسالم لها لما نزل بهم ما نزل من القتل والطرد والإجلاء ولكنهم أبوا إلا جحودا وعنادا للنبى ﷺ الذى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فحقت عليهم اللعنة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

إن اليهود هم الذين جنوا على أنفسهم فإنهم ما طردوا من الجزيرة العربية إلا بنقضهم لعهودهم مع المسلمين ، وبمحاربتهم الإسلام ،وبجحودهم لرسالة النبى ﷺ [٤] ﴿ **وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون** ﴾[٥] .

«لقد مد الإسلام رواقه على الأرض بعد أن ظلت حينا من الدهر فى أيدى اليهود يعيشون عليها كما يشتهون ، والعظة التى نستخلصها من هذه المعارك وما أعقبها من جلاء ، أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، وهو لا ينتزعها من

(١) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٢٦٨ بتصرف .
(٢) فقه السيرة للشيخ الغزالى - والقول له ص ٣٢٤ .
(٣) جنايات بنى إسرائيل ص ٣١٨ بتصرف .
(٤) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٣٢٣ - ٣٢٤ بتصرف .
(٥) سورة آل عمران : ١١٧ .

قوم ويعطيهـا لآخرين محاباة ، كـلا ، ولكن الأمة التى تبطر النعمة تسـلبها ، ثم تساق الـنعمة إلـى من يقدرها ويشكر الله عليـها ، والأمـة التى تتكبر مـع الحرية وتتبطر ، تفـقد امتـلاكها لنـفسهـا، وحقهـا ، وأمرها ، لتقع فى آسـار الآخرين فيصرفـون شئونها كما يشـتهون ، وقد طبق هذا القانون على بنى إسـرائيل بقسوة عندما أهدروا أحـكام التوراة وتبعـوا الهوى ، وطبق بعـد ذلك على المسلمين يوم سدروا فى الغواية وجحدوا مالديهم من هداية .

﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ (١) .

إن الحياة كر وفر ، وإقبال وإدبار ، والنظرة العجلى إلى تاريخ البشر توحى بأن مكان الصدارة لم يثبت لأمة من الأمم إلا ريثما تتهيأ أمة أخرى لانتزاعه ، والدول التى سـادت أشبـه بلجج البحـر التى ترتفع حـينا ثم لا تلبث أن تضمـحـل رويدا رويدا حتى تنزاح على الشاطىء ضـعيفة متطامنة ولا مانع مـن أن تعود مرة أخرى مع المد فتبلغ الأوج ، ثم تنفك عنها أسباب القـوة فتهبط مستكينة من جديد » (٢) وقد ملك بنو إسـرائيل وعزوا بقدر حكيـم ، ثم سلبوا الملك والعزة بقـدر كذلك لترثها دولة الإسلام الفتى الناهض ، وتم هذا التحول لخير البشر قاطبة .

لماذا تظاهر اليـهودية الوثنيـة ضـد الإسلام ؟ ولمصلحـة من يقع هذا ؟ إن بنى إسرائيل ينظرون إلى الدنيا والدين من خلال منافعهم الخاصة ، وذلك ما حدا بهم إلى مقاومـة الإسلام بعنف ، أما القدر الأعلى فيريد أن يجـعل من الأمة الجديدة رسالة تغيير شامل لما شاع فى العالم أجمع من مفاسد ، ولما عرا حضارته من تعفن وركود ، فإذا وقفت حـفنة من الأعراب أو حفنة من اليهود لتعـترض هذا التحول الهائل بدوافع من الحقـد الرخيص أو المطامع الدنيا ، فهى التى جنت على نفـسها إذ أغرقت فى الطوفان ، لوظل اليهود ألـف سنة أخرى فى جزيرة العرب مازادوها

(١) سورة هود : ١٠٢ .

(٢) فقه السيره للشيخ الغزالى ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

إلا إنقساما ، وما اكتسبت أقطار الأرض من بقائهم شيئا ، ربما نالت مزيدا من الحبوب والفواكه التى يتقنون زراعتها ، بيد أنها لن تظفر بهذه الزيادة إلا ومعها كفل من الفساد الذى يصدره بنو إسرائيل إلى العالم مع معاملات الربا وأخلاق العهر والتحلل .

أما الإسلام فقد خرج من الجزيرة العربية يوم خرج ، رسالة إيمان وإصلاح ، وبما يحمله فى طواياه من حق ونفع استحق الانتصار والانتشار .

فلما جرى على أمته من أسباب البلى والخمول ما جرى على اليهود الأولين تعرضت للطرد من أوطانها ، والتشرد هنا وهناك ، كما تعرض غيرهم ، حذو النعل بالنعل. أ. هـ (١).

دسائس اليهود ومؤامراتهم ضد الإسلام والدولة الإسلامية بعد النبى ﷺ.

لم ينته العداء بين اليهود والإسلام بانتهاء وجودهم فى الحجاز ، بل ظل وسيظل ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها طالما يوجد يهودى على ظهر الأرض حيا ، ذلك أنهم لما عجزوا عن حرب الإسلام فى الميادين المكشوفة وخاب أملهم فى تحقيق أى نصر نفثوا سموم حقدهم فى مؤامرات مقيتة تحت ستار الإسلام نفسه ، وذلك عن طريق النفاق وتأسيس الجمعيات السرية اليهودية ، فيظهر البعض منهم الإسلام ، وفى نفس الوقت - يضمر الكيد له ، وذلك حتى يكون فى مأمن من سيوف المسلمين وسطوة السلطان ، ومن هذا الطريق أخذ ذلك البعض يكيد ويمكر ويحيك الدسائس ، ويدبر الفتن ويعبث بالتعاليم وذلك على مستوى الجوانب النظرية والعلمية على حد سواء .

لقد استطاع اليهود - بعد انقضاء عصر النبوة - أن يعبثوا بكثير من تعاليم الإسلام وأحكامه وذلك عن طريق تفسيرات خاطئة كاذبة للقرآن الكريم ، تعرف

(١) فقه السيرة للغزالى ص ٣٧١ .

بالإسرائيليات.

هذا بالإضافة إلى قصص وهمية، ومعانى لاقيمة لها، وحشو لا طائل من ورائه، يسبب فى الأمة اختلافا وفرقة، ويكون من قبيل العلم الذى لا ينفع والجهل الذى لا يضر، وبه يصرفون المسلمين عن دينهم، وكذلك بوضع أحاديث مكذوبة ومختلقة، ملؤها الخرافات وحشوها الأساطير ينسبونها إلى رسول الله ﷺ، تعرف بالأحاديث «الموضوعة» تبث الأضاليل داخل سنة النبى ﷺ ومن طريق هذه وتلك يستطيعون - كما استطاعوا فى التوراة - أن يحرفوا الكلم عن مواضعه وإن يأتوا على بنيان الإسلام من قواعده ويجتثوه من أصوله وجذوره، لولا فضل الله عز وجل الذى حفظ هذا الدين « قرآنا وسنة » ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [1] ففطن المسلمون لذلك[2] أ. هـ [3].

كانت هذه إشارة إلى دسائس اليهود من الجانب النظرى، وقد أحبط الله كيدهم، وحفظ دينه، وإن كان ذلك ترك بصمات واضحة بين المسلمين، فرقة وفتنة واختلافا، ولكن الله عز وجل لم يزل - سبحانه - يقيض لدينه رجالا ينفون عنه كيد المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتحريف المغالين، وأئمة يجددون لهذه الأمة أمر الدين، والله حافظ كتابه، ناصر دينه ولو كره المبطلون.

ومع إخفاق اليهود فى هذا الجانب إلا أنهم نجحوا - إلى حد كبير - فى الجانب العملى ومنه عملوا على بث الفتن، وانتشار العداوات، وإلقاء التهم، ووضع العراقيل وإثارة الحروب، لقد ظلت اليد الخفية لليهود - المتمثلة فى جمعياتهم السرية القديمة - تعمل بكيد ومكر - بعد وفاة النبى ﷺ فكان لهم يد فى ردة

---

(١) سورة الحجر : ٩ .

(٢) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ص ٣١٩ بتصرف .

(٣) راجع بتوسع : الإسرائيليات فى التفسير والحديث، للشيخ محمد الذهبى، والاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم للذهبى أيضا، ودفاع عن السنة للشيخ محمد أبو شهبه، والسنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، للدكتور مصطفى السباعى .

المرتدين ، ومانعي الزكاة الناكثين ، ومدعي النبوة الكاذبين ، وظلت دسائسهم تحاك بليل ، وتنفذ ، بكيد - فى خفية من النهار ، وذلك فى خلافة « أبى بكر الصديق » رضى الله عنه وكذلك فى خلافة « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه الذى كادت أن تختفى فيه تلك الفتن، وذلك بسبب إجلائهم - فى خلافته رضى الله عنه - عن الجزيرة العربية ، ولكنهم بعد إجلائهم أرادوا أن يثأروا لأنفسهم فلم يتم لهم ذلك عن قرب فخططوا له من بعيد ، ودبرت المؤامرة بالاتفاق مع المنافقين وبمعاونة أبى لؤلؤة المجوسى الذي توعد أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه وعزاه «كعب الأحبار» فى نفسه قبل موته بثلاث ، فلما قال «عمر» فى ذلك قال «كعب » نجده مع صفتك فى التوراة .

ونفذت المؤامرة فى صلاة الفجر و « عمر بن الخطاب » يصلى بالمسلمين فيطعنه « أبو لؤلؤة المجوسى» طعنات يلقى الله عز وجل بعدها شهيدًا ومن يومها انكسر باب الفتنة ولم ينغلق ، بمقتل الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولئن خفتت الفتنة فى عهد «عمر بن الخطاب » فلقد عظمت فى عهد « عثمان بن عفان» رضى الله عنه .

لقد اتسعت الدولة الإسلامية اتساعًا كبيرًا ودخل فى الإسلام شباب كثيرون لم يدخل الإسلام قلوبهم فكانوا عرضة لأى بادرة تبدو بالتغيير، ، وأى إشارة تومىء إلى الفتنة ،ومن هنا وجد أعداء الإسلام والذين تزيوا بردائه لحاجة فى نفوسهم وسيلتهم ميسرة لتفريق الكلمة وتمزيق الصف فبدأوا يشقون طريقهم إلى الغاية التى أرادوها بالإشاعات المغرضة والدعاوى الكاذبة وتولى كبرها أحد اليهود ، أسلم حديثا وهو حاقد على الإسلام والمسلمين ، ويدعى « عبد الله بن سبأ » المشهور بـ «ابن السوداء» لقد استطاع ذلك الخبيث أن ينفخ فى رماد الفتنة حتى أشعلها نارًا متأججة ، وضرب على الوتر الحساس لدى حدثاء الإسلام وضعفاء الإيمان ، وبدأ يفتل غزلة ويمد حبله شرق البلاد وغربها حتى استطاع أن يجمع أنصارا كثيرين

لفكرته الخبيثة المبنية على القول برجعة النبى ﷺ إلى الحياة الدنيا بعد موته مستنداً على القول برجعة «عيسى» عليه السلام وكان يقول : « العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع» ، ويستدل على ذلك بتأويل خاطىء بقوله تعالى : ﴿ إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ (١) يقول عند ذلك: فمحمد أحق بالرجوع من عيسى فيقبل منه هذا الكلام الذى لا يتمشى مع القرآن.

وكذلك القول بالوصية بالخلافة - بعد رسول الله ﷺ - لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، خاصة ولآل البيت عامة من بعده ، واستغل عاطفة الناس تجاه آل بيت النبى ﷺ ، فأساء إلى أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وأثار الناس على « عثمان بن عفان » رضى الله عنه ، وأخذ ينتحل له الاتهامات ، ويختلق له المظالم ويكيل له فى الأخطاء ، وأخذ الخبيث يطعن علنا فى خلافته واتهمه بالظلم ونادى بالخروج عليه وعلى ولاته فى الأقاليم ، مظهرا ناحية أخرى حساسة لدى المسلمين هى : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فذلك أمر من صميم الإسلام ، وبه كان المسلمون خير أمة أخرجت للناس (٢)

بدأ عبد الله بن سبأ يحرك الفتنة بتأليب الناس على « عثمان » رضى الله عنه فكان يتهمه بالآتى :

فيقول « جاء عثمان فى ولايته بمظالم ومناكير ، منها : ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه، ولابن مسعود حتى كسر أضلاعه ، ومنعه عطاءه ، وابتدع فى جمع القرآن وتأليفه ، وفى حرق المصاحف ، وحمى الحمى ، وأجلى « أبا ذر » إلى الربذة ، وأخرج من الشام « أبا الدرداء » ورد « الحكَمَ » بعد أن نفاه رسول الله ﷺ ، وترك قصر الصلاة .

---

(١) سورة القصص : ٨٥ .

(٢) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ص ٣٢٠ - ٣٢٣ بتصرف

وولى معاوية وعبد الله بن عامر بن كَريز ، ومروان ، وولى الوليد بن عقبة وهو فاسق ليس من أهل الولاية ،وأعطى مروان خمس إفريقية ، وكان «عمر» يضرب بالدرة ، وضرب هو بالعصا وعلا فوق درجة رسول الله ﷺ ، وقد انحط منها أبو بكر وعمر ، ولم يحضر بدرًا وانهزم يوم أحد ، وغاب عن بيعة الرضوان، ولم يقتل « عبيد الله بن عمر بالهرمزان » الذى أعطى السكين إلى أبى لؤلؤة وحرضه على « عمر » حتى قتله ، وكتب مع عبده « على » كتابا إلى ابن أبى سرح فى قتل من ذكر فيه [1] .

وهذا كله باطل سندًا ومتنًا ، وأما قولهم « جاء عثمان بمظالم ومناكير » فباطل وأما ضربه لعمار وابن مسعود ، ومنعه عطاءه فزور ، وضربه لعمار إفك مثله ولو فتق أمعاءه ما عاش أبدا وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغى أن تشتغل بها لأنها مبنية على باطل ولا يبنى حق على باطل ، ولا تذهب الزمان فى مماشاة الجهال ، فإن ذلك لا آخر له .

وأما جمع القرآن فتلك حسنته العظمى ، وخصلته الكبرى ، وإن كان وجدها كاملة، لكنه أظهرها ورد الناس إليها ، وحسم مادة الخلاف فيها ، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه حسبما بيناه فى كتب القرآن وغيرها [2] وأما ما روى أنه حرقها أو خرقها -بالحاء المهملة أو الخاء المعجمة وكلاهما جائز - إذا كان فى بقائها فساد أو كان فيها ما ليس من القرآن أو ما نسخ منه ، أو على غير نظمة ، وقد سلم فى ذلك الصحابة كلهم [3] .

وأما أمر الحمى ، فكان قديما ، فيقال إن عثمان زاد فيه لما زادت الرعية ، وإذا جاز أصله للحاجة إليه جازت الزيادة لزيادة الحاجة [1] . وأما نفيه « أبا ذر » إلى

(١) العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى ﷺ ، للقاضى أبو بكر بن العربى المالكى ص ٧٦ ، ٧٧ ط دار الكتب السلفية تحقيق / محب الخطيب .

(٢) العواصم من القواصم ص ٧٧ - ٨٠ « متنا » .

(٣) العواصم من القواصم ص ٨٣ .

الربذة فلم يفعل وكان « أبو ذر » زاهدا وكان يقرّع عمال عثمان ويتلو عليهم ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾[٢] .

فرد « ابن عمر وغيره » - عليه - وهو الحق - « إن ما أديت زكاته فليس بكنز فوقع بين أبى ذر ومعاوية كلام بالشام ، فخرج إلى المدينة ، فاجتمع إليه الناس ، فجعل يسلك تلك الطرق ، فقال له عثمان : « لو اعتزلت » معناه إنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس ، فإن للخلطة شروطا وللعزلة مثلها ، ومن كان على طريقة أبى ذر فحاله يقتضى أن ينفرد بنفسه ، أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام فى الشريعة ، فخرج إلى الربذة زاهدا فاضلا ، وترك جلة فضلاء ، وكل على خير وبركة وفضل ، وحال أبى ذر أفضل ، ولا تمكن لجميع الخلق ، فلو كانوا عليها لهلكوا ،فسبحانه مرتب المنازل ، ومن العجب أن يأخذ عليه فى أمر فعله « عمر » فقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سجن «ابن مسعود » فى نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد فأطلقهم عثمان ، وكان سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله ﷺ ، ووقع بين أبى الدرداء ومعاوية كلام وكان أبو الدرداء زاهدا فاضلا قاضيا لهم ، فلما اشتد فى الحق ، وأخرج طريقة « عمر » فى قوم لم يحتملوها عزلوه . فخرج إلى المدينة ، وهذه كلها مصالح لا تقدح فى الدين ، ولا تؤثر فى منزلة أحد من المسلمين بحال، فأبو الدرداء وأبو ذر بريئان وعثمان أعظم براءة وأكثر نزاهة ، فمن روى أنه نفى فهو كله باطل ، وأما رد الحكم فلم يصح ، أى زعم البغاة أن عثمان خالف فى ذلك ما يقتضيه الشرع ، وقال علماؤنا فى جوابه ، وقد كان أذن له فيه رسول الله ﷺ . وقال . أى عثمان - لأبى بكر وعمر ، فقالا له إن كان معك شهيد رددناه ، فلما ولى قضى بعلمه فى رده وما كان عثمان ليصل مهجور رسول

(١) انظر تفصيل الرد على تلك الشبهة « هامش » العواصم من القواصم ص ٨٤ ، ٨٥

(٢) سورة التوبة : ٣٤ .

الله ﷺ ولو كان أباه ولا لينقض حكمه » (١) .

وأما ترك القصر ، فاجتهاد إذ سمع أن الناس افتتنوا بالقصر ، وفعلوا ذلك فى منازلهم فرأى أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفريضة فتركها مصلحة خوف الذريعة، مع أن جماعة من العلماء قالوا : إن المسافر مخير بين القصر والاتمام - واختلف فى ذلك الصحابة .

وأما معاوية فعمر ولاه ، وجمع له الشامات كلها ، وأقره عثمان ، بل إنما ولاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه لأنه ولى أخاه يزيد ، واستخلفه يزيد ، فأقره عمر لتعلقه بولاية أبى بكر لأجل استخلاف واليه له ، فتعلق عثمان بعمر ، وأقره فانظروا إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها ولن يأتى مثلها بعدها أبدا .

وأما عبد الله بن كريز فولاه - كما قال - لأنه كريم العمات والخالات ، وأما تولية «الوليد بن عقبه » فلأن الناس - على فساد النيات - أسرعوا إلى السيئات قبل الحسنات فتذكر أنه إنما ولاه للمعنى الذى تكلم به ، قال عثمان : ما وليته لأنه أخى وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه ، والولاية اجتهاد ، وقد عزل « عمر » سعد بن أبى وقاص وقدم أقل منه درجة ، وأما قول القائل فى « مروان و الوليد » فشديد عليهم وحكمهم عليهما بالفسق فسق منهم فمروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين .

أما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدى روى عنه وأما التابعون فأصحابه فى السن، وإن كان جازهم باسم الصحبة فى أحد القولين ، وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه واعتبار خلافته ، والتلفت إلى فتواه والانقياد إلى رواتيه ، وأما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم . وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين أن الله سماه فاسقا فى قوله ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن

(١) العواصم من القواصم ص ٨٤ - ٨٩ بتصرف .

تصيبوا قوما بجهالة ﴾[١] فإنها فى قولهم : نزلت فيه ، وقيل كذلك فى غيره وذكر أن الوليد سبق يوم الفتح فى جملة الصبيان إلى رسول الله ﷺ فمسح رؤوسهم وبارك عليهم إلا هو فقال : إنه كان على رأس خلوق ، فامتنع من مسه فمن يكون فى مثل هذه السن ويرسل مصدقا ، وكيف يفسق رجل يتمثل هذا الكلام ؟ فكيف برجل من أصحاب محمد ﷺ ؟[٢] .

وأما حده فى الخمر فقد حد « عمر » قدامة بن مظعون على الخمر وهو أمير وعزله ثم قيل إنه صالحه : وليست الذنوب مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة ، وأى حرج على المرء أن يولى أخاه أو قريبه ؟!!

وأما إعطاؤه خمس إفريقيه لواحد فلم يصح ، على أنه قد ذهب مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى رأيه فى الخمس وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده ، وإن إعطاءه لواحد جائز .

وأما قولهم إنه ضرب بالعصا فما سمعته ممن أطاع أو عصى ، وإنما هو باطل يحكى ، وزور يثنى ، فياله وللنهى ، وأما علوه على درجة رسول الله ﷺ فما سمعته ممن فيه تقية وإنما هى إشاعة منكر، ليروى ويذكر، فيتغير قلب من يتغير ، قال علماؤنا : ولو صح ذلك فما فى هذا ما يحل دمه ، ولا يخلو أن يكون ذلك حقا فلم تنكره الصحابة عليه إذ رأت جوازه ابتداء أو لسبب اقتضى ذلك ، وإن كان لم يكن فقد انقطع الكلام .

وأما انهزامه يوم حنين ، وفراره يوم أحد ، ومغيبه عن بدر وبيعة الرضوان ، فقد بين ابن عمر وجه الحكم فى شأن البيعة وبدر وأحد ، فقال فى ذلك - فيما رواه البخارى - لما سئل عنه « أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ ، وكانت مريضة ، فقال له

---

(١) سورة الحجرات : ٦

(٢) العواصم من القواصم ص ٩٠ - ١٠٤ بتصرف

رسول الله ﷺ : « إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه » وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله ﷺ عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال : هذه لعثمان »[١].

وأما يوم حنين فلم يبق إلا نفر يسير مع رسول الله ﷺ ، ولكن لم يجر فى الأمر تفسير من بقى ممن مضى فى الصحيح ، وإنما هى أقوال ، منها أنه ما بقى معه إلا العباس وابناه عبد الله وقثم - فناهيك بهذا الاختلاف ، وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة ، وقد عفا الله عنه ورسوله ، فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله والمؤمنون[٢] ، إنما هذه اتهامات حيث يكون المدح والحسنات[٣].

وأما امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان ، فإن ذلك باطل، وإن كان لم يفعل فالصحابة متوافرون والأمر فى أوله ، وقد قيل : إن الهرمزان سعى في قتل عمر وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه ، وكان قتل عبيد الله له ، وعثمان لم يل بعد ، ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقا ، لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله وأيضا فإن أحدا لم يقم بطلبه ، فكيف يصح مع هذه الاحتمالات كلها أن ينظر فى أمر لم يصح ؟

وأما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع غلامه - ولم يقل أحد قط أنه كان غلامه - إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح يأمره بقتل حامليه ، فقد قال لهم عثمان : إما أن تقيموا شاهدين علىّ بذلك ، وإلا فيمينى أنى ما كتبت ولا أمرت ، وقد يكتب على لسان الرجل ويضرب على خطه وينقش على خاتمه .

فقالوا تسلم لنا مروان ، قال : لا أفعل ولو سلمه لكان ظالما وإنما عليهم أن

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب فضائل الصحابه

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) راجع بتوسع : العواصم من القواصم ص ١٠٥ - ١١٥ .

يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه ، فما ثبت كان هو منفذه ، وأخذه - إن كان له أخذه - والممكن لمن يأخذه بالحق ومع سابقته وفضيلته ومكانته لم يثبت عليه ما يوجب خلعه فضلا عن قتله.

وبالقضاء السابق تألب عليه قوم لأحقاد اعتقدوها ، ممن طلب أمرا فلم يصل إليه ، وحسد حساده أظهر داءها وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين ، وإيثار العاجلة على الآجلة ، وإذا نظرنا إليهم ذلك صريح ذكرهم ، على دناءة قدرهم وبطلان أمرهم .

كان الغافقى المصرى أمير القوم ، وكنانة بن بشر التجيبى ، وسودان بن حمران، وعبد الله بن بديل ، ورقاء الخزاعى وحكيم بن جبلة من أهل البصرة ، ومالك بن الحارث الأشتر فى طائفة هؤلاء رؤوسهم ، فناهيك بغيرهم [1] « وقد كانوا أثاروا فتنة ، فأخرجهم عثمان بالاجتهاد ، وصاروا فى جماعتهم عند معاوية، فذكر بالله وبالتقوى لفساد الحال وهتك حرمة الأمة ، ورجعوا إلى عثمان وجددوا التوبة ، واستبانت لهم الحقيقة ، ثم وجدوا رسولا معه كتاب زعم أنه من قِبَل « عثمان » وفيه الأمر بقتلهم وصلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم فاقبلوا حتى قدموا المدينة ، فأتوا « عليا » فقالوا له: ألم تر إلى عدو الله - يقصدون عثمان - كتب فينا بكذا ؟ وقد أحل الله دمه ، فأنكر ذلك « على » وقال: والله ما كتبت إليكم ، فنظر بعضهم إلى بعض ، ثم انطلقوا إلى عثمان فقالوا له : كتبت فينا كذا ، فرد عليهم بما سبق ذكره فلم يقبلوا منه ذلك ، ونقضوا عهده وحصروه في بيته ، وقد أشرف عليهم عثمان ، واحتج عليهم بالحديث الصحيح فى بنيان المسجد وحفر بئر رومة ، وقوله النبى ﷺ حين رجف بهم أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان (رواه البخارى) ، وأقروا له به فى أشياء ذكرها ولكنهم أصروا على موقفهم ، وأراد أجلاء الصحابة الدفاع عن « عثمان » فنهاهم عن ذلك

(١) العواصم من القواصم ، ص ١١٦ - ١٢٤ بتصرف والبداية والنهاية جـ ٧ ص ١٨٧ بتصرف .

وأمرهم بكف أيديهم وأسلحتهم ، وذكرهم فى ذلك بالسمع والطاعة حتى أخرجهم عثمان من بيته ، وأمرهم بلزوم بيوتهم ، وفى ذات الوقت استغل الثوار الفرصة وفتحوا الباب على «عثمان» ودخلوا عليه ، فقتله المرء الأسود أو يدعى «الموت الأسود» وربما كان ذلك اسما مستعارا يرمز به ، ولعله كان « ابن سبأ » الذى كان مع الثوار ، ولكنه كان شديد الحرص على أن يعمل من وراء ستار ليتمكن من مواصلة دسائسه لهدم الإسلام .

وأمر « عثمان » كله سنّة ماضية وسيرة راضية ، فإنه تحقق أنه مقتول بخبر الصادق له بذلك ، وأنه بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، وأنه شهيد [١] .

من وراء هذه الفتنة ؟ إنهم اليهود وعلى رأسهم ذلكم الشيطان « عبد الله بن سبأ » الذى روج للاتهامات وآثار الفتنة وألب الناس على عثمان رضى الله عنه ، وكَاتبَ الأمصار واتخذ أشياعا له فيها ، وحرض البلدان ، وأغضب الناس على أميرهم ، وسمع له كل مفتون موتور ، وصانع بعض أهل المدينة ، وكتب الكتب زورا باسم « على » إلى مصر ، وباسم « طلحة » إلى البصرة ، وباسم « الزبير » إلى الكوفة ، لتحريض الناس على الخليفة وعماله وكان لهذه الكتب فعل السحر فى نفوس الناس خصوصا فى مصر[٢] وبهذا يتبين لك أن اليهود ما يفتأون عن إضمار الكيد للإسلام وأهله !

لم يقنع اليهود بمقتل « عثمان » وإثارة الفتن ، إنهم يريدون ما هو أكبر من ذلك من قضاء على الإسلام وإجهاز عليه ، حتى تخلو لهم الساحة وحدهم ، فبعد مقتل «عثمان» رضى الله عنه عمل اليهود على فرقة بين المسلمين وصلت إلى حد الاصطدام المسلح العنيف ، ذهب ضحيته عدد من المسلمين فاق مجموع ما

---

(١) العواصم من القواصم ص ١٢٥ - ١٤٤ بتصرف ، البداية والنهاية جـ ٧ ص ١٩ ، ١٩١ ص ١٩٩ - ٢٠٧ بتصرف .

(٢) التاريخ الإسلامى ص ٣١٧ - ٣٢٩ بتصرف ، نقلا عن جنايات بنى إسرائيل ص ٣٢٤ - إلى ص٣١٦ بتصرف .

فقده الإسلام في حروبه مع المشركين واليهود وفارس والروم وذلك في معركة « صفين »و « الجمل » و«قتال الخوارج » هذا بخلاف كثرة الطوائف المختلفة التي فرقت وحدة المسلمين وجعلت شملهم بددا ، وبدأ ذلك - عن طريق اليهود - بالدعوة الجديدة التي ظهر بها «عبد الله بن سبأ » في وضع أساس التشيع لآل البيت بصفة عامة « ولعلي بن أبي طالب» بصفة خاصة ، وقد زعم أحقيته بالخلافة - وذلك في أيام « عثمان » وكذلك الوصاية له من قبل « النبي ﷺ » وأنه لكل نبي وصي« وعلي» وصي محمد ، ومحمد خاتم الأنبياء « وعلي خاتم الأوصياء » ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ، ووثب على وصيه ومنعه حقه،وتناول أمر الأمة بغير الحق ، عجبا لكم أيها المسلمون يكون فيكم أهل البيت - بيت نبيكم - ثم يقصون عن أمركم .

وقوله بالرجعة للنبي محمد ﷺ ، ولم يكن شيء من ذلك معروفا عند المسلمين قبل ظهوره ، وقد وجدت هذه الدعوة في مصر كثيرا من الأعوان الذين استهوتهم الدعوة حبا في الرسول ﷺ وآل بيته فاتبعوا هذا المضلل [١] .

وبعد تولي « علي بن أبي طالب » الخلافة بعد مقتل « عثمان » رضي الله عنه قامت في الناس دعوة أخرى تطالب بقتال قتلة « عثمان » رضي الله عنه ، وردت بعض الأمصار الأمراء الذين أرسلهم « علي بن أبي طالب » إليها ومنهم من قبل على شرط قتل قتلة « عثمان » وانتشرت الفتنة واختلفت الكلمة وبعث « علي » إلى معاوية كتبا كثيرة فلم يرد عليه جوابها ، وتكرر ذلك مرارًا واضطر « علي » رضي الله عنه لقتال أهل الشام ، وفي نفس الوقت سار إلى البصرة ، بدلا من الشام ، وحدثت في الناس فتن واختلافات ما يعلم مداها إلا الله [٢] .

ومع هذا الاختلاف والفرقة ، تدخل الصلحاء بين علي رضي الله عنه ،

---

(١) البداية والنهاية جـ ٧ ص ١٨٣ بتصرف .

(٢) راجع بتوسع : « البداية والنهاية » جـ ٧ ص ٢٤٦ - ٢٥٨ .

وعائشة وطلحة والزبير رضى الله عنهم ، وقام القعقاع بينهم حتى أصلح ذات بينهم ، وفرح «على » بذلك وأشرف القوم على الصلح ، كره ذلك من كرهه ، ورضيه من رضيه ، وخطب « على » فى الناس وأعلن فى الناس أنه مرتحل غدا فارتحلوا ولا يرتحل معه أحد أعان على مقتل عثمان وبات الناس بخير ليلة .وبات قتلة « عثمان » بشر ليلة، وباتوا يتشاورون وفيهم «عبد الله بن سبأ» المعروف «بابن السوداء» وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس .

فنهضوا من قبل الفجر ، وهم قريب من ألفى رجل ، فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف ، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم ، وقام الناس من منامهم إلى السلاح ، فقالوا : طرقتنا أهل الكوفة ليلا وبيتونا وغدروا بنا وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب على فبلغ الأمر عليا ، فقال : ما للناس ؟ فقالوا : بيتنا أهل البصرة ، فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا اللامة وركبوا الخيول ، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه فى نفس الأمر « وكان أمر الله قدرا مقدرًا ، وقامت الحرب على ساق وقدم ، وتبارز الفرسان وجالت الشجعان فنشبت الحرب ، وتوافق الفريقان، وقد اجتمع مع « على » عشرون ألفا ،والتف على « عائشة » ومن معها نحو ثلاثين ألفا ،فإنا لله وإنا إليه راجعون والسابئة أصحاب ابن السوداء - قبحه الله - لا يفترون عن القتل ، ومنادى « على » ينادى: ألا كفوا ألا كفوا فلا يسمع أحد ، وقد قتل خلق كثير جدا ، حتى جعل «على» يقول لابنه الحسن : يابنى ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاما فقال له : ياأبت قد كنت أنهاك عن هذا فقال : يابنى إنى لم أر أن الأمر يبلغ هذا [(١)].

ولماذا لا يبلغ هذا المبلغ ومن ورائه اليهود يكيدون للإسلام والمسلمين ، ومما ذكرت يستبين لك أنه ما كانت لتقوم تلك المعركة - التى انتهت بالصلح قبل أن تبدأ - لولا أن وراءها اليهود ، وقد أخذوا المسلمين على غرة وبغلس وتوغلوا

(١) راجع بتوسع : « البداية والنهاية » جـ ٧ ص ٢٥٩ - ٢٦٢ .

داخل الصفوف بين الفريقين ، حتى ظن كل واحد منهم أن الآخر خانه وغدر به، وليس الأمر كذلك !!

ما قرت عين « ابن سبأ » ومن معه حتى قتلوا كل من قدروا عليه لا يتوقفون في أحد ،ولما أرسلت « عائشة » كعب بن سور قاضي البصرة ، وأعطته مصحفا وقالت : ادعهم إليه - وذلك حين اشتدت الحرب وحمي القتال - فلما تقدم «كعب بن سور» بالمصحف يدعو إليه استقبله عبد الله بن سبأ وأتباعه بين يدى الجيش ، فلما رأوه رافعا المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد فقتلوه ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين « عائشة » رضى الله عنها فجعلت تنادى : الله ، الله ! يابنى اذكروا يوم الحساب ورفعت يديها تدعوا على أولئك النفر من قتلة عثمان ، فضج الناس معها بالدعاء ، حتى بلغت الضجة إلى « على » فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أم المؤمنين تدعوا على قتله عثمان وأشياعهم ، فقال : اللهم العن قتله عثمان .

وجعل أولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبال حتى بقى مثل القنفد ، ثم أخذ الخطام «بنوضبة» فقتل عنده منهم خلق كثير ، ويقال إنه قطعت يد سبعين رجلا وهى آخذة بخطام الجمل ، ثم أخذ الخطام سبعون رجلا من قريش ، كل واحد يقتل بعد صاحبه ، حتى عقر الجمل ، ولما سقط البعير إلى الأرض انهزم من حوله الناس .

وحمل هودج عائشة وإنه لكالقنفذ من السهام ونادى منادى « على » فى الناس إنه لا يتبع مدبر ولا يوقف على جريح ، ولا يدخلوا الدور ،وأمر « على» نفرا أن يحملوا الهودج من بين القتلى وأمر محمدًا بن أبى بكر وعمارا أن يضربا عليها قبة وطاف « على » بالقتلى وصلى عليهم وخص قريشا بصلاة من بينهم ، وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء ،رحمهم الله ورضى عن الصحابة منهم

وقد سأل بعض أصحاب « على » « عليا » أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير فأبى عليهم فطعن فيه السبئية وقالوا : كيف تحل لنا دماءهم ولا تحل لنا أموالهم؟

فبلغ ذلك عليا فقال : أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين فى سهمه ؟ فسكت القوم ، وتكلم السبئية أيضا ونالوا منه من وراء [١] .

ولقد ظل الذين أشعلوها نارا فى موقعة « الجمل » ليشعلوها -كذلك - نارا تتأجج أكبر وأعظم فى موقعة « صفين » تلك التى لا يعلم عدد قتلاها إلا الله ، وما جرته على المسلمين من بلاء وفتن ، وما وقع فيهم من فرقة واختلاف ، ثم ماجرى بينهم من فتنة التحكيم ،وما نتج عنه من مصيبة المارقة وضلالة الخوارج ، وقتال « على » لهم بالنهروان وويلات وويلات ، وما أشك أن الأيدى الخفية - من اليهود والمنافقين - وراء ذلك والمحركة والملقية بشبهاته والموقدة لناره : **﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين﴾** [٢] .

ولقد استمر عداء اليهود للإسلام والمسلمين ، على مدى الأيام والأزمنة ، ما ينتهى أو يقل بل يزيد ضراوة ويشتد حنقا : **﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾**[٣] يعادون الإسلام تارة فى العلانية وتارات فى الخفاء ، مرة مواجهة وأخريات من وراء ستار ، حينا بالقوة والسلاح وأحيانا ببث الفساد ، وإشاعة الفاحشة وغزو المسلمين بما يدمر الأخلاق وما يفسد الدين ويضيع الأمة فكريا ، وسياسيا ، واقتصاديا ، وعسكريا . .إلخ وإن الوقائع والأحداث ، أكبر من أن تعد وأكثر من أن تحصى .

---

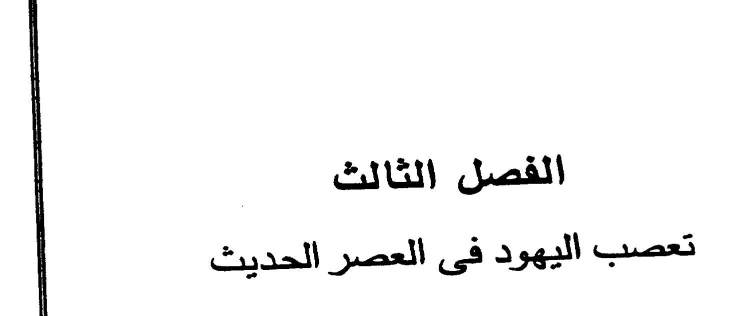
(١) راجع بتوسع : « البداية والنهاية » جـ ٧ ص ٢٦٤، ٢٦٧ .
(٢) سورة المائدة : ٦٤ .
(٣) سورة المائدة : ٨٢ .

هذا ولقد أشرت إلى طرف منها - فيما سبق - وسنشير - إلى طرف آخر منها - إن شاء الله تعالى - فيما يأتى .

إن عداء اليهود قديم ، يتجدد مع الأيام ويستمر مع الزمان - حتى عصرنا الحديث وما ينتهى حتى تقوم الساعة « ولن تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيختبىء اليهود خلف الشجر والحجر فينطق الشجر والحجر ، فيقول : يا مسلم يا عبد الله ، تعال ورائى يهودى فاقتله إلا شجر الغرقد فإنه من غرس اليهود »[1] أ . هـ .

***

(١) الحديث أخرجه البخارى : كتاب الجهاد - باب قتال اليهود . وأخرجه مسلم كتاب الفتن .



الفصل الثالث

تعصب اليهود فى العصر الحديث

* المبحث الأول : اليهــودية هى الصهيونية
* المبحث الثانى : الجمعيات السرية اليهودية
* المبحث الثالث : اليهــود فــى فلســطين

الفصل الثالث

المبحـــث الأول

تعصب اليهود في العصر الحديث

اليهودية هى الصهيونية

على الساحة العربية يعد التعصب الصهيونى ضد الفلسطينين والعرب عموماً أكثر أشكال التـعصب القـومى التى يعانى منهـا العرب فى الأرض المحـتلة فى الضـفة الغربية وقطاع غزة وكذلك فى لبنان ، حيث تستخدم سلطات الإحتلال الإسرائيلى كل أشكال العنف مع العرب » (١)

كذلك حظيت الاتجـاهات التعصـبية الدينـية باهتمـام واضح ، ويكشف التراث المعاصر لعلم النفس الاجتماعى الغربى أن اليهـود أكثر الجماعات الدينية التى كانت هدفاً لتعصب المسيحيين سواء فى الولايات المتحدة أو أوربا » (٢)

وإذا أردنا أن نذكر نموذجـاً تطبيقيـاً لأحد أشكال الإتجاهات التـعصبيـة فلن نجد نموذجاً يمثل التعصب بصوره القومية والدينية والعنصرية مثل التعصب الصهيونى ، خاصة ضـد العرب والفلسطينين ، وسنحاول تحـديد الملامح والخصائص النفـسية لهذه الشـخصية الصهـيونية المتعـصبة ، والتى تعلن عن تعـصبها صـراحة، سواء بالتصريح اللفظى أو بالسلوك الفعلى ، كما سنرى » (٣)

ويمكن تحديد أهم المظاهر الخـاصة بالتعصب الصهـيونى عمومـاً ، وضد العرب

(١) الاتجاهات التـعصبيـة ، تأليف د / معتـز سيد عـبدالله ، ص ١٨ سلسلة عالم المعـرفة (١٣٧) ط المجلس الوطنى للثقافة بالكويت (مطابع الرسالة) .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٣٣ بتصرف .

على وجه التحديد من خلال ثلاثة جوانب أساسية ، وهى التى تشكل مضمون الإتجاهات التعصبية ، وهى : «الجانب المعرفى - والانفعالى - والسلوكى » وهذه المظاهر الثلاثة للتعصب الصهيونى لها علاقة وثيقة بعضها ببعض ، ويؤدى كل منها إلى الآخر ، فالفصل بينها فصل تعسفى ، يهدف إلى توضيح وتفسير الظاهرة فقط ، لكنها فى النهاية تعبر عن شىء واحد أو هوية واحدة لها ثلاث جوانب وتفصيل ذلك هو :

(١) الجانب المعرفى :

ينطوى على الأفكار الخاطئة والمعتقدات ، والقوالب النمطية ، والإدراكات المتسرعة، والإعتقادات الخاطئة ، وكل الجوانب المعرفية التى تشكل مظاهر الإتجاهات التعصبية فى الشخصية الصهيونية . [١] ويمثل ذلك فى :

(أ) تصنيف البشر إلى فئتين :

«ساميين وغير ساميين » :

يقوم الصهاينة بهذا التصنيف استنادا إلى مجموعة من القوالب النمطية التى استمدوها من فكرهم عبر تاريخهم الطويل ، وعملية التصنيف هذه تعد من الملامح الأساسية للتعصب ، حيث تتم التفرقة بين الناس على أساس بعض السمات أو الخصال التى غالبا ما لا تكون صحيحة .

فاليهود الساميون يتسمون بمجموعة من الخصال أو الصفات التى تميزهم عن سائر البشر الآخرين ، وهى غالبا ما تكون خصالاً إيجابية ، بينما يتسم غير الساميين بالعديد من السمات السلبية الكريهة التى تصل إلى مستوى الشتائم التى تجعل اليهود في مستوى يعلو فوق مستوى البشر ، فيرفعون - أى اليهود - أنفسهم إلى مستوى التقديس والعبادة، ويتخذون موقفاً عدائياً من جميع الشعوب

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٣٩ بتصرف .

التى يدعون أنها دون الشعب اليهودى من النواحى الخلقية والعقلية والفكرية ، لذلك يمثل غير الساميين أعداء حقيقيين لليهود ، وتنبغى مواجهتهم بحسم وقوة من أجل أفضل حياة لليهود .

(ب) الاعتقادات الخاطئة بفكرة

« النقاء العنصرى اليهودى » :

ويقصد به : أن الأفراد فى جماعة معينة يختلفون عن غيرهم من أفراد الجماعات الأخرى ككل ، من حيث نقائهم وراثياً ، بمعنى أنهم كجماعة لم يتعرضوا لما تعرض غيرهم من تداخل بين السلالات المختلفة ، وهذا هو لب مضمون التعصب العنصرى للصهيونية . لذلك تدعى نقاءها من حيث القدرات العقلية والخصائص النفسية وسائر الإمكانات البشرية الهائلة التى يتميزون بها عن غيرهم من أبناء الأمم والشعوب الأخرى، مع الإيمان العميق بحقارة أمم العالم ، ويتضح ذلك من خلال استخدامهم العديد من الألفاظ الكريهة والسلبية فى وصفهم شعوب العالم سواء فى ذلك الشعوب الإسلامية أو الشعوب المسيحية ، وارتباط كل شعب منها بمجموعة من الصفات السيئة ، وأكبر دليل على ذلك أن تقرأ التلمود أو البروتوكولات ، فهم يقولون «من ليس يهودياً ليس إنساناً ، ويمكن تسميته صرصوراً أو حيواناً يسير على قدميه ، ويمكن تسميته غريباً أو عدواً » [1] فاليهود شعب مميز عن بقية الشعوب ، منفصل عن الجنس البشرى ، لا يخضع للقيم الأخلاقية التى تخضع لها سائر الشعوب ، ولذلك فإنه قادر على ارتكاب الجرائم باسم القيم والأخلاق والأهداف التى يقررها هو حسب هواه .

« وفى مقابل هذا التفرق العنصري والعرقى الحضارى لليهود طرح الصهاينة فكرة التخلف العربى ، العرقى والحضارى أيضاً ، « فهرتزل » حينما يتحدث عن تفوق الحضارة الغربية متمثلة فى المستعمر الصهيونى ، فإنه تحدث أيضاً عن

(١) الاتجاهات التعصبية ص ٢٤٠ ، ٢٤١ بتصرف

فلسطين ، باعتبارها « هذا الركن الموبوء البالى من الشرق » وقد عبر عن رغبته فى أن تكون الدولة الصهيونية بمثابة الحائط المنيع الذي يقف ضد « الهمجية الشرقية » التى يمثلها بطبيعة الحال العرب والفلسطينيون » (١)

ولذا فعلاقة اليهود بالأغيار (أو غير الساميين) لا تتسم بالمودة أو التعاون ، إذ أن الأغيار « ذئاب » وقتلة يتربصون دائماً باليهود ويحاولون الفتك بهم ، والعرب « الفلسطينيون والمصريون والسعوديون » هم كلهم من الأغيار . » (٢)

ومن يسلم بنقاء شعبه يسلم كذلك بدونية أو انحطاط الشعوب الأخرى التى يعتقد أنها تعاديه ، والواقع أن فكرة « النقاء العنصرى » لم تعد تصمد أمام الدراسات البيولوجية (العضوية) والسيكولوجية (النفسية) الحديثة ، فمن الصعب إن لم يكن من المستحيل الوقوف على شعب أو أمة واحدة لا توجد فروق بين أبنائها فى أى خاصية من الخصائص الجسمية أو النفسية بالشكل الذى يزعمه الفكر الصهيونى .

فاليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية اندمج فيها فى كل العصور أشخاص من أجناس متباينة ، وكان أولئك المتهودون يدخلون فيها من جميع الآفاق المسكونة بالبشر، من اليهود الأحباش « الفلاشة » إلى يهود الأشكناز « من الجنس الجرمانى » إلى التاميل « اليهود الأفارقة الزنوج » إلى اليهود الهنود الذين يسمون بنى إسرائيل ، واليهود الخزر الذين ينتمون إلى الجنس التركى ، فهل هناك من هذه الأنواع الإسرائيلية نوع يعتبر من ناحية التشريح والتحليل ممثلاً حقيقياً ونقياً للجنس اليهودى ؟ (٣) الإجابة أنه من المستحيل ذلك فى ظل الأدلة العلمية ، وهذا هو مضمون الاعتقاد الصهيونى الخاطئ الذى يمثل محوراً هاماً للتعصب

(١) العربى الفلسطينى فى الفكر الصهيونى ، كتاب العربى ١٩ (عبدالوهاب المسيرى) ص ١٤١ - ١٤٩ بتصرف

(٢) نفس المصدر السابق . بتصرف .

(٣) الشخصية الإسرائيلية ، د . حسن ظاظا ، ص ٣٥ ، ٣٦ بتصرف ط دار القلم.

العنصرى ، فرغم وجود أدلة موضوعية على خطأ الفكرة يتمسك بها صاحبها ، لدرجة أنه لا يستطيع أن يتقبل سواها» (١)

(جـ) الاعتقادات الخاطئة الخاصة بأنهم « شعب الله المختار » :

وهذه هى الشريعة التى يقوم على أساسها التعصب الدينى للصهيونية ، فهم يستندون إلى نصوص من التوراة تؤكد غرورهم ووهمهم فى هذا الجانب ، فظهرت فى تعبيراتهم اللغوية ألفاظ يطلقونها على أنفسهم لتؤكد هذا الغرور ، وتزيد من الالتحام والتضامن الذين يربطان بعضهم ببعض ، وجعلوا هذه الظاهرة مرتبطة باختيار إلهى لهم دون سائر الشعوب فى الأرض وبإرادة سماوية لا قِبَل للبشر بمقاومتها ، فمن هذه الألفاظ ادعاؤهم أنهم أبناء الله ، وحلفاء الله ، وأحباب الله .

ويفسرون هذا الاختيار الإلهى بأنه تفضيل للأقوى والأصلح ، ويردونه إلى ليلة المصارعة العجيبة التى أدى فيها جدهم يعقوب - إسرائيل - امتحان القوة والصبر على المكاره بنجاح باهر .

وبهم يعاقب الله الأمم الأخرى ، وهم يبقون وحدهم فى آخر الزمان ، متسلطين على رقاب العالم ، وهم باختصار الذين يلعبون دور البطولة على هذا المسرح الهائل ، مسرح التاريخ ، والأمم الأخرى ليست إلا أشخاصاً ثانوية خلقهم الله لتكملة مشاهد هذه المسرحية الطويلة وحوادثها ، على نحو تظل فيه البطولة لإسرائيل » (٢)

«كل من المعانى السابقة تمثل أفكارًا واعتقادات خاطئة ، وقوالب نمطية نسجها اليهود من وحى الخيال ، محاولين الاستناد إلى بعض معانى التوراة مما يمثل موضوع شك واختلاق لا يقبله العقل أو الدين ، والمثال على ذلك يصل إلي حد

(١) الاتجاهات التعصبية ص ٢٤١ - ٢٤٣ بتصرف

(٢) الشخصية الإسرائيلية ص ٣٦ ، ٣٧ بتصرف

أنهم فى تعبيراتهم الشعرية يروون « أن الرب قد اتخذ أمتهم عشيقة له ، بل إنه تزوجها زواجاً أبدياً ، حتى إنها إذا خانته ودنست شرف العلاقة القائمة بينها وبينه لم يطلقها كما يفعل أحقر مخلوق من البشر ، ولكنه يكتفى بأن يغضب ثم يرضى، وأن يعاقب ثم يصفح ، فهى الأم الحبيبة المعشوقة المدللة ، التى تعلم مقدماً أن الرب لن يجرؤ يوما ما على قتلها مهما أجرمت »[1] وتعالى الله عما يقولون علوًا كبيراً ، سبحانه وقد أخبر فى قرآنه الكريم - رداً على زعمهم - ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . . ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله...﴾[4]

(د) الاعتقادات الخاطئة بحتمية الصراع وفناء العالم أمام إسرائيل

بناء على مجموعة المشاعر القوية الموجودة لدى الصهيونيين ، والخاصة بإحساسهم بالاضطهاد من قبل كل العالم - والعالم العربى خاصة - فإنهم يعيشون فى ترقب وحذر يجعلان من الضرورى دخولهم فى صراع شامل مع أعداء السامية فى كل النواحى السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية، والعسكرية . . الخ وهو ما يحدث الآن بالفعل ، وهذا الصراع حتماً لابد من أن ينتهى بفناء من يقف أمام الصهيونية فى زعمهم ، بل يمكن أن يؤدى إلى فناء العالم لوساعدت الظروف على ذلك ، فإسرائيل هى التى ينبغى أن تستمر ، وما

(١) الاتجاهات التعصبية ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ بتصرف .

(٢) سورة المائدة : ١٨

(٣) سورة النساء : ١٢٣

(٤) سورة البقرة : ١١١ ، ١١٢

عداها لابد من أن ينتهى ، وهذه الاعتقادات مظهر هام لتعصبهم العنصرى ترتبط بغرورهم وشعورهم بالتميز والقوة أكثر من كل العالم بشكل يصل إلى حد الضلالات ، لأن الشعور بالتميز يرتبط إلى حد كبير بالشعور بالعظمة والتعالى والكبرياء » [١]

أقول : الحقيقة – وبلا تعصب – أن العكس من هذا سيحدث – إن شاء الله – وهو فناء اليهود على يد المسلمين وزوال دولة اليهود .وعودة الإسلام إلى قيادة البشرية ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾ [٢]

وقد قال تعالى : ﴿ وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ﴾ [٣] وفيها الإشارة إلى أن العذاب سيستمر فى اليهود ، والتدمير لهم إلى يوم القيامة ، كما نجد فى القرآن الكريم أن الكرة عليهم ، وأن العاقبة للمتقين ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيراً ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾[٤] والذى يقصر إفساد بنى إسرائيل على ما قبل الإسلام ، والنصر عليهم ، يعوزه البرهان، وينقصه الدليل ، ولا يصح الاقتصار عليه ، بل الدليل على ضده .

وسنوضح ذلك بعد ، إن شاء الله تعالى

---

(١) الاتجاهات التعصبية ص ٢٤٥
(٢) سورة الروم ٦
(٣) سورة الأعراف ١٦٧
(٤) سورة الإسراء ٤ – ٧

(٢) الجانب الإنفعالى :-

تتبلور المظاهر الإنفعالية للتعصب الصهيونى فى مجموعة من المشاعر السلبية التى يدور معظمها حول شعورهم المتفاقم بالاضطهاد والخوف من قبل كل الشعوب فى الأرض ، ومحور هذه المشاعر هو اعتقاداتهم الخاطئة الخاصة بتعاليمهم وتميزهم عن الشعوب والأمم الأخرى وما يرتبط بذلك من شعور بالعظمة ، ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالى : -

(أ) الشعور المبالغ فيه بالاضطهاد :-

إن مالقيته فكرة شعور اليهود بالاضطهاد من تدعيم وإبراز وإلحاح من جانب الفكر الصهيونى منذ نشأته إلى الآن يفوق ما لقيته أية فكرة أخرى ، فالمفكرون الصهيونيون على اختلاف آرائهم ، وعلى تباين مجالات اهتمامهم ، وعلى تنوع أساليبهم يجمعون إجماعاً يسترعى الإنتباه على أن اليهود مضطهدون ، وغالباً ما يؤدى الشعور بالاضطهاد إلى الحقد والعدوان ، والحقد اليهودى لا يشذ عن القاعدة .

فمما لا شك فيه أن اليهود ذاقوا مرارة الاضطهاد كثيراً وفى عصور متعددة من تاريخهم ولكن الذى يحوم حوله الشك هو كون هذا الاضطهاد بلا جريرة من قبل اليهود ، إذا لا تكاد توجد ظاهرة فى مجتمع من المجتمعات من دون علة أو سبب.(١)

أقول : هذا نادراً ما يكون الاضطهاد بلا ذنب أو جريرة ، ولكنه فى كثير من الأحيان له أسباب وأسباب ، فكيف لا يكون له جريرة ويكفى أن جماعة من الناس تجعل التميز العنصرى أساساً لفكرها منذ البداية ، مع احتقار الآخرين ، وحربهم ، وهدم قيمهم ، وإضاعة أخلاقهم ديناً وتقرباً إلى «يهوه» ؟ !! فهذا الفكر !! فكيف الواقع ؟ !

(١) الاتجاهات التعصبية ص ٢٤٥ - ٢٤٦ بتصرف ، والشخصية الإسرائيلية ص ٦٥ بتصرف .

« إن نبذ اليهود من المجتمع أو مناهضة اليهود لادعائهم أنهم الممثلون الوحيدون للجنس السامى فى أوربا ، على حسب الدعوى العنصرية التى أشاعوها عن أنفسهم . أما الخطأ والمغالطة فى استعمال هذا المفهوم فإنهما يأتيان غالباً من جانب اليهود ، فاليهودى يعيش ولديه الشعور بالاضطهاد بسبب عنصريته ، وتخيله أن كل ما يحل به من مشاكل فى علاقاته بالأمم الأخرى إنما يرجع إلى أنه يهودى ، وإلى أن الأشخاص الآخرين يكرهونه لهذا السبب ويحقدون عليه ، ويسعون دائماً لايذائه لأنهم يعادون السامية ، ومن أجل هذا كانت تلك الكلمة أكثر رواجاً لدى اليهود منها عند غيرهم.[1]

(ب) الشعور بالخوف :

كان موقف العداوة الذى اتخذه اليهود من جميع أمم العالم ، مع ضعفهم وقلة عددهم سبباً فى شعورهم الدائم بالخوف ، كانوا يخافون من العزلة التى فرضوها على أنفسهم كما كانوا يخافون من الإندماج ، يرون فيه تهديداً أيضاً بضياع كل تراثهم ، وهى نقطة مرضية فى شخصية الصهاينة أساسها الشعور بالبناء الهش المتهافت الذى لا يستطيع الثبات أمام الحضارات الشامخة التى تبنيها الأمم الأخرى. [2]

وعلى الرغم من كل ذلك - وعلى الرغم من وجود دلائل واقعية على ما تعرض له اليهود من اضطهاد فى فترات من تاريخهم - إلا أنه يمكن القول اليوم أن استمرار مشاعرهم بهذه الصورة يمثل شكلاً مرضياً فى شخصيتهم المتعصبة التى يبذلون جهداً كبيراً للمحافظة على هويتها وتدعيمها بشتى الطرق المختلفة . [3]

---

(١) الشخصية الإسرائيلية ص ٢٧٧ بتصرف .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٥٠ بتصرف .

(٣) الإتجاهات التعصبية ص ٢٤٧ .

(٣) الجانب السلوكي :

كان مـن الطبيـعى أن تؤدى جملة الخـصائص العـقلية والانفـعاليـة لتعـصب الشخصـية الصهيـونية العنصرى إلى كل أشكال العنف والعدوان التى يـعانى منها عالمنا العربى الحديث والمعاصر فى فلسطين ، سفك دماء الأطفال والنساء والشيوخ متـعة لا يضاهيـها متـعة أخرى ، لا اهـتمام بقـرارات الأمم المتحدة ، ولا انتـباه لصرخات البشـرية ، ولا إحساس بتأنيب الضمير ينتـاب هؤلاء الصهاينة الغادرين، كمـا لو كانوا قد خلقـوا بحق من أجل أعمال الـعنف والعدوان التى يقومـون بها ويشجعونهـا فى كل بقعة من بقاع الأرض ، ويرفعون شعارات زائفـة لرغبتهم فى السـلام يكمن وراءهـا ثور ثائر ، وبركـان هائج من العـنف والعـدوان ، يتـحين الفرصة الملائمة لممارسة هوايته المفضلة . » (١)

« فالتمـييز العنصرى والإرهاب والتـعرف والجنوح إلى العنف هدف من أهداف كل الصهيـونيين والواقع أن الظواهر السلوكية ليست جـديدة أو طارئة على الكيان الصهيونى، فـهى قيم متأصلة زرعتها العـقيدة الصهيونية مـنذ اغتصاب فلسطين ، ضد العرب ، وضد كل ما هو ليس يهودياً .

. إن الشبـاب الذين لم يتجـاوز أعمارهم ثمـانية عـشر عامـاً يتمثلون الـعنصرية والتطرف والعنف تماماً ، بعضهم يدعو إلى إلقاء العرب فى البحر ، وبعضهم يدعو إلى قتلهم ، وبعض ثالث يدعـو إلى طردهم جميعاً ، وآخـرون يقولون إنه يجب قتل الفدائيين حـتى بعد أسرهم ، وهكذا هم غاضبون لأن حكومـتهم لم تتخلص من العرب وخصـوصاً عرب فلسطين المحتلة ، فـهم شوكة فى الحلق ، ولأن حل مشكلتهم بسيط جداً وهو قتلهم أو طردهم جميعاً . » (٢)

---

(١) رحلة التوسع الصهيونى من مشروع وطنى يهودى إلى إقامة إمبراطورية إسرائيلية ، كتاب العربى ١٩ ص ١، ٣٢ بتصرف (عبد الرحمن أسعد) .

(٢) العنصرية الإسرائيليـة فى الفكر والممارسة (زكى نبيل) مجلة المنار العـدد ٤١ ص ٢٤ ، ٦٤ بتصرف ، آيار ١٩٨٨ م .

"وبروتوكلات حكماء صهيون (منذ سنين طويلة) خير دليل على ذلك فهى التى تتكلم : «إن موقفنا فى حربنا ضد العالم قد وضع أساسه أبطالنا الأقدمون ، وعمل على تنفيذه حكماؤنا منذ قرون ، فإذا سالمنا العالم أفسدنا كل أعمالهم » .

وطبيعة هذا الحكم استبدادية مطلقة ، « بغير الاستبداد المطلق لا يمكن أن تقوم حضارة » وإن ما يحقق سعادة الدولة هو أن تكون حكومتها فى قبضه رجل واحد مسئول .

« إننا نقرأ فى شريعة الأنبياء أننا مختارون لحكم الأرض ، وقد منحنا الله العبقرية لكى نكون قادرين على القيام بهذا العمل » (١)

أما الوسيلة إلى الغاية المرتجاة فهى القوة والعنف والرشوة والخديعة والخيانة «يجب أن يكون شعارنا دائماً كل وسائل العنف والخديعة والرشوة ، والعنف هو الأساس ، فلا تردد لحظة واحدة فى أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا فى تحقيق أغراضنا ، العنف الحقود هو العامل الرئيسى فى قوة الدولة ، يجب أن نتعلم كيف تصادر الأملاك بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة » (٢) أما مقياس الحق والقوة والحرية فهو : « إن حقنا يكمن فى القوة ،والحق كلمة مجردة فلا تدل على أكثر من إعطنى ما أريد لتمكننى من أن أبرهن لك بهذا أننى أقوى منك » .

« والحرية كالحق كلمة مجردة فحين تستحوز على السلطة يجب أن تمحق من معجم الإنسانية كلمة الحرية باعتبارها رمز القوة والوحشية » . أما المبدأ الذي يجب اعتماده فى السياسة فهو ما وضعه « ماكيافلى » « الغاية تبرر الوسيلة » أى توسل الشر للوصول إلى الخير . ومقياس الخير خدمة دولة إسرائيل بأى وسيلة ،

---

(١) خطر اليهودية الصهيونية على النصرانية والإسلام (منعم طانيوس) - نقلا عن الاتجاهات التعصبية ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨

(٢) راجع البروتوكولات ، لمحمد المزيد .

فالوسيلة لا تطعن فيها الشره إذا أدت خـدمة لإسـرائيل فلا أخلاق فى السياسة .. السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شىء والحاكم الملتزم أخلاقياً ليس بالسياسى البارع فلابد لطالب الحكم من المكر والرياء . . والشمائل الإنسانية العظيمة كالإخلاص والأمانة تصبح فى السياسة رذائل ، لا تلتفت إلى ما هو أخلاقى بقدر التفاتك إلى ما هو ضرورى ومفيد (١)

(١) الاتجاهات التعصبية ص ٢٤٩ .

ما هى الصهيونية ؟

لا يخلو تحديد مفهوم الصهيونية العالمية من اختلاف فى وجهات النظر ، بل تناقض وتعارض فى أحيان كثيرة ، وهذا نابع من التوجه الفكرى المختلف فى أسسه ومضمونه لدى متتبعى هذه الحركة [١] .

لذلك لا نجد مبرراً للخوض فى هذا الخلاف حتى يستقيم المقام هنا ، فهدفنا الأساسى هو تحديد بعض ملامح مفهوم هذه الحركة الصهيونية باختصار شديد حتى نتمكن من استنتاج الدلالات والمعانى العنصرية التى تكشف الحركة الصهيونية العالمية .

فمفهوم الصهيونية «حركة يهودية سياسية اشتق اسمها من صهيون وهو جبل فى جنوب القدس - جاء ذكره فى مواضع متعددة من التوراة - وتهدف هذه الحركة الصهيونية إلى إعادة مجد إسرائيل بإقامة دولة صهيونية فى فلسطين العربية»[٢] وهو تعريف مثله مثل العديد من التعريفات الأخرى لا يخلو من نقص ويمكن تعريفها - كذلك - باختصار بأنها " حركة سياسية عنصرية يهودية ذات أهداف عدوانية وهذا ما تؤكده الوقائع التاريخية التى تخص هذه الحركة وهى حركة يهودية لأنها تضم اليهود فقط على أساس الرأى القائل : كل صهيونى يهودى ، وليس كل يهودي صهيونيا » [٣]

لذلك وصفتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بأنها « شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى » فى قرارها رقم ٣٣٧٩ الصادر فى تاريخ ١٠ نوفمبر عام ١٩٧٥م [٤]

---

(١) الصهيونية العالمية : نشأتها وطبيعتها (أحمد رياض) ص ٧٣ ط الدار العلمية بيروت ١٩٨٣ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ بتصرف .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٢٥

(٤) الصهيونية غير اليهودية : جذورها فى التاريخ الغربى ترجمة أحمد عبدالعزيز عالم المعرفة ١٩٨٥ - العدد ٩٦ ص ٧ بتصرف .

وهذه الملامح الأساسية لمفهوم الصهيونية هي ما نستطيع استخلاصه من تتبعنا المختصر لنشأة الحركة الصهيونية وتطورها عبر سنوات طويلة كانت أهدافها العدوانية والاستعمارية محددة المعالم وواضحة من قبل مفكريها منذ مراحلها المبكرة ، واستمرت في النمو والتبلور خلال تاريخها اللاحق حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن من عدوان وقهر وظلم واستبداد وكبرياء وغرور ،ولا مبالاة بصرخات العالم للظلم الذي تمارسه ، والقهر الذى تفرضه على الأبرياء فى فلسطين والعرب فى كل مكان . (١)

والمتابع لتاريخ نشأة الحركة الصهيونية يجد أنها امتدت عبر ثلاث مراحل يمكن عرضها باختصار على النحو التالى : -

(١) مرحلة ما قبل مؤتمر بازل :

وتمثلت هذه المرحلة ببروز الرواد الأوائل الذين أسهموا إسهامات فعالة فى نشوء هذا الفكر وإنضاجه ، وتحويله إلى حركة عنصرية شغلت العالم بأساليبها العدوانية التى اتبعتها لتهيمن على مقدَّرات الشعوب وتوسع سلطانها على أكبر بقعة من الأرض لتثبت دعائم دولتها العنصرية على أسس أفصحت عنها معطيات هذه المرحلة والمراحل التى أعقبتها .

فقد ظهرت الحركة الصهيونية إلى الوجود فى منتصف القرن التاسع عشر على شكل مقالات ، وخطابات وكتب ألقاها وحررها زعماء ومفكرو الحركة الأوائل حتى تثبت دعائم هذا الفكر فى نهاية ذلك القرن . ومن أهم دعاة الحركة الصهيونية العنصرية فى هذه المرحلة من مراحل تطورها على سبيل المثال لا الحصر « الحاخام يهود المالى » و«موسى هس» و «موشيه لايب ليلنبلوم» و «ثيودور هرتزل» (٢) . مؤسس الصهيونية الحديثة .

---

(١) الإتجاهات التعصبية ، د/ معز سيد عبدالله ص ٢٣٤ - ٢٣٥

(٢) ولد فى بودابست فى ٢ / ٥ / ١٨٦٠ ومات في ٣ / ٧ / ١٩٠٤ م ، وحصل على شهادة الحقوق =

وقد نشأت خلال هذه المرحلة جمعيات وحركات ومنظمات يهودية بارزة كان هدفها الترويج والتمهيد للحركة الصهيونية ، وإقامة مشاريع الاستيطان فى فلسطين،

ومن أهم هذه الجمعيات على سبيل المثال :

أ - جمعية رعاية الاستيطان اليهودى فى فلسطين ، وتأسست عام ١٨٦٠ م

ب - حركة الإصلاح اليهودى ، وتأسست عام ١٨٤٠ م .

ج - منظمة أحباء صهيون ، وتأسست عام ١٨٨٢ م [١].

(٢) مرحلة المؤتمر التأسيسى للحركة الصهيونية :

إن مؤتمر "بازل" الشهير الذى عقد فى سويسرا عام ١٨٩٧ م لم يكن البداية الحقيقية للحركة الصهيونية ، وفكرها الأساسى وإنما كان إحدى الحلقات الرئيسية للمخطط المرسوم من قبل المفكرين الصهاينة - كما أشرنا فى البداية - وعلى رأسهم المؤسس الرسمى لتلك الحركة « ثيودور هرتزل » ورئيس مؤتمرها الأول ، والذى احتفظ بهذا المنصب حتى الموتمر السادس ، والمطلع على الأفكار الصهيونية للمفكرين الصهاينة الذين برزوا قبل إنعقاد المؤتمر الأول يجد أن الكثير منها يتطابق مع ما جاء به الموتمر الأول من مقررات . [٢] وهو ما يوضح وجود مخطط مرسوم للأفكار العنصرية الصهيونية يسير فى اتجاه النمو والتطور ويتضح من خلال نتائج ومقررات هذا المؤتمر التى تحددت على النحو التالى : -

---

= من جامعة فينا سنة ١٨٧٨ م ، ودكتوراه فى القانون سنة ١٨٨٤ م ، وعين عضوا فى الجمعية اللغوية الالمانية ، ويسميه اليهود " نبى الصهيونية الروحى " .

(١) الاتجاهات التعصبية ، د / معز سيد عبد الله ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٢) الصهيونية العالمية : نشأتها وطبيعتها ص ٤٥ بتصرف .

(أ) المقررات العلنية :

١ - تشكيل « لجنة العمل » ومهمتها تبنى المفاوضات وعقد الاتفاقات وكل المساعى الممكنة لفرض إقامة دولة يهودية .

٢ - تأليف « المصرف الاستعمارى اليهودي » برأسمال قدره مليون جنيه إنجليزى ، ويوضع تحت تصرف لجنة العمل ، وهناك مقررات سياسية أخرى تضمنت الوسائل الكفيلة بتجميع يهود العالم (الشتات) فى الوطن المزعوم ، وتنظيم العلاقة مع الشعب اليهودى .

(ب) المقررات السرية :

١ - استعمال كافة الوسائل "دول ، شخصيات" بهدف إقامة دولة صهيون على أرض فلسطين .

٢ - ربط الجمعيات اليهودية بكافة المنظمات الدولية والسياسية لاستغلالها فى الغرض ذاته .

٣ - التظاهر فى المجتمعات التى تحتقر اليهود بالشخصية المسيحية مع الإيمان السرى بأن المسيحية هى عدوة اليهودية .

٤ - تدعيم النظام السرى اليهودى فى كل بلد من العالم حتى يأتى يوم تسيطر فيه الدولة اليهودية على الدول الأخرى .

٥ - السعى الحثيث لإضعاف الدول السياسية القائمة بنقل أسرارها إلى أعدائها، وببذر بذور التفرقة والشقاق بين حكامها بواسطة الجمعيات السرية .

٦ - إن على اليهود اعتبار الجماعات الأخرى قطعانا من الماشية ، يجب أن يكونوا لعبا في أيدى حكام صهيون .

٧ - اللجوء إلى التملق والتهديد والمال فى سبيل إفساد الحكام والسيطرة عليهم.

٨ - يجب أن يكون ذهب الأرض فى أيدى اليهود حتى يمكن السيطرة على الصحافة والمسرح والمضاربة والعلم والشريعة لإثارة الرأى العام ، وإفساد الأخلاق، والتهييج للرذيلة ولملاقاة كل ميل إلى التهذيب المسيحى ، ولتشديد عبادة المال والشهوة .

هذه هى المقررات السرية والعلنية التى صدرت عن المؤتمر الأول ، والتى عملت الصهيونية جاهدة على تحقيقها ، وبالفعل طبقت الأكثرية منها ، وتعتبر المقررات السرية أشد خطراً على الإنسانية جمعاء لما فيها من مطامع وأحلام بغيضة .[١]

(٣) مرحلة ما بعد المؤتمر التأسيسى :

تميزت هذه المرحلة بنشاط مكثف لترسيخ الأسس النظرية للصهيونية العالمية وبالنشاط العلمى الدؤوب من قبل روادها وعلى رأسهم "تيودور هرتزل" وكذلك بروز جمعيات ومنظمات انبعث بعضها من المؤتمر الأول ، والأخرى تأسست لخدمة الأهداف التى تبناها المؤتمر ذاته دون أن يوصى بتأسيسها .

وكان لهذا النشاط أثره فى صدور اتفاقية «سايكس بيكو» عام ١٩١٦ م التى مزقت الوطن العربى شر تمزيق ، وكذلك الحصول على وعد «بلفور عام ١٩١٧م». [٢] وذلك بإقامة وطن قومى «للصهيونيين» فى فلسطين ، وبدأ توطين اليهود فى فلسطين حتى عام ١٩٤٨ م عندما أعلنت دولة إسرائيل فى وقت لم يكن عدد اليهود أثناءه يتجاوز ٦٢٩ ألف نسمة ، مقابل ١٫٣١٩٫٠٠٠ نسمة من العرب[٣] .

---

(١) الاتجاهات التعصبية ص ٢٣٦ ، ٢٣٧

(٢) الصهيونية العالمية : نشأتها وطبيعتها ، ص ٤٥ - ص ٥٤ بتصرف

(٣) الحرب فى أرض السلام (البدوى حسن) ص ٦٦ ط دار الوطن العربى ١٩٧٦ م

وقد فضلت الحركة الصهيونية إطلاق اسم إسرائيل على هذه الدولة مفضلة ذلك على الاسم الذى كان «هرتزل» قد اختاره وهو «دولة اليهود» والأسباب التى دعتهم إلى ذلك يبدو أنها كثيرة من أهمها :

(أ) إيجاد تناسق بين اسم الدولة والاسم العبرى لفلسطين ، وهو أرض إسرائيل .

(ب) إيثار الصفة العنصرية الكامنة فى اسم إسرائيل على الصفة الدينية في لفظة اليهود .

(ج) هدم الرغبة فى التذكير بالحدود القديمة لمملكة اليهود البائدة ، التي لم تكن تشمل إلا القسم الجنوبى من فلسطين ، من دون البحر ، بما يمثل قيدا تاريخياً للمطامع التوسعية الاستعمارية للصهاينة الذين يريدون أن يضعوا تحت قبضتهم أوسع رقعة ممكنة من الوطن العربى [١]

هذه هى أهم مراحل تطور ونمو الفكر الصهيونى على مدار أكثر من قرن من الزمان، قدمناها باختصار مع إبراز أهم خصائصها والنتائج التى أسفرت عن نمو هذا الفكر [٢]

والقارئ ربما يتساءل عن علاقة هذا التطور التاريخى والفكرى للحركة الصهيونية بالتعصب ؟ ! !

الواقع أن الإجابة عن هذا السؤال سوف تظهر بوضوح من خلال تحديد أهم مظاهر تعصب الصهيونية ضد العرب [٣] ، والتى تتبلور فى كل فكرة قدمها أحد الصهاينة ، وفي كل نتيجة وصل إليها أحد المؤتمرات الصهيونية ، وفى كل لقاء تم بين الصهاينة فى أى ركن من أركان العالم مترامى الأطراف .

---

(١) الشخصية الإسرائيلية (حسن ظاظا) ص ١٩ بتصرف .
(٢) الاتجاهات التعصبية ص ٢٣٨ .
(٣) راجع مظاهر تعصب الصهيونية " فى المبحث السابق " .

فالعـدوان والعنف والقهر أهداف أسـاسية يعيـشون من أجلها ويبـذلون أقصى الجهد لنشرها .

إن التعصب الصهـيونى العنصرى - كما تمارسه إسرائـيل الآن - بمثابة محصلة نهائية لتراكـم الأفكـار الصهيونية العنصـرية ، ونمو القيم غيـر الأخـلاقية بالشـكل الذى بيناه ، فكل هذه الملامح التاريخية توضح لنا أن التعصب كان المبدأ الأساسى الذى نشـأت فى إطاره هذه الدولة الصـهـيونـيـة، وأن العـدوان هـو مـرادها الأسمى.أ.هـ [1] .

***

(١) الاتجاهات التعصبية ص ٢٣٨ - ٢٣٩ بتصرف .

النفـوذ اليهـودى
والسيطرة على أجهزة الإعلام فى العالم

فإن اليـهود يعملون ليل نـهار لتحـقيق هدفهم المنشـود ، وهو احتواء شـعوب العالم والسيطرة عليها ، حتى يصبحوا بين أيديهم كقطعان من الماشية ، يفعلون بها ما يفعله أصحاب تلك القطعان من ذبح وتسخير ، وسوق بالسوط والعصا .

وعمل اليهود هذا ليس إرتجالياً ، ولا عشوائياً ، ولكنه يرتكز على بروتوكولات حكمـائهم ، لذلك يتـسم : بـالتخـطيط المحكم ، والجـهـد الدؤوب ، مع المكر اللئيم، والنفس الطويل . . . وتتـعدد صور هذا العمل ، ولكنهـا لا تحيد عن هدفـها ، بل تلتـقى فى النهاية عند ذلك الهـدف الشرير ، فـهم مثـلا : ملوك الرأسـمالية ، وكهان الشيوعـية، وهم صنـاع الكثيـر من المؤسسـات الإعلامـية والسياسية فى العالم.

وإن الحديث عن نفـوذ اليهود فى الأجـهزة الإعلامـية أمر يـبعث فى نفس كل مسلم غيور ألما وأسى عميقين ، ذلك لأن النفوذ اليهودى لعب - ومازال يلعب - دوراً خطيراً وخـبيثاً فى الكيـد للإسلام والمسلمين . ومحاولة القـضاء على الدين والأخلاق [1]

والذى يريد أن يعرف كيف خطـط اليهود للسيطرة علي وسائل الإعـلام العالمية يقرأ "البـروتوكولات" خاصة البـروتوكول العاشـر والثانى عشر ، وقـد اتخذوه وسيلة لتـجميل صـورة اليهودى فى أعين الناس بعـد أن كانت موضع احتـقارهم وكراهيتهم ، وقـد جعل من اليهودى البخيل والخبيث ، الماكـر ، الجشع ، سفاك

(١) النفوذ اليهودى في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية «المقدمة» فؤاد بن سيد عبدالرحمن الرفاعى «بدون ذكر الطبعة» .

الدماء ، الأنانى ، الجبان . . . إنسانا يمتاز بالذكاء ، والشجاعة ، والعبقرية ، والمثابرة ، والاختراع والعلم والطموح!!

ومما يدل على أهمية الإعلام عند اليهود قول « راشورون» - الحاخام اليهودى - فى خطاب ألقاه بمدينة « براغ » : « إذا كان الذهب هو قوتنا الأولى للسيطرة على العالم ، فإن الصحافة ينبغى أن تكون قوتنا الثانية » . ولذا فقد جاء فى البروتوكول الثانى عشر :

ـ سنمتطى صهوة الصحافة ونكبح جماحها .

ـ يجب أن لا يكون لأعدائنا وسائل صحفية يعبرون فيها عن آرائهم

ـ لن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر علينا . ستكون لنا صحف شتى ، تؤيد الطوائف المختلفة من أرستقراطية وجمهورية وثورية ، بل وفوضوية أيضاً.

ـ يجب أن نكون قادرين على إثارة عقل الشعب عندما نريد ، وتهدئته عندما نريد.

ـ يجب أن نشجع ذوى السوابق الخلقية على تولى المهام الصحفية الكبرى ، وخاصة فى الصحف المعارضة لنا ، فإذا تبين لنا ظهور أية علامات للعصيان من أى منهم ، سارعنا فوراً إلى الإعلان عن مخازيه الخلقية التى نتستر عليها ، وبذلك نقضى عليه ونجعله عبرة لغيره ! !

والواقع أنه لم تكد تمضى سنوات قليلة على صدور تلك القرارات ، حتى كان اليهود يسيطرون على الكثير من وسائل الإعلام فى أوربا وأمريكا ، بل فى العالم أجمع.

وطفقت تقلب الحقائق ، وتغير الأمور ، وتشن الحملات على كل ما ليس يهودياً ، وتكسب عطف الجماهير عليهم ، من خلال نشر الروايات المرعبة عن المذابح الجماعية ضدهم ، تنسج قصصاً رهيبة عن أفران الغاز التى زعموا أن هتلر

كان يحرقهم فيها ، وامتلأت صفحات الصحف بمئات الصور ليهود تحصدهم رشاشات «هتلر» أو ليهود يساقون إلى أفران الغاز .

وكانت وسائل الإعلام الصهيونية تركز على صور النساء والأطفال ، وتتعمد أن تبرز معالم الخوف والهلع بادية على وجوههم ، لاستدرار عطف الجماهير الأوربية والأمريكية عليهم بوجه خاص والعالم بوجه عام ، وينبغى أن نشير إلى أن الحملة الإعلامية اليهودية لتجميل الوجه اليهودى "البشع" كانت تواكبها فى نفس الوقت حملة إعلامية أخرى لتبشيع الوجه العربى ، وخاصة المسلم ، والهدف من وراء ذلك هو إقناع الرأى العام العالمى بأن العربى هو عدو تاريخى للحضارة النصرانية .

ومن ثم يسهل على اليهود ، بعد ذلك إقناع الرأى العام العالمى بالوقوف إلى جانب اليهود فى أى صراع لهم مع العرب ، ولقد نجح اليهود فى ذلك . (١)

هذا ولقد استطاع اليهود أولاً : - السيطرة على وكالات الأنباء العالمية ، بما لها من علاقة مع الصحافة كعلاقة البندقية والذخيرة ، فالبندقية لا تفيد إذا لم تتوفر لها -باستمرار - الذخيرة . وثانيا : - السيطرة الصهيونية على الصحافة العالمية ، تم ذلك بالسيطرة على الصحافة البريطانية فى البداية، ثم على الصحافة الأمريكية، ثم الفرنسية ، وأخيراً أحكم اليهود سيطرتهم على الصحافة فى العالم يوجهونها لصالحهم، ولتنفيذ مآربهم ومخططاتهم .

فبالإضافة إلى استخدامهم الخبيث لها كوسيلة لإشاعة التفسخ والانحلال ونشر الدعارة والفساد فى العالم ، وتوجيهها سياسيا إلى ما يحقق أغراضهم وأهدافهم، فإنهم نجحوا من خلالها - أيضاً - في كتم كل خبر يمت إلى الإسلام بصلة .

ففى حين تقيم هذه الصحف الكافرة الدنيا ولا تقعدها إذا ما تعرض يهودى للاعتقال، أو إذا ما قتلت ممثلة ماجنة فى «هوليود» أو إذا ما تدهورت سيارة مغنى

(١) النفوذ اليهودى فى الأجهزة الاعلامية والمؤسسات الدولية ، فؤاد سيد عبد الرحمن الرفاعى ص١ - ٩ بتصرف .

مخمور . . فإن هذه الصحافة تلوذ بـالصمت التام عندما يكون متعلقاً بالمسلمين، ولو كان الآلاف منهم يذبحـون ذبح الشياه ، وكأن الدم الإسـلامى أصبح أرخص الدماء ! ! وأوضح مثال على ذلك ما يتـعرض له المسلمون الفلسطينيون ليل نهار فى المخيـمـات بلبنان ، ولا نسـمع من الصحـافة الـعالميـة إلا همسـاً وفي داخل فلسطين، ترتكب عصـابات «بيجن» و «غوش ايمونيم» كل يوم عـشرات الجرائم ، فلا تجد هذه الجرائم فى الإعلام أى اهتمام [١]

وفى الفلبين يتعـرض المسلمون لحرب صليبيـة . . وفى «الهند» عاد الهندوس ليجددوا بكل شـراسة هجماتهم ضد المسلمين ، وفى «أوغندا» يتـعرض المسلمون لأشرس عملـيات الإبادة الجماعيـة ، وانتهاك أعراض المسلمـات ، وترك الأطفال والعـجائز أيامـاً بدون طعام فـيموتون جـوعاً وقـهراً ، وكـذلك فى : تايلاند ، وبورما، وفطانى ، واريتريا ، والحبشة ، وقبرص ، وكشمير، وتشاد ، وزنجبار ، ومدغشقر ، ونيجيريا ، والسنغال ، وغيرها . . [٢]

ينهمر الدم الإسلامى بدون حساب ، وتزهق الأرواح المسلمة بدون قيمة ، ولا تجد مآسى المسلمين هذه فسـحة «سنتيمترات » مربعة قليلة فى الصـحافة العالمية أو اليهودية[٣]

يقول اليهود فى البروتوكول الثـانى ، : "إن الصحافة التى فى أيدى الحكومة القائمـة هى القوة العظيـمة التى بهـا نحصل على توجـيه الناس . . . غـير أن الحكومات لم تعرف كيف تستغل هذه القوة بـالطرق الصحيحة فسقطت فى أيدينا، ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذا ، ونحن وراء الستار ، وبفضل الصحافة كدسنا الذهب ، ولو أن ذلك كلفنا أنهاراً من الدم ، فقد كلفنا التضـحية بكثير من جنسنا

---

(١) نفس المصدر السابق ص١١ - ٣٣ بتصرف .

(٢) سيأتى الحديث - إن شاء الله - مفصلاً عن الأقليات المسلمة ، فى الباب الثانى .

(٣) النفوذ اليهودى فى الأجهزة الإعلامية ص ٣٤ بتصرف .

ولكن كل تضحية من جانبنا تعادل آلافا من الأميين « غير اليهود» أمام الله . [(١)]

وثالثا : بالسيطرة على صناعة السينما والتلفاز - التليفزيون - والمسرح ، والثقافة والإعلان التجارى ، سيطرة شبه تامة ، بل تامة فى كثير من الأحيان والمناطق - بطريقة همجية عجيبة ،واستطاع اليهود أن يتحكموا فيها دون أن ينازعهم فى ذلك أحد ، ويطردون منها كل من لا ينتمى إليهم أو لا يصانعهم ، وجميع العاملين فيها هم ، إما من اليهود ، أو من صنائعهم .

واتخذ اليهود من هذه الصناعة المجرمة أعظم سلاح يملكونه لنشر دعايتهم المضللة الفاسدة . [(٢)] ولقد استغل السينمائيون اليهود فى أمريكا قضية اضطهاد النازية لليهود أبشع استغلال ، فأنتجوا عشرات الأفلام منها ، وفى ميدان أفلام المغامرات ، والأفلام العاطفية « أو الجنسية » والتاريخية والحربية ، فأنتجوا مئات الأفلام ، وندر أن يخلو فيلم من اسم يهودى أو أكثر ، ممثلا أو مخرجاً ، أو فنياً أو منتجاً ، أو هو من غير اليهود الذين ارتموا فى أحضان الصهيونية .

وكم من أفلام أنتجها اليهود من أقذر الأفلام إساءة للمسلمين العرب ، ومثالها، فيلم «الهدية» وفيلم « أمريكا» وغيرها ، ولا مجال لتفصيل الحديث عنها. [(٣)]

واليهود يعلمون أن أغلب رواد السينما من صغار السن أو من طبقة العمال والفقراء، لذا فإنهم يعمدون إلى إثارة غرائزهم ، وإفساد أخلاقهم بما يقدمون لهم من أفلام الجنس والجريمة والسرقات والقتل ، كما أنهم وراء أفلام الدعارة التى توزع فى قصور الأغنياء لهدم الأسر الأرستقراطية ونشر الانحلال بين جميع الناس فى العالم . ! !

وما قيل عن السينما يقال عن التلفاز بالاستيلاء على جميع شبكاته ، وبث

---

(١) البروتوكول الثانى من بروتوكولات حكماء صهيون (بتصرف) .

(٢) النفوذ اليهودى فى الأجهزة الإعلامية ص٣٦ - ٣٨ بتصرف .

(٣) انظر شيئا من التفصيل فى كتاب « النفوذ اليهودى » ص٤١ - ٤٣ .

إرساله ، ودخول التلفاز فى كل بيت «إلا قليلا » فزاد دوره عن دور السينما .

ولم يكتف اليهود بالسيطرة على دور الإعلام والصحف ، بل امتدت أذرع الأخطبوط الصهيونى إلى المسرح أيضاً ، وتحكمت فى توجيهها ، بل حاولت أن تمتلكها بكل الوسائل ، حتى وصل الحال إلى أن مسرحية : « تاجر البندقية» وهى لشكسبير تحمل معنى الإهانة لجشع اليهود - لم تجد مسرحاً واحداً فى طول البلاد وعرضها يقبل أن تعرض المسرحية على خشبته ! ! ولم يكتف اليهود باحتواء صناعة المسارح ومنع أية مسرحية معادية للصهيونية من أن ترى النور بل سخروا المسرح لبث الدعاية السافرة للصهيونية من جهة ، ولبث الدعاية المضادة للعرب المسلمين من جهة أخرى .

ومن المسرحيات التى تفوح منها روائح الخبث الصهيونى ، مسرحية «القشعريرة» التى بدئ بتقديمها فى عام ١٩٨١ فوق خشبة أشهر المسارح فى لندن.

وتدور أحداث المسرحية حول تاجر عربى ثرى اسمه «فى المسرحية» «محمد العربى» يبذر أمواله الطائلة فى شراء أفخر الخمور ، وأغلى الهدايا لفتاة إنجليزية بغية التمتع بجسدها ، وإشباع شهواته الحيوانية ، إلى أن أنفق ماله دون أن يظفر من الإنجليزية اللعوب بشىء ثم لا يلبث أن يجد نفسه على قارعة الطريق ولم يعد فى جيبه فلس واحد ! !

فلماذا اسم «محمد» بالذات يطلق على بطل المسرحية ؟ !

إن لم يكن قد اختير هذا الاسم بخبث شديد فى محاولة للتعريض بنبى الإسلام الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، كما أن إطلاق اسم «العربى» كاسم لعائلته ، يقصد منه أيضاً التعريض بالعرب . . ! !

وكما كان اليهود رواد تجارة الجنس الداعرة فى السينما ، كذلك كانوا على المسرح ، ومسرحية «هير» تشهد بذلك ، وهى مسرحية منحلة إباحية ، عرضت على خشبات مسارحهم فى لندن يظهر فيها الممثلون والممثلات عراة ، ويمارسون

الفاحشة فوق خشبة المسرح ، ولم يلبثوا أن انطلقوا بهذه المسرحية إلى عواصم البلاد الأخرى ، كباريس ، ونيويورك ، وهمبورج ، واستكهولم ! ﴿ ألا ساء ما يفعلون ﴾ .

كما امتدت أذرع الأخطبوط الصهيونى - مرة أخرى - لتسيطر على كبريات دور النشر والطباعة فى العالم ، وتتحكم فى حركة الثقافة العالمية ، وكذلك فى صناعة الإعلان التجارى ، وعن هذا الأخير ، حدث ولا حرج . كيف استغلته الصهيونية استغلالا بشعاً همجياً فى الإساءة للعرب المسلمين ، بطريقة تزكم الأنوف السليمة ، وهم يصورون العربى على أنه همجى ، أو أبله ، أو غارق فى شهواته . (١)

وهناك صور متفرقة من أساليب الهمجية الصهيونية ضد المسلمين : لم يكتف اليهود فى حرب الإسلام وأهله بوسائل الإعلام المختلفة ، وإنما استخدموا معامل الملابس ، ومطابع الورق أيضاً ، فقد تم فى العاصمة البلجيكية «بروكسل» طبع أول سورة «مريم » وأول سورة «البقرة » على ورق التغليف ليستعملها يهودى فى محلاته .

أما محلات اليهودى «ماركس سبنسر» فى « لندن » فقد أنتجت ملابس داخلية طبعت عليها عبارة «لا إله إلا الله » وتعمد مصممها أن يكون لفظ الجلالة ملاصقاً لموقع العورة . ! ! وفى لندن أيضاً نشرت مجلات الجنس الداعرة صوراً لفتيات عاريات من كل شئ في أوضاع مخزية ، تحيط بهن قطع تحمل آيات القرآن الكريم! !

ولقد أطلق اليهود فى «جلاسكو » ببريطانيا ، وغيرها من المدن الأوربية ، على مواخير الخنا والدعارة اسم «مكة » بقصد السخرية من الإسلام وأهله .

وفى مدينة «بازل» السويسرية ، بنى مأوى الخنازير فى حديقة حيوانات المدينة

(١) راجع بتوسع / النفوذ اليهودى فى الأجهزة الإعلامية ص٣٦ - ٦٥

على هيئة مسجد إسلامى ! !

وفى قبرص ، وضع يهودى اسم الجلالة « اللـه» على نعال الأحذية الرياضية - **﴿ألا ساء ما يفعلون﴾** .

وفى أوربا انتشر كاسيت لموسيقى الديسكو سجلت عليه سورة قرآنية كريمة .

وفي أمريكا طبعت صور ترمز إلى علماء المسلمين على ورق التواليت .

وفى فلسطين فى انـتفـاضـتـهـا الأخيـرة ، يمزق الجنود اليـهـود المصـاحف ، ويستخدمونها فى الحمامات وفى قضاء الحاجات ! ! إلى آخر هذه الأساليب القذرة ، فحسبنا الله ونعم الوكيل . (١)

﴿إن الذين كفروا ينفـقون أموالهم ليصدوا عن سـبيل الله فسينفـقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون﴾ (٢)

* * *

(١) النفوذ اليهودى ص٦٦ ، ٦٧ بتصرف .
(٢) سورة الأنفال : ٣٦ .

الضغط الصهيونى فى أوربا وأمريكا والكتلة الشرقية

لقد عاش اليهود أياما عصيبة فى تلك البلاد بما كانوا عليه من جشع وطمع وحرص على الحياة وحب للذات ، إلى غير ذلك ، فتأصلت كراهيتهم فى نفوس الشعوب من كثير من البلاد بسبب تزايد النقمة الشعبية ضد اليهود ، حتى لجأ العديد منهم آنذاك إلى إعلان تنصرهم للنجاة من الطرد عن البلاد ، وكان من هؤلاء عائلة «كرومويل » والتى انحدر منها بعد «أوليفر كرومويل » فى بريطانيا ، والذي قاد ثورة ضد الملك «شارل الأول» وخلعه عن العرش ، وأعلن الجمهورية فى بريطانيا ، وكان من أول القوانين التى أصدرها ، رفع الحظر على دخول اليهود إلى بريطانيا والسماح للعائلات اليهودية التى طردت سابقاً بالعودة .

ثم نجح اليهود فى استصدار تشريع من البرلمانات يمنحهم حقوقاً سياسية كاملة. وتمكنوا من إدخال النواب اليهود إلى البرلمانات بعد ذلك ، ثم تمكنوا من الوصول إلى منصب رئاسة الوزراء ، ثم بلغ النفوذ اليهودى مداه ، إذ استطاعوا أن يجعلوا أنفسهم هم الحاشية المقربة من الملك والرؤساء ، يحيطونه بعدد كبير منهم ، لتوليه أهم المناصب القيادية فى البلاد كقيادة الجيش والشرطة وأمثالهما .

ومن أبرز الشخصيات اليهودية التى لعبت دوراً حساساً فى تنفيذ مخططات الصهيونية فى بريطانيا «حاييم وايزمن» الذى أصبح أول رئيس للكيان الصهيونى في فلسطين . . فقد استطاع بحكم منصبه كمدير لمختبرات البحرية البريطانية فى الفترة ما بين ١٩١٦ - ١١٩١٩ م ، من تقديم مساعدات فعالة للإنجليز ، من خلال تسليمهم أسرار قنابل النابالم ، وأسرار بعض الأسلحة الكيماوية التى «زعموا أنه تمكن الحصول عليها بتجاربه الشخصية ، مستغلا إمكانيات المختبرات التى كان مسئولاً عن إدارتها ، وقد كافأته بريطانيا على هذه الخدمة - المزعومة - بإصدار «وعد بلفور» الذى استندت إليه الصهيونية فى تنفيذ مخططها لاغتصاب فلسطين . . ! !

وفى عام ١٩٥١ م أصر «تشرشل» على تعيين اليهودى «شارفيل» كوزير لشئون الطاقة الذرية ، وتشرشل هذا الذى يقول : «إن العربى كالكلب إذا ضربته سارع إلى لحس حذائك» ولليهود حاليًا ٤٦ نائباً من مجلس البرلمان البريطانى .

وأما عن المجال الاقتصادى فقد أصبح اليهود قوة كبيرة تسيطر على اقتصاديات البلاد وبنوكها وشركاتها التجارية والصناعية ، كما سيطروا على مناجم الذهب ، والألماس ، والنحاس، والنيكل ، واشتروا معظم أسهم شركات البترول فى إيران والعراق والكويت . . إلخ ! ! وإن كانت بعض هذه الدول قد استردت الكثير من أسهمها فى وقتنا المعاصر .

كما استطاع اليهود الوصول إلى ذلك فى فرنسا عن طريق بؤرة التهتك والفساد، وقد رسموا للفرنسيين طريق الهلاك والخراب فسلكوه وانغمسوا فى حياة الترف والفجور بحجة المدنية النابعة من باريس مدينة الموضة السنوية ، والأزياء ، وأدوات الزينة ، وأصناف الخمور ، وملاهى الدعارة .

وأما فى الولايات المتحدة الأمريكية فإنه لم يحدث فى تاريخ اليهود أن كان لهم مثل هذا النفوذ الضخم الذى لهم الآن فى أمريكا ، ذلك أن تأثيرهم أكبر بكثير من نسبتهم العددية التى لا تزيد عن ٣ ٪ من مجموع السكان . ! !

وبنظرة سريعة إلى وزراء حكومة أمريكا ، ومجلس شيوخها ، وطريقة اختيار رئيسها، وممارسة الضغوط على "الكونجرس الأمريكى" يدرك إلى أى مدى يتوغل اليهود فى أمريكا ويسيطرون على التحكم فى قراراتها ، وسياستها ، وكذلك اقتصادها ، كل ذلك لصالح اليهود عن طريق تعصب اليهود . (١)

وبهذا نستطيع أن نفسر لماذا تنهال المساعدات المادية والعسكرية والمعنوية على إسرائيل من أمريكا وغيرها ، ويبدو واضحاً جليا سبب إعلان أمريكا فى كل مناسبة أنها مسئولة عن أمن إسرائيل وسلامتها ، وبهذا تعبث إسرائيل فى بلاد

(١) النفوذ اليهودى ص٩٠ - ١١٣ بتصرف .

العرب المسلمين فســاداً وقتلاً ، مستندة إلى تخريب الطواغـيت لأجيال المسلمين ، والتنكيل برجال الإســلام من ناحية ، وإلى الدعم الأمريكى الموصــول من ناحية أخرى .

وأما فى الكتلـة الشيوعـية ، فمنذ الأيام الأولى للثـورة الشيـوعية ، اسـتولى اليهود على السلطة وانتقموا من الشـعب الروسى ، حيث قتلوا خمسة ملايين من الشيوخ والنساء والأطفال والرجــال وكذلك فى المجر ، وفى بولندا ، وفى رومانيا كان اليـهود يسـيطرون على الأمور ، ويمسكون بأزمـتها فى كـثيـر من المجالات والمناحى المختلفة للبلاد .

ولقد بلغ النفوذ اليهودى فى المؤسسات الدولية مداه - كذلك - فالجمعية العامة لهيـئة الأمم المتـحدة يسيطر عـليها اليـهود منذ إنشـائها ، ومجلـس الأمن أيضاً ، ومنظمة التغـذية والزراعة ومركز المعلومـات ، وشعبة الأقســام الداخلية ، وبنك الإعمار الدولى ، ومؤسسة اللاجئين الدولية ومؤسسة التجارة العالمية ، واليونسكو « منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة » وصندوق النقد الدولى ، ومنظمة الصحة العالمية . . الخ

وعلى الرغم من انكشاف أمـر اليهود وسيطرتهم على البــلاد ، مازال الممثلون لدول العــالم خلف الكـواليس ، يمثلون الأدوار التى تمليـهـا عليـهـا المؤســســات الصهيونية العالمية الممثلة بهيئة الأمم المتحدة ، والمنظمات التابعة لها . (١)

* * *

(١) النفوذ اليهودى ص ٩٠ - ١١٣ بتصرف .

الغاية تبرر الوسيلة عند اليهود

«لقد وضع اليهود لأنفسهم غاية وهى الوصول إلى حكم العالم لا يشاركهم فيه أحد، وبلوغ السيادة المطلقة لا ينازعهم عليها أحد ، وأما الوسيلة إلى الوصول إلى هذه الغاية ، وذلك الهدف ، لا يعنيهم ماذا تكون ، ولا يهمهم ماهيتها ولو كان ذلك هو القضاء على الدين ، والأخلاق ، أو كان انتشار الفساد ، واشتعال نار الحرب ، أو كان الهلاك والدمار ، والقتل والتخريب ، فاليهودى يريد أن يصل إلى القمة التى رسمها لنفسه ولو على أنقاض العالم وجماجم البشر ، المهم أن يتربع على هذه القمة من الجماجم البشرية !!

ولذلك بلغ اليهود مبلغا فى الهمجية والوقاحة باتخاذ أساليب يأباها الذوق ، ويرفضها العرف ، وينهى عنها الدين ، ويحاربها القانون ، وتتنافى مع الفطرة ، ولا يرتضيها انسان على نفسه ولا على غيره ، ولكن ارتضاها اليهود - بتعصبهم - وسلكوا كل سبيل فيها للوصول إلى ما يهدفون ، والغاية التى يرجون ،وأنى لهم، ثم أنى لهم!!

فهم بالإضافة - إلى ما ذُكر - من تحكم اليهود فى توجيه الإعلام العالمى ، وسيطرتهم على أزمَّة الأمور فى كثير من البلاد ، فإنهم يلجأون إلى استخدام وسائل أخرى لبسط نفوذهم على العالم ، والتعجيل فى استعباده ، ومن أهم هذه الوسائل: (الجنس) لجلب المال ، والحصول على أسرار ومعلومات ، ولوأد الأخلاق الفطرية في الإنسان ، وقتل النخوة عند الشباب ، وموت الغيرة عند الرجال ، وإن ممارسة الجنس - فسقا وفجوراً ودعارة بالزنا والخنا والمواخير والمعارض - ليست بدعة عند اليهود ، ولا جديدة عليهم ، لأنهم يقتدون بأنبيائهم الذين صورتهم التوراة المفتراة فاسقين فاجرين .. !!

وأريد أن أعرض صفحاً عن أساليب الجنس وصوره - تنزها - ولكن أريد أن

أقول : إن هذا الأمر أدى إلى انتشار الفساد فى العالم ، وازدياد نسبة الجرائم والسرقات ، وأعمال التهريب ، والإرهاب ، والمخدرات ، واغتصاب السيدات والفتيات ، وتفسخت الأخلاق بين فتنيات المدارس وفتيانها ، وتحللت الأسر ، وتفككت المجتمعات . . .

كل ذلك بشؤم خطط اليهود ودعواهم الفاجرة فى الحرية الشخصية ، والإباحية المطلقة !! وتيسير الزنا ، وتعسير الزواج ، فى العالم بأسره ، حتى العالم الإسلامى . وقد جاء ذلك تنفيذا لما ورد فى البروتوكول العاشر إذ يقول : «سوف ندمر الحياة الأسرية بين الأميين ، ونفسد أهميتها التربوية . . »

ومن صور هذا الجنس أن اليهود نشروا وباء «الشذوذ الجنسى » - عمل قوم لوط والسحاق فى دول العالم ، وجعلوه تجارة رائجة ، ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية ، يشرف على هذه العملية جمعيات يهودية تسعى لتخنيث شباب العالم ، عن طريق تشجيعهم على إطالة الشعور ، ولبس الأحذية ذات الكعوب العالية ، والتكسر فى المشى ، ووضع المساحيق ولبس البنطلونات الضيقة . . !!

واستخدموا عكس هذا مع الفتيات فشجعوهن على لبس البنطلون ، وقص شعورهن، والتشبه بالرجال ، والانسلاخ من الأنوثة . . ! ! لقد قال اليهود : «إن أمنيتنا هي تنظيم جماعة من الناس يكونون أحراراً جنسياً ، نريد أن نخلق الناس الذين لا يخجلون من أعضائهم التناسلية . . ! ! » ويستمر اليهود في تنفيذ خططهم الجنسية المدمرة .

وتمضى الشعوب فى تتبع خطاها بقيادة حكومات غبية ، أو جاهلة أو عميلة . . غير شاعرة بالهوة السحيقة التى يقادون إليها . (١)

ومن الأساليب ، نشر الجاسوسية والخيانة ، فاليهود يديرون معظم أندية الترفيه، والعرى والقمار فى العالم لتحقيق أهداف كثيرة منها :

---

(١) النفوذ اليهودى فى الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية ص١١٦ - ١٣٢ بتصرف .

- اصطياد أكبر عدد من المنحلين الذين يؤمون هذه الأندية واستخدامهم كجواسيس وعملاء .

- إفساد أكبر عدد ممكن من غير اليهود ، وإبعادهم عن ميادين النشاط السياسى والاجتماعى والاقتصادى وبعثرة طاقاتهم فى مجالات اللهو والانحلال .

- تحويل الناس إلى قطعان حيوانية مستعبدة للشهوات فتسهل السيطرة عليهم .

- دفع أولئك المنحلين إلى رئاسة الدول والوزارات ليكونوا عبيدا منفذين لأغراضهم .

- استغلال الفضائح الشخصية لهولاء المنحلين عن طريق التهديد والوعيد بغية تنفيذ مآربهم .

* والصهيونية تعمل على نشر الجاسوسية فى مختلف أنحاء العالم ، على أن خطر الجاسوسية يكمن فى الجواسيس اليهود الذين يحملون جنسيات أمريكية أو بريطانية ، أو روسية ، أو فرنسية أو عربية ، وغير ذلك ، ويفدون إلى بلاد العالم بشكل ممثلين دبلوماسيين أو مفوضين أو مستشارين فنيين وثقافيين ، وأمثال هؤلاء ينتشرون فى جميع السفارات والبعثات الأجنبية ، ويعملون على استكشاف أسرار البلاد وأحوالها ، وتسخير من يستطيعون من أبناء البلاد لخدمة أهداف الصهيونية، ونجح اليهود فى تنفيذ ما قرره البروتوكول الثالث الذى يقول : « سنلهيهم بأنواع شتى من التسلية : كالقمار، والملاهى ، وإثارة العواطف ، ونشر منازل الدعارة . . ونقوم بالإعلان فى الصحف داعين الناس إلى الدخول فى مباريات شتى من أنواع المشروعات ، كالفن والرياضة وما إليها . . هذه المسائل ستلهى الناس عن المسائل التى قد تثير النزاع بيننا وبينهم » (١) !!

« إن هؤلاء اليهود يدخلون البلاد بصفة دخلاء مساكين ، وما يلبثون أن يمسكوا

(١) النفوذ اليهودى ص١٣٣ - ١٤٧ بتصرف .

بزمام مقدراتها ثم يتعالون على أهلها ، ويحرمونهم من خيرات بلادهم . . إن هؤلاء اليهود هم أبالسة الجحيم ، وخفافيش النيل ، ومصاصو دماء الشعوب . . »[١] .

« إن إسرائيل هى طفل أمريكا المدلل ، وقد أصبحت عبئا عسكريا على أمريكا بعد أن أصبح اليهود يملكون الولايات المتحدة ، يملكون بنوكها ، يملكون صحفها . . »[٢] .

« فهؤلاء اليهود هم وراء تخبط السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، وسبب إهدار نصف ميزانية الولايات المتحدة لدفعها كمساعدات للكيان الصهيونى ، بدلا من صرفها على مشاريع تعود بالخير على الشعب الأمريكى »[٣] .

« إن كل من تسول له نفسه أن يناصب اليهود العداء ، أو يقول الحقيقة عنهم فلن يجد نفسه »[٤] .

« إن اليهود خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية ، فحيثما استقر اليهود ، نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب ، ويزعزعون الخلق التجارى الشريف ، إنهم لا يندمجون بالشعب ، لقد أقاموا حكومة داخل الحكومة ، وحينما يجدون معارضة من أحد فإنهم يعملون على خنق الأمة ماليا كما حدث للبرتغال وأسبانيا . .

إن عقليتهم تختلف عنا حتى ولو عاشوا بيننا عشرة أجيال ، كما أن النمر لا يستطيع تغيير لونه ، اليهود خطر على البلاد ، وإذا دخلوها فسوف يخربونها

(١) من خطبة ألقاها «بنيامين فرانكلين» فى الولايات المتحدة الأمريكية .
(٢) من بيان صحفى قاله «جورج براون» .
(٣) من حديث صحفى لـ « سبيرو اغنيون » نائب الرئيس الأسبق لأمريكا . وهذا نقلا عن كتاب « النفوذ اليهودى » ص١٣٨ - ١٤٩ بتصرف .
(٤) « النفوذ اليهودى » ص١٣٨ - ١٤٨ بتصرف .

ويفسدونها »[١] .

هذا وقد اتخذ اليهود أساليب أخرى ، منها : العمل على الفرقة وبث الخلاف، تنفيذا لمبدأ «فرق تسد» وهو من الوضوح بمكان ، أو أسلوب المواجهة الصريحة ، والصدام المسلح كما حدث ، أو بالحركات السرية ، والجمعيات الخفية تحت أسماء مختلفة ، على رأسها «الماسونية» كما سنوضحه - إن شاء الله .

***

(١) من خطبة للرئيس الأمريكي « فرانكلين » بتصرف ، نقلا عن كتاب « النفوذ اليهودى » ص١٣٨ إلى ص ١٤٩ بتصرف .

المبحث الثانى :

الجمعيات السرية اليهودية

يعتمد اليهود اعتمادا كبيرا فى بلوغ غاياتهم ونشر مفاسدهم على الجمعيات السرية ، والحركات الهدامة ،وهم ينشئون هذه الجمعيات بأنفسهم أو يوعزون بإنشاءها إلى عملائهم ، أو يجدونها قائمة فيندسون فيها ليصلوا إلى مآربهم ، ولينفثوا فيها سمومهم وليوجهوا أتباعهم الوجهة التى يريدونها ، ولا تكاد توجد فى العالم جمعية ذات أسرار وأخطار إلا واليهود خلفها ، وكانوا خلف القرامطة، وخلف الجمعيات الهدامة التى أوقعت بالمسلمين أبلغ الأضرار . وكانوا خلف عشرات الجمعيات التى نشأت منذ قرون فى أوربا لهدم المسيحية ، كجمعية « فرسان المعبد » وجمعية « القداس الأسود » وجمعية الصليب الوردى وجمعية البناء الحر التى تسمى الماسونية . . وغير ذلك من الجمعيات السرية أو العالمية التى أنشئت لخدمة اليهود وإلحاق الأضرار بغيرهم [١].

إن الدور الذى قام به اليهود فى بث روح الثورة وإنشاء الجمعيات السرية ، وإثارة الحركات الهدامة عظيم جدا ، وإن كان من الصعب أن نعينه بالتحقيق، فمنذ أقدم العصور نرى أن أثر التعاليم اليهودية الفلسفية السرية ظاهر فى معظم الحركات الثورية والسرية . والمصدر الذى تجتمع فيه التقاليد اليهودية السرية . إنما هو فلسفة « الكابالا » وهى كلمة عبرية معناها «ما يتلقى » أعنى التقاليد .

والكابالا هى مزيج من الفلسفة والتعاليم الروحية والشعوذة والسحر ، متعارف عند اليهود من أقدم العصور ، والواقع أن الدور الذى لعبه اليهود . عن طريق الجمعيات السرية . فى الثورات الحديثة ظاهر لا سبيل إلى إنكاره ، وبالبحث والاستعراض نرى أنه دور مزدوج فهو يستند إلى المال والخفاء معا ذلك أن اليهود منذ العصور الوسطى امتلكوا ناصية الشئون المالية فى معظم الجمعيات الأوربية ،

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٦٠٦ ، ٦٠٧ بتصرف.

وسلطوا عليها فى نفس الوقت سيلا من ضروب السحر والخفاء .... (١)

وإذا عرفنا أن هذه الجمعيات والحركات الهدامة ترمى إلى سحق نظم المجتمع الحاضر من دينية وسياسية وأخلاقية ذكرنا فى نفس الوقت أن هذه هى الغاية الأساسية التى تعمل لها اليهودية العالمية منذ عصور . . (٢)

هذا وإن الجمعيات السرية اليهودية . تتطور بتطور العصر وتتزايد بتزايد الأيام ومن الجمعيات السرية، زيادة على ما ذكر ،أندية الروتارى، والأنرهويل، والروتراكت، والليونز، ، إلخ وذلك فضلا عن اختلاط الأنساب والسلالات المحرمة بين الصهيونية والصليبية التبشيرية ، والشيوعية ، . والرأسمالية ، العلمانية، واليهودية والبهائية ، والقاديانية ، والإبراهيمية ، ودعاه السلام العالمى وتوحيد الأديان واللغات وغيرهم .(٣)

وإذا افتضح أي أسلوب لتلك الجمعيات السرية بحثوا عن ثوب جديد يسترون به سوءاتهم وحقدهم وخبثهم ومكرهم للأديان ، يدعون كسر الحواجز العقدية كلها بين البشر ، فاخترعت أندية « شهوة يهوه » و « بناى بريث » و «مدارس الإليانس» و « مدارس سان جورج » و« التسلح الخلقي » و« الاتحاد والترقي » و «اليوجا » و « المتفائلات » و « محفل الفاهمين » و « السورو بتسمت » وغير ذلك مما تعرفه حكومات الشرق والغرب » (٤) .

« وإن حديث هذه الجمعيات عن الخدمات التي تقدمها للبشرية والسلام بين الشعوب ، ونبذ العنصريات والعصبيات لجنس أو لون أو دين ، وأن الميادين التى تدعو إليها هى « الإخاء – الحرية – المساواة » (٥) ، والذي يجب أن نعرفه أن وجود ناد واحد من هذه الأندية في بلادنا يحدد بوضوح وجلاء ملامح علاقة

---

(١) الجمعيات السرية والحركات الهدامة للأستاذ محمد عبد الله عنان ص ١١٥ .

(٢) الجمعيات السرية والحركات الهدامة ص ١١٥ بتصرف .

(٣) الروتارى في قفص الاتهام ، أبو إسلام أحمد عبد الله ص ١٦ بتصرف ط دار الاعتصام (الأولى) .

(٤) الروتارى في قفص الاتهام ، أبو أسلام أحمد عبد الله ص ١٥٨ بتصرف .

(٥) نفس المصدر السابق ص ٢٠٦ بتصرف .

أعضاء هذه الأنـدية بالنشاط الدولي والخفى للصهـيونية العالميـة ، وإن خفى ذلك على « عميانيا » فلن يخفى على ذوى الأنوف السليمة » [١] .

« لقد لعب العـمل السرى المنظم دوراً كـبيراً ، بل وهاماً فى تاريخ البـشرية ، ولقد أثر العمل السرى أعظم الأثر فـى توجيه تطورات كثيرة في حياة المجـتمعات فى السلم والحرب على حد سواء ، بل كان من أقـوى الوسائل إلى الإعداد لقيادة التغيير بهـدف الإصلاح والعمران والتطور ، أو بقصد الاستغـلال والهدم والتدمير في حياة المجتـمعات الآمنة والمستقرة ، وذلك بالعمل على هز أركـانها ، وزعزعة مقـومات الأمن وعـوامل الثقـة بين أبنائهـا بتفكيك روابطهـا والعمل على مـسخ الغايات المثلى لأبنائها .

ومن عجب أن تاريخ الجـمعيات السرية يفـيض بسحر خاص ، وجـاذبية قوية تشد فريقًا من الناس للعمل السرى ، ولقد بلغ سحر التعلق بالانخراط فى عضوية العمل السرى أن الذين تهفو نفوسهم له ، وتتأثر أهواؤهم به كانت تدفعهم الرغبة إلى القيام بالعمل السرى إلى نوع من المجازفة والمخاطرة، وتنفيذ غرائب الأعمال، بل القيام بـأعظم التضحيات الشـخصية وذلك فى ظل طاعـة عمياء ، واسـتسلام مطلق لمصادر وقيادات التوعية لمهام العمل السرى على ضوء مخططه العام .

وتاريخ الجمعـيات والمنظمات السرية يقول لنا : إنه كلمـا كان العمل المنوط به العضـو محـاطًا بأسلوب من السرية ، وجـو من الكتمـان ، وكلما كـانت المهام المكلف بها العضــو ستمثل لغزًا شخـصيًا له نتيجة إعداده التنظيـمى ؛ كان ارتباط العضو بالعمل قويًا وشديدًا .

والجمعيات أو التنظيمات الماسـونية كمذهب «سرى» يقوم على أساس من تراث دينى وسياسى متوارث عند اليهود ،لتعبـر هذه الجمعيات والتنظيمات عما يؤمن به أولئك الغـلاة من المتطرفين الذين يرون فى أنفـسـهم : أنه عن طريق اصطفـائهم وانتقاء عنصـرهم هم الصفوة المنتقـاة من البشر الذين من حقـهم أن يصنعوا بالمثل

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٢٣ .

العليا للإنسان والقيم والمعتقدات ، ما يرونه كفيلا بتهيئة الأرض السياسية والدينية التى يقوم عليها سلطان الجنس اليهودي المدعى ، وسيادة الشعب المختار !!

حتى ولو كان الأسلوب أو التنظيم الذى تراة القوى اليهودية جيلاً بعد جيل مسخا وتشويها لكل قيم الوجود الإنسانى ،وذلك بهدم الأديان ورفض القيم والأخلاق وإنكار الرسالات والتجرد من كل عرف أو مألوف إلا ما يساعد على نشر سيادة عقيدة الجنس اليهودى ، والتمكين لأطماعه فى الأرض والبشر ،وذلك بفرض أساليب الغزو الفكرى والوجدانى للبشر قبل فرض السيادة المدعاة .

والجمعيات الماسونية : أو التنظيم الماسونى ، هو من أدق وأعقد الأساليب الخفية والمستترة فى استقطاب، حركة المجتمعات وتوجيهها ، إلى حيث تريد لها القوى اليهوذية فى مخططها العالمى الذى يتمثل فى الحركة العنصرية التى تقيم دعواها على أساس من معتاند مصطنع ،وتاريخ مزيف فى السيطرة على العالم وعلى مقدراته ،وانطلاقًا متعاقبا ومتواليا عبر مراحل التاريخ من أرض الدين والتاريخ المدعى بنى اسرائيل من فلسطين كبداية للسيطرة على العالم ومقدراته. (١)

* * *

(١) الماسونية ذلك العالم المجهول « دراسة فى الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية» ،تأليف صابر طعيمة ، ص ٧ - ٩ بتصرف ، ط دار الجيل ، الثانية سنة ١٩٧٩م .

« الماسونية »

التعريف بالماسونية :

« الماسونيـة حركة تنظيـمية خفـية قام بهـا على الأرجح . حاخامـات التلمود وخـاصة فى مـراحل الضـياع السـيـاسى الذى تعرض له يهـود التـوراة ، فأخـذ الحاخـامات على عـاتقهم إقـامة تنظيـم يهودى يهـدف إلى إقامة مملكة صهـيون العالمية». [١]

ومن هذا التعـريف فإنه تصبح البداية الـعملية لتحـقيق موضوع الماسـونية عند مؤسسيها أن تكون الماسونية : حركة ذات هدف يهودى بحت وذات طابع عالمى ، تلبس من أجل تحـقيق أهدافـهـا كل صور وأدوات العـصر الذى تمر به وطقـوس وشعائر المجتمع الذى تكن فيه لإمكانية تحقيق هدفها الماسونى فى خاتمة المطاف [٢]

« والدلالة اللغوية للفـظ « الماسون » أنه مشتق من لفـظة فرماسون المركـبة من لفظتين فـرنسيـتين ، ومن «فـرانك» التى تعنى فى اللغـة الفرنسـية «الصـادق» ، و«ماسون» التى تعنى «البانى» وتصبح الدلالة اللغوية للفظ الماسون البانى الصادق، والجماعة الماسونية أى «البناة الصادقون» ، أو «البناؤون الأحرار» [٣]

وناهيك بـهـذا الاسم شـاهدا عـلى كـذب الملقـبـين به ، إذ ليـسـوا بـبنائين ولابصادقين، أما كـ نهم ليسوا ببناة فالأمر واضح ، مـا لم يقل الماسون أن الخراب والبناء متلازمان !! وهم يشتغلون بخراب بناء العمران ، وأما عدم صدقهم فيتضح من تضاربهم فى أقوالهم، وتبـاينهم فى مزاعمهم ، فينكر هذا علانيـة ، ما يعلمه ذلك سرا ، ويجاهر الواحد فى بلد بما يكتمه أخوه فى بلد آخر . يقول الأب لويس شيخو اليسوعى : « من غـريب الأمور أن الماسون مع رضاهم بهذا الاسم الكاذب

(١) الماسونية ذلك العالم المجهول ص ١٥ بتصرف .

(٢) أوقفوا هذا السرطان ، د/ سيف الدين البستانى ، نقلا عن الماسونية ذلك العالم المجهول ص ١٥

(٣) الماسونية ذلك العالم المجهول ص ٢٠ بتصرف .

لا يحبون أن يجاهروا به ، وإذا كانت الشيعة الماسونية كاذبة فى تعريف أصلها وكانت أقوالها متضاربة فى بيان تاريخها . ترى ما هو تاريخها الصحيح ، وهل يعرف منشئها ؟ (١)

الجذور التاريخية للتنظيم الماسونى :

« ليس من اليسير أن يعثر الباحث على جملة منطلقات تاريخيه فى مرحلة محددة من عمر عمل واضعى الأسس العقائدية الماسونية ، بحيث تعتبر هذه المرحلة هى الجذر التاريخى الذى نشأت فيه الماسونية وبالتالى لأنها جمعية ذات فروع ومجالات وميادين متعددة ومتشعبة فى مختلف بلدان العالم القديم والحديث، فإنه ليس من السهل أيضا تحديد طبيعة الظروف والمؤتمرات الاجتماعية والاقتصادية التى يمكن أن تكون التنظيمات الماسونية عملا إنسانيا يتوجه بها إلى الجماعة الإنسانية على ضوء العرض الادعائى القائل بأن الماسونية تنظيم إنسانى كان فى خدمة الجماعة الإنسانية بأسلوب التستر والخفاء شأنه فى ذلك أنه تطور بالأعمال الإنسانية السرية التى كانت فى المجتمع الإنسانى القديم فى مراحل تناقضاته وصراعاته !!

وعلى هذا فإنه ليس لدى الباحث ما يعاون على الوقوف الموضوعى فى هذه القضية حين يتناول الجذور التاريخية للحركة الماسونية سوى ما يمكن ترجيحة بالدراسة المقارنة بين مختلف المصادر التى تحدثت عن الماسونية مابين مؤمنة بها ، مدافعة عنها ،وما بين متنكرة لها محاربة لكل ما تمثله . (٢)

« والذى يمكن ترجيحه كما ذكره صاحب كتاب « القوة الخفية » أن الجمعية الماسونية تأسست باسم « القوة الخفية » فى السنة الثالثة والأربعين بعد يسوع ، وأن مؤسيسها هم من اليهود ».

وقد سموها بذلك ، لأن القوة ولدت فيها . على زعمهم ، منذ إنشائها وتبقى

(١) نفس المصدر السابق ص ٢١ ، ٢٢ بتصرف .
(٢) الماسونية ذلك العالم المجهول ص ٢٣ بتصرف .

مخفية فيه بحيث تنمو رويدا رويدا إلى حين نفوذها ولم يكن يقصد فى ذلك الزمان، إلا نفوذ أمرين :

الأول : عرقلة مساعى رجال يسوع ،وملاشاة كل ما كانوا يعلمونه ، **والثانى**: المحافظة على النفوذ السياسى ، غير أن تلك القوة لم تكن تنمو كثيرا فى هذا الاسم المخيف ، فكانت تزدهر أوقاتا بتكتم سحرى، وتختفى ، وهى الخفية، متأخرة أوقاتا أخرى ، وذلك بالنظر لما كان يخفى من أعضائها قتلا خفيا دون أن يعرف أحد الشخص الخفى ولا كيف أخفى ولا أهله أيضا يعرفون ذلك ، ولا كونه عضوا فى الجمعية ،ومن كان يعرف به ؟ هم وحدهم ، ومن كان يجرؤ أن يفشى السر ؟ لا أحد ، من أفشى يهلك مثل من هلك ،وذلك كله لصرامة قانونها القديم وشدة الاحتفاظ بالتكتم الشديد، فعند أقل مخالفة أو ثبوت إحدى الشبهات على الأعضاء ، كان يحكم على مرتكبها بالموت ، بموجب حكم محكمتها التى كانت مؤلفة من ثلاثة قضاة فقط يلفظون الحكم بحق المتهم بالاتفاق فيما بينهم أو بالأرجحية دون حضور ذلك المسكين ولا استجوابه عن شيء ، بل لمجرد فحص سرى ، واستنادا على اتفاق الثلاثة قضاة ، أو اثنين منهم، كان يلفظ الحكم بحقه، دون أن يعرف هو بالحكم، ولم يكن يعرف ذلك الإعلام الهائل المرعب ، إلا حال دقيقة قتله .

فتلك البربرية بكل فعلها ، من عظم التكتم ،وشدة صرامة قانونها ، والعقوبات الفظيعة المذكورة ، كل ذلك كان القصد الوحيد الأساسى منه فى الأزمنة الأولى ، مناهضة يسوع ومناوأة تعاليمه وسياسته ثم إن هناك غاية قصوى، ومرمى بعيد ، ألا وهى تقوية العنصر اليهودى وإرجاع العالم إلى اليهودية ، كما فهم من النصوص التى وردت فى بعض فصول الكتاب وفيها اتهام « يسوع » بالدجال ، ثم ذكر « محمد » ﷺ بالدجال ، مؤسس وناشر الدين الإسلامى ، الذى ادعى النبوة كالدجال يسوع ، وقد حصل عند الخفيين من شديد الاستياء عند ظهور « محمد » وعظم البغض لرجاله وتابعيه ، ما هو أشد من استيائهم من

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٤٣ ، ٤٤ بتصرف .

رجال يسوع . (١)

وقال أيضا : بينما كان الملك « أكريبا » المؤسس وخلفاؤه يسعون لسحق العقائد الدينية ، وجعل العالم كله يهوديا ، ظهر الداهيتان « يسوع ومحمد » فوقعا على اليهود ، وبالأخص على التسعة محتكرى السر كالصاعقة (١)

إذ تبين من جميع نصوص هذا التاريخ ، أن مبادىء الجمعية الأساسية هى مناوأة يسوع ورجاله ومحمد ورجاله ، والاحتفاظ بالدين اليهودى وحده دون سواه. (٢)

قال « لوران » :فتلك النصوص جميعها متفقة على أن القصد الأساسى من إنشاء الماسونية الأم « القديمة » هو قتل المسيحية ، وهدم أركانها ، وإعلاء شأن الدين اليهودي.

وأما كيف تطورت مبادؤها ؟ يقول « صموئيل » : لما تأكد جديا « جوزف لافى» أن تلك البربرية كانت حاجزا فى سبيل الوصول إلى الغاية البعيدة المقصودة، وفى سبيل تقدم الجمعية ، ارتأى أنه لا يدرك الغرض إلا بتغيير اسم الجمعية . وبعدها اقترح الاسم «فرانما سونيرى » أو «الجمعية الماسونية ».

وذلك فى ٢٤ حزيران سنة ١٧١٧ م . ومنذ ذلك التاريخ تطورت الجمعية تطورات متنوعة وتغير محورها القديم من حيث البربرية ، ومن حيث أمور كثيرة ما عدا التكتم الذى بقى الاحتفاظ به بأشد الصرامة حتى ضرب به المثل فيقال فى كل أمر شديد الخفاء «سر ماسونى » فأخذت تنمو وتتقدم قليلا إلى أن بلغت شأوا عظيما ، إلى حيث يمكن القول أنها قلبت شكل العالم أى انقلاب ، (٣) تقول أم صموئيل ، هذا : يا بنى إن الماسونية هى يهودية بحتة وهى التى زعزعت أركان الكون ، وهى التى دكت عروش الملوك والسلاطين ،وهى التى حطمت التيجان

---

(١) القوة الخفية ، نقلا عن الماسونية ذلك العالم المجهول ص ٤٥ .

(٢) القوة الخفية ، نقلا عن الماسونية ذلك العالم المجهول ص ٤٥

(٣) الماسونية ذلك العالم المجهول ص ٤٥ ، ٤٦ ،بتصرف .

وهى التى أذلت وحـقرت الأديان ، وهى التى بدهائهـا اليهـودى أسالت أنـهر دم الأبرياء . وأن كل عمل مخل بالأديان إنما مصدره منها ، لأنها بمبالغتها فى تفسير الكلمات الثلاث ، حـرية ، مساواة ، إخاء ، قد أفلتـت الأعنة إلى البشر وهى التى بثت روح التمرد فى رؤوس النساء غير الفاضلات .

ثم نقول : إنـنا لا نرى فى سائر البـلاد التى انتشرت فـيهـا الماسونيـة ،سوى مشاهدا وأعمالا قد لاشت الدين والشرف وقضت على الأدب والذوق ، تلك هى بلية عـظيمة تهـدد المجتـمع الإنسانى وكل ذلك يخـالف على الأخص الديانتين المسيحية والإسلام [١]

* * *

(١) الماسونية ذلك العالم المجهول ص ٤٨ ، ٤٩ بتصرف .

تعصب اليهود ضد النصارى

« إن الناظر فى بداية تكوين جمعية « القوة الخفية » يدرك أنها ما قامت أساسا إلا من أجل محاربة المسيح وتعاليمه وأتباعه ، وهكذا اتخذ الملك « هيردوس اكريبا » من هذه الجمعية قاعدة منظمة أبلغ تنظيم ، متحمسة غاية التحمس ، للقضاء على أتباع يسوع الدجال كما كان يسميه زعما أولئك المضلّون ، فى نظره، وإحباط مساعيهم الفاسدة وإبادتهم إذا أمكن ذلك .

وبدأت الجمعية ممارستها الفعلية لتلك البشاعات التى إذا عظمت فى فرد أو جماعة استحق عليها أفضل الرتب ، وأعظم التكريم ، وبتأسيس الجمعية تم إنشاء فروع لها فى سائر الجهات ، تختلف فى الاسم والراية ،وتتفق فى الأسلوب والهدف ، يتم انتقاء عناصرها من خاصة الشعوب ، وسر نجاحها فى سريتها وكتمانها ، وقوة إرادة أبنائها ، وعزم أعضائها وإخلاصهم واجتهادهم لها .

وتم تأسيس أول محفل باسم « محفل أورشليم » الذى أقيم فى دهليز ، سمى «هيكل سليمان » ولم تأل الجمعية جهدا فى تكبير حجمها ، وتكثير عددها والقضاء على أعدائها وتقتيل أتباع المسيح ، هذا وقد اتخذت لها طقوسا ورموزا والتزامات مع تعيين الوظائف وطريقة العضوية . . إلخ .

ثم مات الملك « هيردوس أكريبا » مؤسس الجمعية ، وخلفه « حيرام أبيود » الذى كان أشد عداءً لأتباع المسيح من سابقه ، وبعد موت ،« حيرام » خلفه «طوبلقاين أيود» وهكذا كلما مات واحد خلفه آخر ، والجمعية تمضى ثابتة وأحيانا سريعة . فى عدائها للمسيح والمسيحيين واضطهادهم لهم بفضل تعاليم تلك الجمعية اليهودية . وكذلك مما لا ينسى تعاليم التلمود . الحقود ، بشأن المسيح وأتباعه . (١)

(١) راجع بتوسع الماسونية ذلك العالم المجهول ص ٥٠ إلى ص ١١٧ .

الهدف الثانى للجمعية الماسونية

« لئن كان الهدف الأول : أو القديم للجمعية ، « القوة الخفية » هو القضاء على المسيح واتباعه وتعاليمه ، فإن الهدف الثانى والأهم هو القضاء على كل دين سوى الدين اليهودى كما صرح بذلك « حيرام » مرارا أنه مهما تعددت الأديان فينبغى أن نحاربها ونلاشيها بقوة اتحادنا ودوام مجاهداتنا ومثابرتنا على التجرد الذاتى

فماذا حدث بعد ظهور « محمد » ﷺ ناشر الدين الإسلامي . ؟

قال لاقى موسى لاقى : فى أواخر الجيل السادس للدجال يسوع الذى أضنكنا (جعل حياتنا ضنكا) بتدجيلاته ، ظهر دجال آخر ادعى التنبؤ بالوحى [1] وأخذ ينادى بالهداية مرشدا العرب الذين كانوا عبدة الأصنام إلى عبادة الإله الحق وسن شرائع مخالفه لسنة ديانتنا اليهودية ، فمال إليه كثيرون فى مدة قصيرة ، فقمنا نناهض دعوته وإرشاده ،وسنته ونصرخ بأصواتنا لنفهم الذين يميلون إليه وإلى رجاله أنه وإياهم دجالون كسابقهم « يسوع » بلغ تعبنا أقصى الدرجات ولم يحالفنا النجاح ، وكلما ناهضنا تلك التعاليم المفسدة طمعا فى استمالة أولئك الشعوب إلينا ، تكاثر عدد أتباع محمد يوما فيوم كأتباع اليسوع ، غير أن بين هؤلاء وأولئك لفرقا ، وهو أن القوة التى كانت لأتباع يسوع غير منظورة ، بخلاف القوة التى تعضد المحمديين فإنها محسوسه ، يشير إلى الجهاد هذا وقد منعنا شعبنا من الاشتراك معهم وبرهنا أن اليهود الذين مالوا إليهم إنما هم السذج وفى مرتبة البهائم ، أما الوثنيون فلم نستطع ردعهم رغم مجاهدتنا ، غير أننا آلينا أن لا ننفك عن ملاحقتهم كملاحقتنا اليسوعيين وأكثر ، وجعلنا التشديد عليهم من شروط ديانتنا تلى شرطها الأول وهو محاربة أتباع اليسوع وإنما وضعنا هذا

(١) لئن جاء هذ التعبير الساقط والقبيح عن عقيدة التنظيمات اليهودية السرية ، وموقفها من السيد المسيح ، ومن محمد رسول الله ﷺ ، فإن التاريخ اليهودى كله ليؤكد أن هذا الكفر يرتبط عضويا بين بنى إسرائيل .

الشرط الثانى بجانب الأول لاعتبارنا الديانتين « اليسوعية والمحمدية » سواء فى القضاء على ديانتنا . (١)

تطور التنظيمات الماسونية

مما يحير حقا هو تلك المقدرة العجيبة عند اليهود على التطور العملى فى تطويع الزمان والمكان على تنفيذ ما يخططون له .

فمنذ أخذت « القوة الخفية » تعمل عملها فى توجيه الأجيال اليهودية ، واليهودية العالمية تمثل الخطر المحدق بالأمم والشعوب ليتيسر لدعوة الجنس المدعى أن تقوم وتنتشر ثم يتاح لهم حكم العالم والسيطرة عليه .

ولقد لعبت الماسونية فى العصر الحديث دورا خطيرا حين استطاعت أن تحظى بالأمان على محافلها ومنتدياتها وأصبحت من خلال تواجد القوة الخفية للأطماع اليهودية معول الهدم الذى تنفذ إلى الأمم والشعوب من خلال البرلمانات والعروش وكراسى الحكم .

أملت على موتمر « سان ريمو ١٩٢٠ » الاعتراف بيهودية فلسطين ، واستخدام انجلترا ريثما تقوم اليهودية على قدميها ، وخلقت عصبة الأمم لتثبت هذا فى ميثاقها ، وهيئة الأمم لتنفيذه ولو عن طريق الضغط المعلوم ، ولا تزال متغلغلة به، إذ تحقق أن ٩٩ بالمئة من موظفى هاتين المؤسستين يهود ، أما ما بقى فعبيد يهود وأبناء أرملة ، جعلت من غير اليهودى عبدا لليهود لكن على نطاق أنانى ، واستخدمت رجال السياسة والمال والزعامة ، وذوى الوزن الخفيف من رجال الفكر .

أقامت من دم الملايين جسرا تمر عليه إسرائيل ، وشكلت منهم روافد تساوى نهرًا يغرق العالم ليطفوا على وجهه صهيون ، خلعت حتى على الملوك والأباطرة والرؤساء مآزر العمال الذين يعتلون التراب والماء والحجارة ،لبناء هيكل

---

(١) الماسونية ذلك العالم المجهول ص١١٧ - ١١٨ بتصرف

سليمان، وضحكت على النكرات بألقاب : مـجلس القضاة والشيوخ ، العارفين ، والفـرسان الحكمـاء و الأسـاتذة العظام ، وفائقى الاحـتـرام ، وقلدتهم الأوسمـة والأوشمة ، وشـغلتهم بمصالح فردية يعلوها لوحـة خدمات اجتمـاعية ، شلت يد ملايين ووجهتهم توجيها ملتـويا ، فصافحوا يدها المدرجة بدمهم ، وظاهروها على إقامـة هيكل سليمـان على أنقاض الأقـصى والقيـامة، ضـمت جمـهورا من أمم مختلفة، وديار متغايرة ، تغذى من دم بعـضه بعضا فنال من فئات الغنائم فردا ، وكان غنيـمة اجتـماعيـة ، صالت على تراث الإنسانـية الأخلاقى ، صـوله اللئيم الحاقد، ولفحته بما جعل ثماره اليانعـة أشواكا ، أسست باسم القوة الخفية لحراسة الهيكل عام ٣٧ ، أو ٤٣ وأخذت تنوه عليـه منذ عام ٧٠م ولا تزال حريصة على إشارته إذ هو رمـز لعزة إسـرائيل وسواد عيـنيها ، أخـذت أسماء مـتعـدد مثل: الروتارى والليونز ، جمعية الأسود ، البناى برت ، الاتحاد والترقى ، شهود يهوه البهائية، وما إلى ذلك مم يلتقى بالدرجات والرموز والتأويل القائمة على التكليف والحـروف والأعـداد ، ويلتقـى بنقطة إشـارة الهيـكل والمحافظـة على الراية التى تعلوه.(١)

إن الماسونية فى تعدد ألوانها ، واختلاف راياتها ، إنما هى جمعية يسيرها بالفعل فى العالم أبناء إسرائيل الصهيونيون لأغراض يهودية خالصة يقصد من ورائها تفرقة الشعوب لاجمعها ، كما يدعون ، (٢)

هذا وقد أعـرضت عن ذكر الكثـير من طقـوس الماسونيـة ورموزها ومـراحلها وأوصافـها، مما لا طائل تحته ولا معنى لـه ولا مفهـوم ، اللهم إلا عندهم يمكن للقارىء استنبـاطه من ثنايا هذا اللغو الإسرائيلى بعيدا عن شعـار الماسونية المضلل الخلاب وهو الحرية والمساواة والإخاء (٣).

---

(١) الماسونية ذلك العالم المجهول ص ١٢٥ ، ١٢٦ بتصرف.
(٢) الماسونية ذلك العالم المجهول ص ١٣٥-بتصرف .
(٣) نفس المصدر السابق ص ١٤٠ بتصرف .

لقد ظلت هذه الشعارات واجهة خداع وتضليل حتى انكشفت الأهداف العظمى والحقيقة وراء تنظيم الماسون ودوره فى خدمة التعاليم اليهودية المستمدة من «البروتوكولات» ولقد كان من أثر انكشاف وانفتاح حقيقة التنظيم الماسونى أن وقف العالم على أهداف عظيمة للأطماع اليهودية ، وكان منها .

١- المحافظة على حركة اليهودية العالمية .

٢- محاربة الأديان جميعا ، والكثلكة بصورة خاصة .

٣- العمل المنظم على بث روح الإلحاد فى العالم .

وذلك من أجل الغاية العظمى لليهودية العالمية فى نهاية المطاف ، وهى القضاء على الإسلام ، ومع أن الكثيرين قد تنبهوا إلى خطر الماسونية على المقدرات الإنسانية ، وأن من بين الأهداف المباشرة فى العمل الماسونى أن تتحول القيم الإنسانيه كلها إلى حال من المسخ والتشويه وأصبح العالم سوقا للفوضى وملهى للإباحية إلا أن سموم الجمعيات الماسونية كانت قد نفذت إلى كثير من أساليب الحياة العامة .

ومن عجب أن أكثر وجهات النظر التى يكتب أصحابها فى هذا الموضوع تؤمن بهذا النشاط وتدافع عنه . (١)

هذا وإذا كانت الجمعيات الماسونية تمتد إلى مراحل طويلة وبعيدة فى الزمن الماضى . كما أشرنا ، فإنها قد نشطت فى العصر الحديث بصورة جادة وخطيرة ، وأقامت مجموعة من المحافل الماسونية . فأول محفل ماسونى عقد فى باريس كان عام١٧٣٢م وكان هذا المحفل بالذات من الأهمية بمكان ،فمنه اتجهت جهود القوى المدبرة لحركة الجمعيات الماسونية إلى تنفيذ الاستيلاء على مساحة كبيرة من الأرض، وعدد ضخم من البشر ، ثم عقدت محافل « بوسطن » فى الولايات المتحدة عام ١٧٣٣م ، ومحافل ماسونية فى نيويورك ، وبعدها انتشرت المحافل

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٥٨ ، ١٥٩ بتصرف .

الماسونية بعد عام ١٧٣٣م كالوباء فى جميع بلدان الولايات المتحدة الأمريكية ، فلم يكد يأت عام ١٧٩٧م حتى زاد عدد المحافل الماسونية بنفس منهج الخداع والزيف الذى يقود البشر إلى دعوة المذاق الحلو لكل المحرمات ، هذا المنهج الذى تلتذ له الجماعات التى تتقبل به الدعوة إلى فوضى الجنس وبهيمية العلاقات بين الناس . (١)

وقد شاعت تعاليم الماسونية وكثرت جمعياتها ببريق دعواتها الانحلالية بين أكثر مجتمعات أوربا ،فعن طريق بريطانيا تأسست المحافل الماسونية فى كندا واستراليا ، ونيوزلندا ، ومصر أيضا ، وغيرها من بلاد العالم العربى ، ولم تقدم مصر العربية المسلمة على قتل هذا النشاط التخريبى وتقوم بالقضاء عليه كعامل خراب يمزق جهود الأمة ومقوماتها إلا فى أواخر عام ١٩٦٤م (٢) . .

إن تعاليم الماسونية محوطة بالسرية الدائمة ، وهى تنص فى صلبها على تقديس الجنس والحرية التامة لنشر الإباحية ،وآمال الماسونية أمام هذا الجانب الأخلاقى من حياة الناس هو تنظيم جماعة من الناس يرونهم أحرارا ، لا يخجلون من أعضائهم التناسلية حين يجتمعون فى نوادى العراة ويلتقون على شواطيء المصايف. (٣)

وبهذه الوسائل ترى القوة المدبرة للنشاط الماسونى أنه عن طريق تصعيد حركة العضوية العالمية بأنه من المتيسر على المدى الطويل مسخ العقل البشرى فى كل قيمه ومعتقداته وتحرره وتجرده من كل ولاء لغير الماسونية وتعاليمها ، إلى أن يكفر بالله والوطن ويصبح أمام أعظم مقدس ،هو تمجيد الجنس اليهودى وعبادته ،لأن هذا الجنس حافظ على المستوى الكهنوتى للحكمة . !!(٤)

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٥٩ ، ١٦٠ بتصرف .
(٢) الماسونية ذلك العالم المجهول ص ١٦٠ .
(٣) دائرة المعارف اليهودية ج٥ ص ٥٠٣ ط عام ١٩٠٣ نقلا عن الماسونية ذلك العالم المجهول ص ١٦٤ .
(٤) الماسونية ذلك العالم المجهول ص ١٦٤ .

« يتضح من تصفح تاريخ الماسونية وتتبع شعائرها ومراسمها أن من بين جملة أهدافها كحركة عنصرية تنزع إلى التعالى : القضاء على تعاليم الأديان السماوية كلها ، وذلك بزعزعة الثقة فى اعتقاد أن تكون الأديان أنموذج العمل الإنسانى الأعظم فى خدمة التطور الإنسانى ومستقبله .

ومن هنا فإن الأعمال الكبرى لتنظيمات العمل الماسونى تجيء فى خدمة هذا الهدف، هدف القضاء على تعاليم الأديان ، وعلى سبيل المثال فإن التنظيمات الماسونية القديمة والتى خططت للحرب والقضاء على المسيحية منذ عصر الميلاد ، ما إن فوجئت بالمجتمع الإسلامى فى القرن السابع الميلادى يقوم على دعامة التوحيد لله ، التوحيد الخالص المنزه الذى لا يشوبه صنم ولا وثن والذى هو بالتالى الإيمان الصادق ، الذى يستتبعه الإخاء الإنسانى النبيل والتجاوب الروحى الذى يستشعر منه أنه الخير الذى يضمد جراح الكادحين ويعيد إليهم آدميتهم بالحب والإخاء والمساواة ، ما أن فوجئت به التنظيمات اليهودية الماسونية ،حتى ظهرت الأحقاد التى تكره للحق أن ينتصر أو أن يسود الخير ، وينتشر ، أو أن يهدى النور الحيارى فى ظلمات الليل ، حتى تظل لليهودية العالمية السيطرة الباغية على نفوس البشر ، وخوف أن يقضى الإسلام بتعاليمه السمحة على الفكر الماسونى القديم الذين ينشب مخالبه فى وجه روحانية الإسلام وصفاء طهره ،وأمام محاولة إسلامية للقضاء بسلاح الروح والطهر على المتاجره فى الأعراض ،وسلع أجساد العبيد ، ومظاهر التخلف الطبقى القديم هبت الماسونية مذعورة تجمع حول أهدافها،أولئك الذين أنقذ الإسلام الإنسانية المعذبة من سياطهم الباغية وتمكنت من حشد أولئك الذين أدال الإسلام دولتهم ، ثم طورت أسلوبها ، العصابة التى تآمرت ضد العروبة والإسلام ،وكانت البداية قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه،وتزعم التيار القائد لحملة الانتقام من الإسلام ،يهودى من صنعاء نزل بالحجاز مدعيا الإسلام،يدعى « كعب الأحبار » لقد راح هذا اليهودى ينساب كالسم فى جسد الأمة الإسلامية ، وفى الوقت الذى ألقت فيه الماسونية بعصابة يقودها رجل مثل «كعب » كانت هناك عصابة أخرى بقيادة الماكر الخاتل : «عبد الله بن سبأ»

الذى كان وراء الفتنة الكبرى فى عهد «عثمان» رضى الله عنه، كذلك ظلت هذه العصابة بقيادة ابن سبأ أيام على رضى الله عنه إلى أن قضى على رضى الله عنه على هذه العصابة الماسونية ،وتمكن من نفى «عبد الله بن سبأ» إلى المدائن (١)

ثوب جديد فى العداء للإسلام :

لبست الماسونية مع تطور وتصاعد عدائها ضد الإسلام أثوابا عديدة ،وكان كل ثوب يوائم المرحلة أو العصر الذى تمر به تنظيمات الماسونية كقوة خفية تعمل فى الظلام جيلا بعد جيل ومن الأثواب التى ارتدتها الماسونية فى حربها للإسلام المذاهب والاتجاهات والتيارات التى دست على الإسلام ، حتى حسبها العامة من المسلمين فى مراحل القهر والاستعباد من الإسلام . !!

وكان من أهم هذه التيارات المدسوسة على الإسلام بهدف تشويه عقيدة الوحدانية المنزهه فى الإسلام : البابية ، والبهائية ، وغيرها من السبئية ، والإسماعيلية ، والباطنية وغير ذلك . ومن يطلع على كتب الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل يدرك مدى محاولات الغزو التى قامت بها الفرق الباطنية ومدارسها الفكرية ،المدعاة فالفرق الخابطية ، والحدثية ، والمعمرية ، المردارية ، والنمامية ، الهشامية ، النادوسية ، والأفطحية ، وهذه الفرق ذات الاتجاهات المتناقضة والمختلفة أشد الاختلاف فيما بينها ، كان وراءها . من غير شك عمليات غزو فكرى عجيب ، حاولت به القوى الخفية فى عدائها للإسلام أن تنفذ إلى جوهر العقيدة الدينية فى الإسلام .

وكما فعلت الماسونية ضد الإسلام قامت ضد المسيحية أيضا . كما سبق . ولم تكف أبدا عن مواصلة عدائها .

وكما تمكن الأفذاذ من علماء المسلمين أن يكشفوا عن التيار السام والقاتل الذى تتوجه به الماسونية إلى تعاليم الإسلام . أدرك نفس الهدف وحاربه واحد من أفذاذ

---

(١) الماسونية ذلك العالم المجهول ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

علماء المسيحية فى الشرق العربى وقام بصد أخطار الماسونية على دينه ،ونبه إلى خطورتها على الأديان عامة،ومن هؤلاء الأب « لويس شيخو » فى كتابه السر المصون فى شيعة الفرمسون . (١)

«إن الماسونية شركة سرية سياسية غايتها تقويض أركان كل سلطة دينية كانت أو مدنية» (٢) ومما يثير الدهشة ويحير حقا ، هو تلك القدرة اليهودية العجيبة على التلون بألوان كل عصر فى سبيل تحقيق أهدافهم ، فلقد استطاعت التنظيمات اليهودية أن تقوم بعمليات كبرى فى القديم والحديث ، من كل المجتمعات، ثم كانت وراء كل التيارات التى تقوم على البدع ، وإنكار القيم والفضائل .

واستطاعت رغم كل التحديات أن تقود بدورها المرسوم تجاه كثير من القضايا الأساسية فى العالم (٣)

إن الماسونية باعتبارها من الحركات السرية الهدامة لأخلاق الشعوب ومقوماتها وذلك لاتساع المجال أمام مبادئها وأطماعها ، ظلت سنين طويلة تخدع العالم بأنها: تجميع تنظيمى للخير والإحسان والمعاونة ، ثم تكشف أنها أداة التحرك اليهودى القديم ، ومقدمة الصهيونية السياسية وعينها التى ترصد بها التاريخ ،و إذا كانت الصهيونية الحديثة التى تعبر عن مطامع الأجيال اليهودية أعطت نفسها أو اتسمت بطابع العنف والجرأة ، بينما كانت حركة التنظيم الماسونى دائما وأبدا تتسم بالسرية والكتمان ، أو الخفاء والغموض ،فإن الأساليب الماسونية ، والصهيونية تعمل ميدانيا من خلال «أيديولوجية » تحاول أن تستمد مفاهيمها من مصادر يهودية معتقدة وخاصة مصدرا كالتلمود .(٤)

وفى الماسونية إجراءات ، وأشكال وتنظيمات ،وانضباطات ، وطقوس وشعائر ورسوم وآلات وملابس خاصة ،وضرائب ، وخفية الجلسات وعزلة وتجرد ،تثير

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ بتصرف

(٢) الماسونية ذلك العالم المجهول ص ٢٣٩ واليهودية د / أحمد شلبى ص / ١٢ ، ١٣٧ بتصرف .

(٣) الماسونية ذلك العالم المجهول ص ٢٤٥ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ٣٥٨ .

فيك العجب كلّ العجب ، ولكن يزول العجب إذا علمنا أنها أخلاق الأجيال اليهودية التى لا تعمل فى العلانية ولا تحب للحق والخير أن يريا النور وينعم بهما الإنسان . (١)

إن الطبع النهاز والخلق الملتوى الذى كان تتوارثه أجيال القادة والرؤساء للتنظيمات الماسونية التى كانت قد استطاعت بالفعل أن تنفذ إلى كثير من مقدرات المجتمع الأوربى وتسيطر على العديد من رجالات الحكم وقادة الجيش ، هو الذى كان وراء الجهود اليهودية فى العمل على إشاعة دعوى الجنس الممتاز وسيطرة العنصر اليهودى المدعى . ومن أجل تحقيق الأهداف المرجوة لعمل الأجيال اليهودية المتسترة تحت أقبية الماسون،ودور الوكالات الصهيونية التى تعمل فى مجالات الإعلام والفكر والثقافة والتوجية.

ومن جملة المقارنات التى تصفحها المرء وهو يبحث أوجه النسبة فى العمل التنظيمى لكل من الأسلوبين اليهوديين « الماسونية والصهيونية » يتضح لنا جوهرا المعتقد الماسونى والصهيونى منطلقا مما تدعوا إليه تعاليم بروتوكولات حكماء صهيون ، وأنه فى النهاية يخطط لجملة أهداف يعمل لها .

ومن هنا فإن من يطالع هذه البروتوكولات ، ويتابع ما يحدث عالميا فى ميدان الاقتصاد والاجتماع أو فى علاقات الأخلاق أو مجالات السياسة والأدب ، والسلوكيات الحديثة يجد علاقة وثيقة بين جوهر المعتقد الماسونى فى التخطيط للسيطرة على مقدرات العالم ، وبين التيارات والانفجارات الأخلاقية والمذهبية فى العالم كله شرقه وغربه على حد سواء .

فمثلا تهدف الحركة الماسونية إلى إحداث تمزق نفسى وأخلاقى فى الأسرة وفى مستواها العائلى المحدود فى مجال العلاقة الجنسية ، وذلك للعمل على تفكيك أواصرها تمهيدا لتجريدها من قيمة الدين والأخلاق ، ومن هنا نراها وراء ما يحدث من شذوذ فى العلاقات الأسرية وخروج على مقتضى قوانين الطبيعة

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٦٦ بتصرف .

والغريزة ، بصورة فاقت كل حد، وزادت على كل تصور ، واستطاعت المنظمات الماسونيــة باعتبــارها المنفذ التنظيــمى للصهــيونية العــالمية أن تستـغل التطور المادى والاقتصادى الذى طرأ على العالم فجعلته فى خـدمة أهدافها حتى ولو كان تحقيق الهدف هو المسخ والـتشويه لكل القـيم الإنسانية ،فـقد خرجت الحـركات التى لا تدعو إلى تحرير المرأة فى الحقوق والواجبـات فى الحياة المدنية والأسرية فقط ،وإنما خـرجت تدعو إلى المـساواة فى إلغـاء الذكـورة والأنوثة للرجل والمرأة إذا أرادا ، وأصبحت المرأة تعطى لنفسها حرية تقليد الرجل فيما يلبس أو فيما يصنعه لنفسه ، ورأينا جهـودا إعلاميـة تعلن عن أن المرأة غيـرت نفسهـا من جنس إلى آخر عن طريق « الهرمون » بالعمليات الجراحية المتكررة .

وزادت الحركات الماسونية فى تشويه الوجود الإنسانى مبتدئة بالسعى إلى إصدار القوانين وتقرير شـرعية مساواة الطفل غيـر الشرعى بالشرعى تشجيعـا للزنا وحثا عليه ،وقـد نجحت فى ذلك تماما فى البـلاد الاسكندنافية ، ثم العـمل على عدم اعتبار الزنا سببا خلقيا يبرر مسـئولية الزوجة فى طلاقها ،من زوجها ، وقد أصبح الأمر كذلك فى « الدانيمارك ».

هذا وإن إباحة المعاشرة الجنسية فى غير علاقة زوجية فى علاقة الصداقة ، أو ما يسمونه بزواج المجموعة ، أو ما يتفق عليه فى تبادل الزوجات والصديقات ،فضلا عن إباحة العرى فى النوادى والمجتمعات العامة لهو أثر من آثار التوجيه الصهيونى الذى يهدف إلـى تحلل المجتمع والمجـتمـعات العـالمية من قيم الارتبـاط بالدين أو الأخلاق والفـضيلة تمهيدا لـلدعوة لأخلاق الماسون الصـهاينة وفضـائلهم وحدهم باعتبار أنهم يرون فى أخلاق الدين وآدابه والارتباط به عـقبة كئودا فى وجه إنجاح قضيتهم ومخططاتهم فى السيطرة والتوسع.

وتشتد تيـارات التوجيه المدمر للأخـلاق والفضائل حين يصبح المناخ مـهيأ إلى درجة مـذهله ففى « كـوبنهاجن » بالدانيمـارك يوم ٢١ أكتـوبر عام ١٩٦٩ م تم افتتاح أول معرض عالمى للجنس فـى زحام شديد ، وكان عبارة عن ثورة ضد كل

التقاليد الماضيـة المتعلقة بأسرار المرأة والرجل فى العلاقة بينهمـا لكى يصبح مباحا بالدعوة الماسونية والإنفاق عليها لتحقيق أهدافها . عرض أفلام الجنس فى توضيح عمليـة الجمـاع والإعلان عن أن له أنواعـا وأوضاعـا ، ونشر الصور العـارية فى طبعـات متقنة ونشـر كتب الإثارة الجنسيـة ، وتوجيه الشـباب إلى معـرفة الجنس وممارسته .

ثم تجيء الدعوة إلى إباحة اللواط بين الرجـال ، والسحاق بين النساء ، ويصل الأمر إلى عرضه على البـرلمانات ودور القضاء ، ويوافق القانون الأوربى فى بعض أوربا مشترطا فى إباحة اللواط بلوغ سن الرشد بين الرجلين .

وهكذا تنشط الحركة الماسونية فى الخفاء وهى بنت التنظيم الصيهونى المعلن عنه فى الوكالات والقـرارات لكى يهيء المناخ العالمى فى مجـالات الأخلاق والأفكار وعقـائد السياسـة والمذاهب لتقـبل المبادئ الصهـيونية التى ترى الـتحلل من كل المباديء والعقائـد ورفض كل الأوطان والقوميات والتعلق بالعالميـة والعلمانية التى تخدر الوجدان وتهيىء العقل لمباديء صهيون لا غير . وإننا حين نرى مجتمعا غنيا مترفا كالمجتمع الأمريكى ونرى فيه نماذج « الهـيبز » من الفتيان والفتيات فى حالة من المسخ والتشـويه والذبول والانحراف ، (القذارة فى البـدن والملبس والمظهر ، وإطالة الشعـر إلى حد يعوق إمكانية نظافـته) نرى كم يتجسد الضـياع فى طريق طلائع الأجيال القادمـة ، وندرك تأثير خطط القيادات السرية المتحـكمة بالخفاء فى مصير العالم ومقدراته . (١)

فهل بعد هذا من تعصب ؟!!

***

(١) الماسونية ذلك العالم المجهول ص ٢٦٨ - ٢٧٢ بتصرف .

انتشار الماسونية فى العالم الإسلامى

بعد أن تعـرفنا على شئ من خداع الماسونية ندرك أنهـا مخطط صهيـونى عالمى قديم،كلما أصابتـه الشيخوخة والوهن ، أو العجز والكسل ، وجـد من يعيد إليه شبابه ، ويغـير له ثيابه ، وينثر من حـوله هالة من الضوء أو الإشعاعـات الموجية الملونة فيبدو تماماً كالإخاء والحرية والمساواة . . تلك المعانى التى تأسر الجاهلين ، وتخدع قلوب الغافلين، [١] لقد أتت إلينا هذه من الغرب - بعـد أن خدع بها ، بل قهـرته قبـلا - لتعـمم الفكرة فى بلادنا ، وليشـارك فيـها بعض رؤسـائنا وملوكنا ووزراء حكوماتنا ، والقائمون على مؤسساتنا العلمـية والتربوية والفكرية والثقافية والصحية والإقتصادية والإعلامية والسياسية والإجتماعية والدينية ! !

توغلت الماسونية بوجوهها البراقة ، تبهر أصـحاب المناصب التشريعية والتنفيذية فى بلادنا ، فأعمتهم عن الصواب ، وطمست على أفئدتهم بمطامع الدنيا وشهواتها ، فسعوا إليها وأعانوها كما يعين الشـيطان وليه على أداء مهمته وغوايته بالباطل ، وانساق كثير من المسلمين إلى تيار الماسونية المتسرب من تحت عقب الباب ، إما عن جهل ، أو عن حرج، حتى لا يكون متخلفـا عن المسلطة عليهم الأضواء ، سابحاً مع التيـار الجارف ، مشدوداً بحبـال الرغبة فى الكسب أو الشهـرة أو دوام الترقى على حســاب الآخرين فى ظل ماسونيـة حديثه العـهد ، متعـددة الوجوه ، تخلط المفـاهيم ، وتعـمى الأبصار عـن الحق ، أو تجعل أتبـاعـها لا يـفرقـون بين الحق والباطل ، أو الإيمان والكفر ، أو التميـيز بين الإخاء فى الله ، والإخاء فى الحقد والكيد للأديان ، وعن التمييز بين الحرية المرهونة بما يرضى الله والطائعة لأوامره،

(١) اليهودية / أحمد شلبى ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ بتصرف .
اليهودية د / أحمد غلوش ص ١٣٩ بتصرف .
الروتارى في قفص الاتهام ، أبو إسلام أحمد عبدالله ص ٢٣ بتصرف .

والمتحررة من سيطرة الشهوات والنفس الأمارة بالسوء ، وبين حرية الفواحش واللواط واختلاط الرجال والنساء واستبدال الزوجات وحرية الجنس ومشاهدة وممارسة فنون العرى والفجور والرقص ، وعبودية المطربين والمطربات ، وتقبيل أيديهم ، كما عميت أبصارهم عن أن يميزوا بين المساواة والعدل بين الناس كافة ، وأن الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على أعجمى ولا أبيض على أحمر ، ولا لغنى على فقير إلا بالتقوى ، وبين المساواة المقصورة على قوم لعنهم الله دون كل البشر، والعدل المرهون بتحقيق أمانيهم فى أن يسودوا العالم، حتى لو شردوا أصحاب الأوطان ، من أوطانهم ، وسلبوا أصحاب الأرض أرضهم ، واغتصبوا مساجدهم واستحلوا دماءهم ونساءهم وأطفالهم .

والذين يعيدون شباب هذه الأرملة العجوز قد يكونون من بين اليهود أنفسهم ، وقد يكونون من بين العميان الذين فقدوا القدرة على التمييز ، ألا فليتعلموا وليعرفوا الحقائق قبل فوات الأوان .

فلقد تخفت الماسونية طويلا ، ولكن حق لها أن نظهر - ولو فى أثواب مختلفة - فى ظل اتفاقيات السلام ، فلم يعد صعباً علينا أن نرى الماسونية تعلن عن نفسها فى وضح النهار وعن سلطانها وسطوتها علي كثير من الأنشطة والأماكن العامة ، ودور الرعاية الإجتماعية كالملاجئ وكذلك المستشفيات .

وكذلك - ختاماً للمهزلة - فى حفلات الغناء والرقص ، والمنتديات ، و «ديمس روسوس » الخيرية لصالح اليتامى ، وبناء المساجد - وإن لم تستح فاصنع ما شئت - وعلى صفحات الصحف المصرية بين اليوم والآخر إعلان عن استضافة أحد هذه الأندية لأحد الوزراء أو أحد الفنانين أو السفراء أو المتخصصين ، أو علماء الدين » . (١)

(١) الروتارى فى قفص الاتهام ص ١٧ ، ٢٣ - ٢٥ بتصرف .

«إن تعاون الأمم مع هؤلاء القوم يشبه تعاون صاحب البيت مع اللص ، فهو خنجر ذو رأسين موجه إلى سويداء قلب الشعوب ، لا سيما الإسلامية ، ولا سيما ذات العلاقة المباشرة بفلسطين . وأقول : إن الأمر أصبح جد خطير ، بعدما انزلقت إلى هاوية الأخدود رؤوس كبيرة من الرؤساء والوزراء فى كثير من الدول العربية . (١)

وقد نشطت الماسونية فى بلادنا وانتشرت انتشار النار في الهشيم ، ودبت إليها الحياة من جديد مع تجدد نشاطها ، من خلال الندوات المتوالية للنشاط الماسونى خلال الأسابيع والشهور والسنوات القليلة الماضية فى القاهرة والإسكندرية والزقازيق ، والأردن ولبنان والبحرين والسودان وقبرص علي السواء - ولم يعد الأمر ذا بال عندهم . . إذ يبدو أنهم تمكنوا وثبتوا الأقدام ، وأن لهم ظهرا يحميهم من أن يضربوا على بطونهم ، فالصحف والمجلات تعلن اليوم بعد اليوم عن ندوات علمية وثقافية وفنية ، يحاضر فيها الأستاذ والدكتور والعالم ، وحتى الشيخ والقسيس ، حيث لا أحد يعرف، وإن عرف فهو لا يفهم ، وإن فهم فلا اعتراض ولا رفض إنما سلبية ، أو قل تواطؤ ، وفرضا إذا اعترض أو رفض فرأسه سندان لألف ألف مطرقة تدق فوق رأسه لتفنى فيه كل حس ، وتمحو من ذاكرته كل تميز إلا العماء » (٢)

هذا ولخطورة تلك الجمعيات ، وهذه المنتديات أصدرت إدارة لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بياناً بشأن الماسونية والأندية التابعة لها مثل الروتارى والليونز - تؤكد خطورتها وغموضها فقالت ما نصه . . . «الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد

(١) راجع أسماء كثير من الشخصيات فى كتاب «الماسونية » في المنطقة ٢٤٥ » و « الروتارى فى قفص الإتهام » وكلاهما للأستاذ / أحمد عبدالله ، وكذلك رسالة الماسونية د / عبدالله سمك .

(٢) الروتارى فى قفص الاتهام ص ٣٧ بتصرف .

..فإن الإسلام والمسلمين يحاربهم الأعداء العديدون بكل الأسلحة المادية والأدبية، ويريدون بذلك الكيد للإسلام والمسلمين ، ولكن الله ناصرهم ومعزهم، قال تعالى: ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ (١) ومن بين هذه الوسائل التى يحاربون بها الإسلام ، وسيلة الأندية التى ينشئونها باسم «الإخاء والإنسانية» ولهم غاياتهم وأهدافهم الخفية وراء ذلك. . .

وأن من بين هذه الأندية الماسونية والمؤسسات التابعة لها مثل : الليونز ، والروتاري وهما من أخطر التنظيمات الهدامة التى يسيطر عليها اليهود والصهيونية يبتغون بذلك السيطرة على العالم عن طريق القضاء على الأديان وإشاعة الفوضى الأخلاقية وتسخير أبناء البلاد للتجسس على أوطانهم باسم الإنسانية .

ولذلك . . يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها ، وواجب المسلم ألا يكون إمعة وراء كل داع وناد ، بل واجبه أن يمتثل لأمر الرسول ﷺ حيث يقول : «لا يكن أحدكم إمعة ، يقول : أنا مع الناس ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم» (٢)

وواجب المسلم أن يكون يقظاً حتى لا يغرر به ، فللمسلمين أنديتهم الخاصة بهم، والتى لها مقاصدها وغاياتها العلنية ، فليس فى الإسلام ما نخشاه ولا ما نخفيه . . . والله أعلم . (٣)

ختم لجنة الفتوى بالأزهر - رئيس لجنة الفتوى (عبد الله المشد)

---

(١) سورة غافر : ٥١ .

(٢) أخرجه : الترمذى ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فى الإحسان والعفو ، ج ٨ ص ١٧٠ بنحوه

(٣) الروتارى فى قفص الاتهام ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

إن هذه الأندية - والتى توجد فى المدن والعواصم الكبرى - الغرض الظاهرى منها هو النظر فى الشئون الاجتماعية والاقتصادية بإلقاء المحاضرات والخطب والعمل على التقارب بين أتباع الأديان المختلفة والبلدان المتعددة .

أما الغرض الحقيقى فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الإخاء والود، ثم يحاول اليهود عن هذا الطريق أن يصلوا إلى جميع المعلومات التى تساعدهم فى تحقيق أغراضهم ، اقتصادية كانت أو صناعية أو سياسية (١)

إننا نهيب بكل مسلم أن يبتعد عن مزالق الفتن ، وأن يتعرف على حقيقة هذه المؤسسات حتى يحمى نفسه ودينه ووطنه من هذا الفساد . ومع الأسف الشديد ما أكثر المغفلين الذين لا يعرفون إلى الآن ، من هم أعداؤنا والحاقدون علينا ؟ وما أكثر الذين يبيعون أنفسهم للشيطان ، وما أكثر الذين يبررون لأنفسهم الأعمال الدنيئة لخدمة اليهود مدعين خدمة السلام العالمى ورخاء الشعوب . » (٢)

«هذا ولقد استطاع يهود الدونمة (٣) أن يلعبوا دوراً هاماً ورئيسيا فى إضعاف الإمبراطورية العثمانية وزاد نشاطهم بعد الإنقلاب العثمانى عم ١٩٠٩ م الذى تحقق على أيدى الاتحاديين حتى دخلت تركيا الحرب العامة ، ثم اشتركوا فى تأسيس الدولة العثمانية التركية ، وبرعوا فى المجال الاقتصادى والثقافى والصحفى، ولا يزالون يتحكمون فى صحافة تركيا حتى الآن . (٤)

كما تستر هؤلاء فى الإسلام بقيادة زعيمهم «سباتاى سيفى » الذى دخل فى

(١) نفس المصدر السابق ص ١٧٣ بتصرف .

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٦٤ بتصرف .

(٣) الدونمة : كلمة تركية تعنى العودة أو الرجوع ، وقد أطلقت على فئة من الناس سكنوا فى المناطق القريبة من المملكة العثمانية .

(٤) يهود الدونمة ، تاليف مصطفى طوران ، ترجمة كمال خواجه ص ٣ بتصرف ط المختار الإسلامى (الثانية) لسنة ١٩٧٩م .

الإسلام زيفاً ، لينجو من الحكم عليه بالإعدام ، بعد أن ادعى أنه المسيح المنتظر ، ثم ظهر زيفه ، واتضح كذبه ، ثم دخل الكثير من أتباعه دين الإسلام وقبل المسلمون فى بنيتهم عنصراً غريباً لا يعلم أثرهم - فى المستقبل - إلا الله .

إذ أخذ «سباتاى» يدعو الناس هذه المرة لتأسيس مذهبه المسلم فى الظاهر ، والسباتائى في الباطن ، وهكذا جاء أتباع هذا المزيف من كل مكان ولبسوا العمائم والجبب فأطلق الأتراك على أتباع هذا المذهب الجديد «الدونمة» .

وانصرف هذا الزعيم - بعد أن أخذ حريته فى التجوال والعمل - إلى وضع عقائد أنصاره وتنظيم عباداتهم ، مع الالتزام فى الظاهر بعبادات الأتراك وأحوالهم، مع عدم مناكحتهم [يعنى المسلمين] قطعاً . »[١] .

يقول « محمد رشدى قوه قاشزاده » - إلى دونمة سلانيك : «منذ أكثر من ثلاثة قرون عشنا نحن الدونمة فى كنف الشعب التركى العريق الكريم وتحت جناح رحمته ، وبقينا على حالة شديدة من التعصب لمذهبنا ، باطننا يخالف ظاهرنا فى كل أفعالنا وحركاتنا . . »[٢]

ولقد كان ليهود الدونمة أعياد تزيد على العشرين ، ومنها عيد الخروف ، أو «وليمة الخروف » ويشترط أن يكون فيه من الجنسين ، أى مع كل رجل امرأة ، وتلبس أفخر الثياب وتتزين بأثمن الحلى وتقوم بتهيئة الطعام على الطاولة ، بعد الطعام يبدأ اللهو ، وفى فترة من فتراته تطفأ الأنوار ويبقى الجميع فى ظلام دامس . . ويعتبر كل مولود يولد بسبب من هذه الليلة مولودا مباركاً »[٣] مع أنهم غير شرعيين ! ![٤] .

(١) يهود الدونمة ، ص ٧ - ١٥ بتصرف .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٢ ، ٢٣ بتصرف
(٣) نفس المصدر السابق ص ٢٠ ، ٢١ بتصرف
(٤) نفس المصدر السابق ص ٢٥ بتصرف

«كان للدونمة أثر كبير فى الإضرار بالإسلام والمسلمين ، وقد أسهموا إسهاماً مباشراً فى كل ما من شأنه هدم القيم الإسلامية لدى المجتمع ، وتخريب السلوك لدى المسلمين.

كما أن ميل الشباب المسلم إلى التخلق بالأخلاق الغربية واعتبارهم الإلحاد واعتناق الأفكار الغربية موضة عصرية ، وانتشار الماسونية والفوضوية واستصغار الشعور الوطنى، كل ذلك من عمل هؤلاء الدونمة

إنهم أول من هاجموا حجاب المرأة المسلمة ، ودعوا إلى التحرر والسفور ، كما أن الصحافة التركية آلت إلى هذه الحالة المزرية بسبب هؤلاء الدونمة [1] ولقد تخفى هؤلاء الدونم كثيرا ، حتى شعروا بضيق متزايد من هذا التخفى ، فعملوا على أن ينحرف المسلمون عن طريقهم القويم ، ويسلكوا سبيل الدونمة ، وعاشوا فى «سلانيك ، واستانبول » فى العهد الجمهورى عيشة الرخاء والترف .

أما الآن فالوطن المسكين كله - ويالالأسف - يرزخ تحت نير الدونمة ، ومن أجل خدمتهم لا تدرى أى فرق بين الدونمة وبين أناس «مسلمين » يعيشون عيشة أوربية بعيدة عن معتقداتنا وأعرافنا ! ! » [2]

«إنهم يظهرون الإسلام كي يضمنوا بقاءهم بين المسلمين ويحصلوا على مكاسب ضخمة ، يلقبون أولادهم ألقابا إسلامية وليست لهم أية علاقة بالإسلام بل ملأت قلوبهم الأحقاد ، يتخذون كافة التدابير الخفية لهدم الشعائر الإسلامية [3] لقد تغلغلوا فى صفوف المجتمع المسلم تحت أوصاف وأشكال مختلفة حتى صاروا من أصحاب الثروات الطائلة ، وسيطروا على المراكز التجارية والاقتصادية

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٧

(٢) يهود الدونمة ص ٢٧ ، ٢٨ بتصرف .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٣٢ بتصرف

الهامة فأصبحوا عاملا خطراً على هذه البلاد » . [١] ومعظمهم ينتمى إلى منظمة «الاتحاد والترقى » وهى جمعية ماسونية !! [٢] .

«ولقد كان من بين يهود الدونمة « مصطفى كمال أتاتورك » [٣] ، فهو يهودى مجهول الأب - الذى حاول أن ينزع الإسلام من تركيا ، أو ينزع تركيا من الإسلام نهائياً ، وانخدع الشعب المسلم بهذا اليهودى الذى عمل اليهود والنصارى على اضفاء صفة البطولة عليه ، وأنه منقذ تركيا من الاستعمار ، واستطاع أن يصل بدهائه وغدره وخيانته ، وبمعاونة الغرب له إلى قيادة الجيش العثمانى الذى حارب الخلفاء بعد دخوله تركيا ، وفى هذه الأثناء تمت الصفقة ، إذ أظهر أحد الخلفاء العثمانيين «عبدالمجيد خان» بمظهر الخليفة المستسلم الضعيف المتعاون مع الأعداء في إسطنبول ، وأظهر «مصطفى كمال » كبطل التحرير الوطنى فكان أن انسحب الخلفاء من تركيا مقابل ما أعلنه أتاتورك فيما بعد ، وهو أن يلغى الخلافة إلى غير رجعة ، ويعلن تركيا دولة علمانية ، ويلغى الأحرف العربية وأن يجعل الأذان باللغة التركية ، وأن يمحو كل مظهر إسلامى فى الحياة التركية .

وهكذا سارت الأمور وأصبح أتاتورك معبود الجماهير المضللة فى تركيا وخارج

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٤٣ بتصرف .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٥٧ بتصرف .

(٣) مصطفى كمال أتاتورك « ولد فى سنة ١٨٨٠م ، ومات فى سنة ١٩٣٨ وهو مؤسس تركيا الحديثة ، اتخذ اسم [أتاتورك] سنة ١٩٣٤ م بدلا من اسمه الذى كان معروفا به وهو «مصطفى كمال » ومعنى كلمة «أتاتورك» أبو الأتراك ، ولد فى «سالونيك » والتحق بالكلية الحربية ، واشترك ضابطاً فى الثورة التى قام بها حزب «تركيا الفتاة » ، خرج على السلطان العثمانى ، وشن هجوما على كثير من البلاد ، وألغى الخلافة سنة ١٩٢٤ م ، وفصل بين الدولة والدين ، واستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية ، وألغى الامتيازات الأجنبية ، واستعمال الطربوش والعمامة والحجاب ، وجعل القانون المدنى يقوم على أصول التشريعات الاوربية بدلا من الشريعة الإسلامية ، حرر تركيا من كل سيطرة أوربية ، وأخذ ادمانه للخمر بصحته ، ومات فى سن الثامنة والخمسين بعد أن شاهد بلاده عزيزة المكانة .

انظر : الموسوعة العربية ج١ ص ٤٤ بتصرف .

تركيا باعتباره بطلا وطنيا ، ولكن عقيدة الشعب التركى المسلم كانت أقوى من المؤامرة وأصلب من الخداع ، فسرعان ما بدأ يستيقظ على الحقيقة فأدرك أن أتاتورك لم يكن وطنياً ولا زعيما ملهما ولا قائدا حكيماً وإنما كان محطم أمة ومشوه تاريخ ، وعدوا لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأنه كان ألعوبة فى أيدى اليهود والنصارى وأنه كان من يهود الدونمة الذين هاجروا من أسبانيا بعد خروج المسلمين من الأندلس واستقروا فى سالونيك وتظاهروا بالإسلام وأخفوا الكفر وأسسوا المحافل الماسونية وعملوا بدهاء وصبر - بعد أن وصلوا إلى أعلى المراكز بأسمائهم الإسلامية - علي تحطيم الدولة ، وذهاب الخلافة ، وظن اليهود والنصارى أن تركيا قد انتهى الإسلام بها ، أو انتهت من الإسلام ، ولكن الأمر كان على غير ما يتوقعون . » (١)

«فعقيدة الإسلام ممتدة الجذور فى أعماق الشعب المسلم ، والإسلام هو حياته ، ومجده واستشهاده ، ولذلك فإن بقايا الأحزاب التى أقامها أتاتورك حينما تريد أن تخدع الشعب وتنافقه يحمل زعماؤها المصاحف ويقبلوها أمام الجماهير المسلمة ليستمروا فى خداعها ، ولكن كل ذلك إلى حين حتى ينكشف أمرهم كما انكشف أمر أتاتورك ، ولقد أحس المرحوم « عدنان مندريس » بالشعور الحقيقى للشعب التركى المسلم ، وأنه لم يستطع الدستور العلمانى - الذي وضعه أتاتورك - ولا الكبت ولا الإرهاب ، ولا تغيير الحروف العربية للغة التركية إلى الحروف اللاتينية ، والتى أراد بها أتاتورك وأعوانه ، والمخططون من ورائهم اليهود والنصارى أن يقطعوا صلة الشعب التركى بتراثه وتاريخه وبعقيدته وبإسلامه ، وبأدبه وحضارته وشعره ونثره فأرادوا أن يقطعوه عن كل ذلك ، ولكنه لم ينقطع إذ بقى القرآن كتاب الله وحده يتحدى الظلم والدساتير والبطش والإرهاب ، فكان المسلم التركى - وكل الأتراك مسلمون - يضطر إلى أن يقرأ القرآن بلغته

(١) زوال إسرائيل حتمية قرآنية ، الشيخ أسعد التميمى إمام المسجد الأقصى سابقا ص ٧٥ وص ٧٦ بتصرف ط المختار الإسلامى (بدون تاريخ) .

العـربية حـتى يستطيع أن يـصلى . . وأخيـراً أعاد «مندريس» - بعـد أن شعـر بحقيـقة الشعور الإسلامـى - الأذان باللغة العربية ، وفتح المعـاهد والكليات فى مختلف الولايات التركية لتدريس الشريعـة الإسلامية باللغة العربية ، وبنى المساجد ، فخاف الغرب أن يعود الإسلام مرة أخرى مؤثراً فى حياة تركيا ، فأسرع الغرب لعمل انقلاب ضد « عدنان مندريس » - رحـمه الله - وقتله وإعدامه ، ولكنه لم يستطع أن يعيد الأذان إلى اللغة التركـية ، بل بقى باللغة العربية ، ولم يستطع أن يلغى المعاهد التى أنشـأها لتعليم الشريـعة الإسلاميـة ، بل زادت واتسعت ، وبدأ الشعور الإسلامى ينفض الغبار ، وينفك من الأسر ، ويفـتح عينيه على الحقيقة ، فإذا حزب إسـلامى «حزب السلامـة» يدخل الحياة النيابيـة على أساس الحكم بالإسلام والعودة إليه ، ويقيم هذا الحزب مؤتمر للسيرة النبوية في «إسطنبول» [1]

***

(١) زوال إسرائيل حتمية قرآنية ٧٦ ، ٧٧ بتصرف .

المبحث الثالث

اليهود في فلسطين

«لم تنقطع جنايات اليهود على المسلمين ، وعدائهم للإسلام على مر القرون ، وخاصة منذ الفتح الإسلامى ، حتى كانت جنايتهم الأخيرة على «فلسطين» وذلك بادعائهم أنها أرضهم وبلادهم ، وأن الله وعدهم إياها ، وادعاء أن فلسطين أرضهم ادعاء باطل لا سند له فى التاريخ ولا التشريع ، وليس معنى أن اليهود أقاموا زمنا فى هذه المنطقة أنها تنسب إليهم ، أو ينسبون إليها ، ولا يعنى هذا - إطلاقا - سلب عروبتها ونسبتها إلى اليهودية ، وما ذكر فى التوراة أن اليهود أقاموا في فلسطين ، فإنما كان ذلك على سبيل أنهم مواطنون لهم حق المواطن العادى في أرض الغير ، ولم يستقر لهم ملك وسلطان إلا فى فترة وجيزة من الزمن محصورة فى أيام نبي الله « داود ، وابنه سليمان - عليهما السلام » ثم تفرقوا وتنازعوا فزالت ريحهم ، وتفرقوا فى الأرض بددا ، وزعمهم أن «فلسطين» هى أرض الميعاد التى وعد الله إبراهيم ثم إسحاق ثم يعقوب أن يعطيها لأبنائهم من بعدهم ملكاً أبديا . وهذا الوعد ليس مقصوراً على « فلسطين » فحسب ، بل إن الله إله يعقوب وإبراهيم وعدهما أن يعطى ذريتهم إمتلاك الأرض من النيل إلى الفرات ، فأطماعهم الاستعمارية تمتد نحو الغرب لتشمل مصر - عدا صحرائها الغربية ، ثم تمتد شرقا مع الشمال وهى ترنو وتتطلع إلى سوريا ولبنان والأردن وأجزاء من أرض العراق ، ولا تغيب عن أذهانهم أرض الحجاز مهد الرسول ﷺ ، إذ كيف تتركها عصابة صهيون وقد أقامت قبائل من يهود داخل المدينة المنورة وفى أطرافها ، إذا فهذه أرض لابد أن تكون لليهود ، ومن يدرى ، فلربما يحلو لهم يوما أن يقولوا : إن كل منطقة خطت فيها قدم يهودى أو عاش

فيها إسـرائيلى إنما هى من حق اليهود ، بأن أخذوها فذاك حـقهم لا يعارضهم فيه معارض، وإن تركوها فمنة وتفضلا منهم على عباد الله !![1]

إن خرافة «أرض الميعاد» التى بني عليها اليهـود أضخم حقيقة ، وأكبر صراع ، وأعظم الحروب - التى ذكرتهـا التوراه فتقول : «إن ابراهيم لما وصل كنعـان قادما من العراق ظهـر له «يهوه» إله اسـرائيل - كما تسـميه التـوراة - قال له : « ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمـالا وجنوبا وشرقا وغربا ، لأن جميع الأرض التى أنت تراها لك أعطيـهـا ولنسلك إلى الأبد ، وأجـعل نسلك كتـراب الأرض . . قم امش فى الأرض طولها وعرضها لأنى لك أعطيها »[2] .

وعلى أسـاس هذا النص يقيم اليـهود دعـواهم العريضـة بأن إله إسرائيـل قد وعدهم أن يسكنوا أرض فلسطين وما جـاورها ، وأصبحوا وأمسوا يطلقـون عليها «أرض الميعاد» .

هذا وقد حـاولوا أن يفسروا هذا النص بـالإضافة إلى النصـوص الأخرى التى وردت فى توراتهم ، تفسيرا سياسيا خاصا ، يـحققون به مآربهم وأطماعهم الخفية التى يهدفون إليها من وراء تأسيس وطن قومى لهم فى فلسطين .

وهذا الذى ذكروه واستندوا إليه باطل من وجوه كـثيرة ، منها : تحريف التوراة - على الأقل - وقـد ثبت هذا بما لا يدع مـجالا للشـك ، وكذلك - يقـال على افتـراض صحة ما جـاء فيها أو بعـضه - أنها ذكرت أن الكنعـانيين - أى العرب - كانوا هم سكان فلسطين وأصـحابها حـينما وفد عليـهم إبراهيم ، والنص يقول : «واجتاز ابرام فـى الأرض إلى مكان شكيم - وكان الكنعانيون حـينئذ فى الأرض

(١) جنايات بنى إسرائيل عـلى الدين والمجتمع ص ٣٣٩ - ٣٤٣ بتصـرف ، واليهودية د/ احـمد غلوش ص ١٤٨ ، ١٤٩ بتصرف .
(٢) سفر التكوين ، إصحاح ١٣ (١٤ - ١٧) .

وظهر الرب لابرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض »(١) كما سمتها أرض الغربة بالنسبة لأبراهيم ويعقوب فقالت : «وسكن يعقوب فى أرض غربة أبيه فى أرض كنعان »(٢) وهذا بالاضافة إلى الأول - يفيد ملكية الكنعانيين للأرض ، هذه واحدة والوعد المذكور - على فرض صحته - هل معناه ما ذهب إليه اليهود بالمعنى السياسى بإقامة وطن قومى لهم فى تلك البقعة ، أم أنه يباح لليهود مجرد السكن فيها ، وهى لا تزيد عن بضعة أميال هى التى يمتد إليها بصر إبراهيم شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، - وعينه عين بشر لها حدود تقف عندها الرؤية - فأين هذا من الزعم من النيل إلى الفرات - كما زعمته اليهود ؟ وتلك الثانية ، ولكن لعلهم يقولون : ليس هذا بزعم بل حقيقة فقد جاء فى التوراة : «وفى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »(٣) وبالنظرة الفاحصة فى هذا النص نجد تناقضا واضحا بينه وبين النص الأول، إذ الأول يعطى وعدا بأرض لا تتعدى رؤية النظر المجردة ، وهذا يعطى أرضا تفوق الحصر ، وتتعدى الحدود ، فأين هذا من ذاك ؟ وهذا الكلام لا يعد حجة على الغير ، فضلا عن زيفه وتناقضه ، وتلك الثالثة .

ثم هم فى قولهم « أعطيها لنسلك إلى الأبد » أليس من نسل إبراهيم «إسماعيل» مع «إسحق» عليهم السلام ، وكذلك «مديان» فلو أخذناه على عمومه لتبين أن أبناء ثلاثتهم يشملهم هذا الوعد المذكور من الجهة الشكلية .

وأما من حيث الواقع فإنه يشمل العرب أبناء إسماعيل ، دون اليهود - ذرية إسحق - لأن أبناء اسماعيل هم الذين ملكوا فلسطين ، فتحقق الوعد فيهم ، وظهر منهم «النبى الخاتم ﷺ» وخلفاء قرشيون بسطوا سلطانهم على شبه الجزيرة

---

(١) سفر التكوين ، إصحاح ١٢ (٦ - ٧) بتصرف .
(٢) نفس المصدر السابق ، إصحاح ٣٧ (١) .
(٣) نفس المصدر السابق ، إصحاح ١٥ (١٨) .

العربية كلها واتسع إلى ما وراء النيل والفرات ، فكان ذلك تأكيدا للوعد وتحقيقا للعهد، وتلك الرابعة .

أما الخامسة ، فإن هذا الوعد – الذى وعده الله لإبراهيم ولذريته من بعده – مشروط بشرطه – وهو عدم الإفساد فى الأرض ، ولكن اليهود ، من خلال ما ذكرته التوراة وطفحت به جل صفحاتها – أفسدوا فى الأرض أعظم الفساد ، وارتكبوا المحرمات ، بل أشركوا بالله خالق الأرض والسموات . فلم يتحقق لهم الوعد لتخلف شرطه، بل على العكس – تحقق فيهم الوعيد – المذكور فى التوراة– «احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذي قطعه معكم . . إذا ولدتم أولادا وأولاد أولاد وأطلتم الزمان فى الأرض وفسدتم . . وفعلتم الشر فى عينى الرب إلهكم لإغاظته ، أشهد عليكم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعا عن الأرض التى أنتم عابرون الأردن إليها لتملكوها ، لا تطيلون الأيام عليها ، بل تهلكون لا محالة ، ويبددكم الرب فى الشعوب فتبقون عددا قليلا بين الأمم التى يسوقكم الرب إليها»[1] .

لقد شهدت صفحات التاريخ أن «فلسطين» عربية منذ فجر التاريخ ، حتى فتح الله على المسلمين «بيت المقدس» فبسطت المدينة ذراعيها لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، سنة ١٥ هـ ، وصارت بهذا الفتح الاسلامى ، بلدا إسلاميا عربيا ، وظلت إلى اليوم – وإلى أن تقوم الساعة إن شاء الله تعالى – إسلامية عربية ، لا ترتد عن إسلامها ولا تغير عروبتها قوة ولا رهبة .

وهكذا يتضافر التاريخ مع نصوص التوراة ، ومع العقل والمنطق والواقع على ابطال تلك الأسطورة الضخمة التى أطلق عليها «أرض الميعاد» التى تولدت من الخيال الخبيث الذي يسيطر على العقلية الصهيونية بمعاونة أربابها من المستعمرين ،

---

(١) سفر التثنية ، إصحاح ٤ (٢٣ – ٢٧) بتصرف .

وبذا يتضح للجميع أن كل هذه الادعاءات الكاذبة ما هي إلا ستارا يخفى وراءه جريمة بشعة أقدم عليها اليهود المستعمرون لاغتصاب أرض من ذويها ، وتمزيق شمل أمة كبيرة يرون فى وحدتها خطرا يهدد مصالحهم فى الشرق الأوسط»[١] ، فكان لابد من غرس شوكة فى قلب الأمة الإسلامية والعربية ، تقطع أوصالها وتمنع شرقها عن غربها ، وتحد من سلطانها

وبدأت السياسة الماكرة تلعب دورها ، وجاء الدور التاريخى لتدخل قوى الصهيونية حلبة الصراع مع المسلمين ، وحيكت المؤامرات ، ونظمت المؤتمرات ، ودبرت أمور كثيرة بليل مظلم حالك الظلام ، حتى أسفر عن «وعد بلفور» المشئوم ، وبدأت قصة الوطن القومى لليهود فى فلسطين فى العصر الحديث بعد الحرب العالمية الأولى ، وارتكزت أساسا على نفوذ اليهود والصهيونية العالمية لدى حكومات الدول الكبرى مثل انجلترا وفرنسا وأمريكا «ومن على شاكلتهم» فقد تآمرت تلك الدول الاستعمارية على تقسيم الأرض العربية فيما بينهم «وكأنها تركة يتوارثونها» ولما كانوا على علم تام بأن هذا الميراث غير شرعى ، ولا بد أن يؤول يوما إلى صاحبه الحقيقى ، وحتما سيترك المستعمرون هده الديار ويرحلون إلى بلادهم تحت ضغط الثورات العربية والاسلامية فكر المستعمرون وقدروا ، وتمخض تفكيرهم الاستعمارى عن هذا الوعد المشئوم ، فأصدروا فى نوفمبر سنة ١٩١٧ م على لسان «بلفور»[٢] وزير خارجية بريطانيا آنئذ ، ذلك التصريح المشهور «بوعد بلفور» متضمنا العبارة «إن حكومة جلالة الملكة تنظر بعين العطف والرعاية إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية» هذا وقد عرض التصريح قبل إعلانه على الرئيس الأمريكى «ولسن» فأقره كما أقرته كل من فرنسا وإيطاليا

---

(١) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ص ٣٤٦، ٣٤٧ بتصرف ... ع أيضاً «اليهودية» د/ احمد علوش ص ١٤٨ - ١٥٥

(٢) آرثر جيمس بلفور (١٨٤٨ - ١٩٣ م) وزير الخارجية البريطانى

ومن هنا زعم الصهيونيون أن هذا التصريح يكسبهم حق طردهم العرب - سكان فلسطين من وطنهم - وإقامة دولة بها تدعى «إسرائيل» .

وعلى الرغم من أن هذا الوعد لا يعنى فى صريح عبارته ذلك المعنى الذى أراده اليهود ، فقد جاء فيه ما يتعارض مع ما يفهمون مثل : «على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين.ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى ، وعلى الرغم من ذلك أقول : ما هى المبررات الشرعية التى كانت تتمتع بها بريطانيا فى أرض فلسطين حتى تتصرف فيها كما تشاء ؟!! وبأى سبيل وصلت ملكيةفلسطين لبريطانيا أو سواها من غيرالعرب؟!!.

إن بريطانيا لم تشتر فلسطين من أصحابها ، ولم يهبها أهلها للإنجليز ، ولم يوص أبناؤها بها لهم ، ولم تكن أرضا مواتا حتى يزعموا أنهم أحيوها وتوطنوا بها وعمروها فآلت إليهم بذلك . !![1] .

وما شأن بريطانيا فى فلسطين حتى تخول - بتلك الوسائل الإجرامية - حقا ليس لها لمن لا يستحقه أو يملكه فينطبق عليها المثل القائل «أعطى من لا يملك من لا يستحق» وإنما هذا اغتصاب وإجرام ، ينم عن عصبية بغيضة ، وعداء سافر ، والبحث عن مصالح شخصية.

هذا وعلى الرغم من العداء الذى بين اليهود والنصارى إلا أنهم حدثت بينهم موالاة وتناصر ، وتناسوا الأحقاد التى كانت العلامة المميزة للعلاقات بينهم ، فقد تعاونوا فى أول هذا القرن على عزل السلطان - المظلوم - عبدالحميد -رحمه الله»[2] حين رفض ان يعطى اليهود امتيازات فى فلسطين

---

(١) جنايات بنى إسرائيل علي الدين والمجتمع ص ٣٤١ - ٣٤٣ بتصرف

(٢) ولد السلطان عبدالحميد الثانى يوم الأربعاء فى ٢١ أيلول عام ١٨٤٢ م ، وهو ابن السلطان عبد المجيد =

وكان اليهود فى المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقدوه بمدينة «بال» بسويسرا سنة ١٨٩٧ م قد اتخذوا قرارا بالاستيطان فى فلسطين التى كانت جزءا من الدولة الإسلامية العثمانية ، وذهبت رسلهم إلي مقابلة السلطان فى استانبول ومن الذين ذهبوا لمقابلة السلطان : اليهودى «قره صو أفندى» ، ورئيس المؤتمر الصهيونى «هرتزل» وقد عرض هؤلاء على السلطان فى بادىء الأمر أن يسدد اليهود ديون الدولة العثمانية ، وأن يخصوا السلطان بخمسة ملايين ليرة عثمانية ذهبا ، ولكن السلطان - الذى كان على وعى تام بمخططات الكفار ضد بلاد المسلمين ، وكان يحذر الواعين من الأمة من هذا التامر - رفض العرض .

وظن اليهود أن الأمر يتعلق بقلة المبالغ التى عرضوها فأخذوا يرفعون الرشوة حتى بلغت الآتى :

تسديد ديون الدولة العثمانية ، وتعمير الأسطول العثمانى ، ومبلغ مائة وخمسين مليون ليرة ذهبا للسلطان شخصيا،ولكن السلطان المسلم - رحمه الله - أخبرهم بأن حفنة من تراب الأرض المقدسة تساوى أموال اليهود التى فى الدنيا فقرر اليهود أن يتخلصوا منه فتعاونت المحافل الماسونية مع الحركة القومية الطورانية واليهود الدونمة - الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر - مع النصارى ، وتم عزل السلطان سنة ١٩٠٩ م ونفى إلى سالونيك وأهين وعذب وشوهت سمعته - رحمه الله .

= فقد أمه ولم يتجاوز عمره سبع سنوات ، تعلم اللغتين العربية والفارسية ودرس كثيراً من الكتب الأوربية ، بويع بالخلافة فى ٣١ آب عام ١٨٧٦ م وكان عمره آنذاك أربعا وثلاثين سنة ، تولى الخلافة فى وقت كانت ديون الدولة العثمانية كثيرة جداً ، ويعد أعظم خليفة فى عصر انحطاط الدولة العثمانية ، ولا شك أنه قام بأعمال وخدمات جليلة ، خلع السلطان عبدالحميد فى ٢٧ نيسان ١٩٠٩ م إثر مؤامرة اشترك فيها اليهود والاتحاديون ،وأرسل إلى سلانيك - مدينة يونانية ، وكانت حينئذ تحت الحكم العثمانى - وبقى هناك تحت الإقامة الجبرية ، ثم نقل إلى أحد قصور استانبول الثانية ، حيث توفى بتاريخ ١ شباط عام ١٩١٨ م عن عمر يناهز الثامنة والسبعين ، رحمه الله رحمة واسعة

انظر . السلطان عبد الحميد الثانى ، مذكراتى السياسية (١٨٩١ - ١٩٠٨ م) ص ١١ - ١٥ بتصرف ط مؤسسة الرسالة (الخامسة) ٦ ١٤هـ - ١٩٨٦م .

وكـان اليهـود قد تـعاونوا مع الانجليـز فى أثناء الحـرب ، وكان «وايزمـان»(١) اليهودى عالما كيـماويا فاستغل مخترعاته فى اثناء الحـرب ، وكذلك البيوتات المالية اليهودية ، مثل «روتشلد» فـاستغلت حاجة بريطانيا لمختـرعاته وأموالهم ، وكانت بريطانيا لاتزال العدو الأول للمسلمين فأعطت اليهود وعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م ، وكـان ذلك فى أثناء الحرب وبـاتفاق مع امـريكا ، وينص الوعـد على إنشاء وطـن قومى لليـهود فى فلسطين ، وكـان هذا أول تعاون بارز بين بريطانـيا النصرانية واليهود .

وقامت بريطانيا النصرانية بهذا الأمر شـر قيام ، فعينت أول مندوب سام لها فى فلسطين من الـيهـود وهو «هربرت صـمـويل» وبدأت إباحـة الهـجـرة اليـهـودية لفلسطين، مع فرض ضرائب باهظة على الأرض حتى يضطر الفلاح العربى المسلم إلى بيعـها ، وإباحة استـيراد القمح من استـراليا وبيعـه بأرخص من القمح الذى تنتجه أرض فلسطين ، وحتى لا تقوم الأرض بتكاليفـها وتكاليف معيشة الفلاح ، ومع هذا فـإن هذه السـياسـة لم تنجح في أن يبـيع أهل فلسطين أرضـهم وبقـوا متشبثين بها ، بالرغم مما يقوله أعوان اليهود .

وأخذ الشعب فى فلسطين يقاوم سياسة التهديد ويتشبث بأرضه ، فقام بالثورات المتـلاحقـه فكانت ثورة سنـة ١٩٢١م ، وثورة سنة ١٩٢٩م ثم سنة ١٩٣٣م، ثم الثـورة الكبـرى من عام ٣٦ إلى عـام ١٩٣٩م . حـيث قام الشـعب كله يصـارع بريطانيا واليهود ، ويضرب المثل للدنيا فى التـضحية والفداء ، وقدم آلاف الشهداء وتعرض للـتعذيب فى السـجون والمعـتقلات ، وعـاش الناس فى إرهاب ، ولكن روح التحدى فيهم كـانت عالية لم تستطع بريطانيا اقتلاعـها أو تدميرها بالرغم من المشاكل وفى هذه الأثناء أنشأت بريطانيا جيشا لليهود ، أخذت تدربه وتسلحه باسم

(١) وايزمان : أول رئيس لدولة إسرائيل ، حيث انتخبه الكنيست (البرلمان) فى ١٦ فبراير (شباط) سنة ١٩٤٩ م

حرس المستعمرات «الهاغاناه» وكان هذا الحرس هو النواة الحقيقية لجيش دولة اليهود فيما بعد . . وكل رؤساء الأركان فيما يسمى بجيش الدفاع اليهودى منذ سنة ١٩٤٨م هم من ضباط هذا الفريق اليهودى مثل : ديان ، وآلون، ويادين ، وغيرهم .

وهكذا عملت بريطانيا بإعطاء اليهود كل ما يريدون وأكثر مما يريدون ، وأسست لهم دولة فى أرض الإسلام ، حتى تم الاعتراف بهذه الدويلة على مستوى أمريكا ودول أوروبا (١) .

إقامة دولة اسرائيل :

وفى عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م تحقق الحلم الصهيونى وتواطأت القوى الدولية جمعاء لإقامة مملكة يهوذا فى البقعة المباركة من العالم الاسلامى ، لتصبح بؤرة التفجر الدائمة فى المنطقة ، ولتشرد مئات الآلاف من المسلمين عن أرضهم ، ولتعمل على طمس الحضارة الإسلامية فى فلسطين لتحل محلها حضارة العبريين شذاذ الأفاق .

كما أدت غفلة الأنظمة العربية إلى تمهيد الطريق بشكل وبآخر لقيام دولة إسرائيل .

وفي ١٥ مايو من سنة ١٩٤٨م أعلن «ابن جوريون «استقلال إسرائيل» وتبع ذلك تسابق الدول الكبرى على الإعتراف باسرائيل ، وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتي ، لما يحققه قيام إسرائيل من مصالح مشتركة للقوى العظمى فى المنطقة ، ولما يتضمنه من خطر على الإسلام ، وأقطار العالم الإسلامى جمعاء .

---

(١) زوال إسرائيل حتمية قرآنية ، ص ٥٢ - ٥٦ بتصرف

وعلى مدى أربعين عامـا ، حتى اليوم كانت إسرائيل تتحـدى العالم الإسلامى عسكريا، وتزايدت غطرستها بعد كارثة عام ١٩٦٧ م بصورة خاصة ، حيث تمكنت من إحتلال مواقع جديدة على كل الجبهات العربية » (١)

«وعلى الرغم من استمرار أعمال المقاومة بين حين وآخر ، إلا أنه استقر خنجر الصهيونية الاستعمارية فى قلب العالم العربى والإسلامى تدمى قلبه وتنهك قواه، وتقضى على مقوماته الدينية والأخلاقيـة وغيرهما ، واستمرت الحرب بينهم وبين المسلمين ، وفى الوقت الذي أعلن فيه قيام دولة إسرائيل قام اليهود بمهاجمة بيوت العرب الآمنين فانقضوا على من فيها مـن النساء والأطفال والشيوخ فقتلوا وذبحوا آلافا مؤلفة – فى الموقعة التاريخية المعروفة بديرياسين – ليشيعوا الرعب فى نفوس العرب فيستكينوا أمـام هذا التيار الزاحف الخبيث ، وليفرغوا البـيوت من أصحابها ويحملوا الكثـير على الهـجرة من أوطانهم فيـصفو الجـو لليهود ، ويتـربعوا على عرش البلاد بلا منازع . » (٢)

«إن موقف اليهود من الإسلام بالأمس هو موقفهم من المسلمين اليوم ، فألوف من إخواننا ذبحهم اليـهود فى صمت وهم يحتلون فلسطين ، والغـريب أن اليهود تركـوا من نصب لهم المجازر فى أقطـار أوربا ، وجبنوا عن مـواجهـتهم بشـر ، واستضعفوا المسلمين الذين لم يسيـئوا إليهم من اثنى عشر قرنا ، فنكلوا بهم على النحو المخزى الفاضح ، الذى لا يزال قائمـاً فى فلسطين ، تشهده وتؤيده وتسانده دول الغرب » (٣)

ولم تكتف اليـهـودية بهـذا كله – على الرغم من فظاعـتـه – ولكنهـا نظمت صفوفها ووحدت جبهتها- فى الوقت الذى استطاعت فيه أن تفرق وحدة أعدائها-

(١) العالم الإسـلامى والمكائد الدوليـة خلال القرن الرابع عـشر الهـجرى «فتـحى يكن » ص ٦٩ إلى ص ٧١ بتصرف ، ط مؤسسة الرسالة (الثانية) سنة ١٩٨٣ م .

(٢) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ بتصرف

(٣) فقه السيرة للغزالى ص ٣٣٨ .

ومكنت لنفسها ، ثم قامت بالهجوم المسلح على الدول المجاورة لها ، تحارب المرة تلو الأخرى ، فى عام ١٩٥٦ م مع العدوان الثلاثى على مصر ، وحربها ضد مصر والأردن ولبنان وسوريا وفلسطين عام ١٩٦٧ م . وقد هزمت تلك الدول جميعها ، واستطاعت أن تحتل الكثير من أرضها الغالية

فاحتلت سيناء بكاملها من مصر ، والجولان من سوريا . والكثير من أرض لبنان ، والضفة الغربية من الأردن ، وقد ابتلعت فلسطين كاملة . وظلت فى مناوشات مع تلك البلاد ، بما يسمى حرب الاستنزاف ، حتى كانت سنة ١٩٧٣ م وفي شهر أكتوبر ، الموافق لشهر رمضان المبارك قامت حرب بين إسرائيل وتلك البلاد ، فحققت فيها تلك البلاد العربية ألوانا من النصر على إسرائيل ، حطم فيها صلفها وكبرياءها وغرورها ، واستطاعت مصر أن تسترد بعض أراضيها التى سلبت منها سنة ١٩٦٧ م ، ثم أخذت بقية أرض سيناء - على مراحل - وذلك عن طريق «معاهدة السلام «أو «كامب ديفيد « سنة ١٩٧٧ م

وقبلت إسرائيل المعاهدة لما فيه من اعتراف بدولتها ، وتأمين لها من الجبهة الغربية - عن طريق السلم مع مصر . ونزع السلاح من سيناء ونحو هذا

فهو سلام فيه أمن وأمان لإسرائيل ، لا سلام فيه رد الحقوق لأهلها ! !

إن المصالح أول ما تفكر فيه إسرائيل ، والقيم آخر ما تنظر إليه ، فلنفطن إلى هذا !

«واستمرت المقاومة من الشعب المسلم الفلسطينى - إذ تخلى الكثير عنها - فقامت تلك الثورة الداخلية العامة ، والتى أطلق عليها اسم « ثورة الحجارة » أو « الانتفاضة » فى مرحلة من مراحل الجهاد فى فلسطين إلى يومنا هذا

ولقد كانت هذه الثورة - وإن كانت بالحجارة - رد فعل عنيف لظلم اليهود ، وتعسفهم وتعصبهم ، ولكن فى مقابل هذا - الذي فعله الصهاينة مع الفلسطينيين

– رجالا ونساءاً وأطفالا – شئ فظيع يفوق كل وصف ، وأمر يزيد عن الخيال فى كثير من الأحيان ! ! »[(١)]

ولا يزال هذا المسلسل الدامى مستمراً ، والبقية تأتى

﴿ والله من ورائهم محيط ﴾[(٢)]

***

(١) لبيك فلسطين بقلم : نقابة المهندسين ، ص ١٢ – ٤٠ بتصرف .

(٢) سورة البروج : ٢٠ .

نصر الله عز وجل للإسلام بسماحته

وإهلاكه اليهود بتعصبهم

زعمت اليهود - فيما أشرنا إليه من قبل - أنهم سيدخلون فى صراع شامل معهم ، وهذا الصراع سينتهى - حتما - بانتصار اليهود ، وفناء من يقف أمامهم، بل يمكن أن يؤدى إلى فناء العالم أجمع لو ساعدت الظروف على ذلك فإسرائيل التى ينبغى أن تستمر ، وما عداها لابد وأن ينتهى .

وهذه دعوى تحتاج إلى بينة ، وينقصها الدليل ، ولا محل لها ولا مكان لصدقها إلا ماكان من تعصب اليهود وأنها مظهر من مظاهر تعصبهم العنصرى ، وترتبط بغرورهم وشعورهم بالتمييز والقوة .

ولكن البينة على بطلانها ، والحجة الدامغة تبين زيفها ، والدليل يوضح كذبها ، وذلك نجده فى كتاب الله تعالى : ﴿ **ومن أصدق من الله حديثا** ﴾ [١] ؟ وكذلك ﴿**ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** ﴾ [٢] .

وإذا ذكر ربنا سبحانه وتعالى ذلك فى كتابه فهو وعد من الله ﴿ **ومن أوفى بعهده من الله** ؟[٣] **إن وعد الله حق** ﴾ [٤] .

ويكون ذلك بمثابة البشارة لأهل الإيمان ﴿ **وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** ﴾ [٥] والنذارة لأهل الفساد والطغيان ﴿ **وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ..** ﴾ [٦] .

وهذا الإسلام هو دين الله الذى وعد بنصرته وإظهاره على كل دين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴿ **هو الذى أرسل**

---

(١) سورة النساء : ٨٧

(٢) سورة المائدة : ٥٠ .

(٣) سورة التوبة : ١١١

(٤) سورة الروم : ٥٩ .

(٥) سورة الصف : ١٣ .

(٦) سورة الأعراف : ١٦٧ .

رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (١) .

وأتباع هذا الدين موعود لهم بالتمكين - مع شروطه - ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا - يعبدوننى لا يشركون بى شيئا .. ﴾** (٢) .

وأن لهم العاقبة - إن شاء الله - ﴿ **والعاقبة للمتقين ﴾** (٣) ولو انتصر اليهود لكانت العاقبة للمجرمين أو الظالمين الكافرين ، ولن تكون !!

ويقول تعالى : ﴿ **وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾** (٤) .

وقفة مع تفسير هذه الآيات ، والمراد منها ، والراجح من الأقوال ، وما يستفاد من الآيات : يقول ابن كثير : « يخبر تعالى أنه قضى إلى بنى إسرائيل فى الكتاب أى تقدم إليهم وأخبرهم فى الكتاب الذى أنزله عليهم أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين ويعلون علوا كبيرا أى يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس كقوله تعالى : ﴿ **وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾** (٥) أى تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به ، وقوله ﴿ **فإذا جاء وعد أولاهما ﴾** أى أولى الإفسادتين بعثنا عليكم عباد لنا أولى بأس شديد أى سلطنا عليكم جندا من خلقنا

(١) سورة الصف : ٨ ، ٩ .
(٢) سورة النور ٥٥ .
(٣) سورة القصص : ٨٣ .
(٤) سورة الإسراء ٤ - ٨ .
(٥) سورة الحجر : ٦٩ .

أولى بأس شديد أى قوة وعدة وسلطنة شديدة ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ أى تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم أى بينها ووسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا وكان وعدا مفعولا وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف فى هؤلاء المسلطين عليهم من هم؟ فعن ابن عباس وقتادة أنه جالوت الجزرى وجنوده سلطه عليهم أولا ثم أديلوا عليه بعد ذلك ، وقتل داود جالوت ، ولهذا قال ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم .. ﴾ الآية ، وعن سعيد بن جبير أنه ملك الموصل «سنجاريب » وجنوده ، وعنه أيضا وعن غيره أنه بختنصر ملك بابل .. وهذا وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقا «﴿وما ربك بظلام للعبيد ﴾ [١] فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقًا من الأنبياء والعلماء ، وقد حدث ما يطول ذكره ويعظم أمره » [٢] .

ثم قال تعالى : ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾ أى فعليها ، كما قال تعالى : ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها .. ﴾ [٣] وقوله ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ﴾ أى الكرة الآخرة أى إذا أفسدتم الكرة الثانية وجاء أعداؤكم ﴿ليسؤوا وجوهكم ﴾ أى يهينوكم ويقهروكم ﴿ وليدخلوا المسجد ﴾ أى بيت المقدس ﴿ كما دخلوه أول مرة ﴾ أى فى التى جاسوا فيها خلال الديار ﴿ ليتبروا﴾ أى يدمروا ويخربوا ﴿ ماعلوا﴾ أى ما ظهروا عليه تتبيرا ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ أى فيصرفهم عنكم وإن عدتم عدنا أى متى عدتم إلى الإفساد عدنا إلى الإذلالة عليكم فى الدنيا مع ما ندخره لكم فى الآخرة من العذاب والنكال ، ولهذا قال : ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ أى مستقرا ومحصرا وسجنا لا محيد لهم عنه .

---

(١) سورة فصلت ٤٦

(٢) تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ص ٢٥ بتصرف

(٣) سورة فصلت ٤٦

وقال ابن عباس : حصيرا أى سجنا ، وقال مجاهد يحصرون فيها وكذا ، قال غيره: وقال الحسن فراشا ومهادا ، وقال قتادة : قد عاد بنو إسرائيل فسلط الله عليهم هذا الحى محمداً ﷺ وأصحابه يأخذون منهم الجزية عن يد وهم صاغرون[١] .

وقال صاحب صفوة التفاسير : ﴿ **وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب** ﴾ أى أخبرناهم وأعلمناهم وأوحينا إليهم فى التوارة ﴿ **لتفسدن فى الأرض مرتين** ﴾ أى ليحصلن منكم الإفساد فى أرض فلسطين وما حولها ، قال ابن عباس : أول الفساد قتل زكريا والثانى قتل يحيى عليهما السلام ﴿ **ولتعلن علوا كبيرا** ﴾ أى تطغون فى الأرض المقدسة طغيانا كبيرا والظلم والعدوان وانتهاك محارم الله ﴿ **فإذا جاء وعد أولاهما** ﴾ أى أولى المرتين من الإفساد ﴿ **بعثنا عليكم عبادا لنا** ﴾ أى سلطنا عليكم من عبيدنا أناسا جبارين للانتقام منكم ﴿ **أولى بأس شديد** ﴾ أى أصحاب قوة وبطش فى الحرب شديد ، قال المفسرون : إن بنى إسرائيل لما استحلوا المحارم وسفكوا الدماء سلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فقتل منهم سبعين ألفا حتى كاد يفنيهم هو وجنوده ، وذلك أول الفسادين ﴿ **فجاسوا خلال الديار** ﴾ أى طافوا وسط البيوت يروحون ويغدون للتفتيش عنكم واستئصالكم بالقتل والسلب والنهب لا يخافون من أحد ﴿ **وكان وعدا مفعولا** ﴾ أى كان ذلك التسليط والانتقام قضاء جزما حتما لا يقبل النقض والتبديل ﴿ **ثم رددنا لكم الكرة عليهم** ﴾ أى ثم لما تبتم وأنبتم أهلكنا أعداءكم ورددنا لكم الدولة والغلبة عليهم بعد ذلك البلاء الشديد ﴿ **وأمددناكم بأموال وبنين** ﴾ أى أعطيناكم الأموال الكثيرة والذرية الوفيرة بعد أن نهبت أموالكم وسبيت أولادكم ﴿ **وجعلناكم أكثر نفيرا** ﴾ أى جعلناكم أكثر عددا ورجالا من عدوكم لتستعيدوا قوتكم وتبنوا دولتكم ﴿ **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم** ﴾ أى إن أحسنتم يابنى إسرائيل فإحسانكم لأنفسكم

---

(١) تفسير ابن كثير ، جـ ص ٢٦ .

ونفعه عائد عليكم لا ينتفع الله منه بشيء ﴿ **وإن أسأتم فلها** ﴾ أى وإن أسأتم فعليها ، لا يتضرر الله بشيء منها ،فهو الغنى عن البعاد ، لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ﴿ **فإذا جاء وعد الآخرة** ﴾ أى فإذا جاء وعد المرة الأخيرة من إفسادكم بقتل يحيى وانتهاك محارم الله بعثنا عليكم أعداءكم مرة ثانية ﴿ **ليسوؤا وجوهكم** ﴾ أى بعثناهم ليهينوكم ويجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية على وجوهكم بالإذلال والقهر ﴿ **وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة** ﴾ أى وليدخلوا بيت المقدس فيخربوه كما خربوه أول مرة ﴿ **وليتبروا ما علوا تتبيرا** ﴾ أى وليدمروا مملكتهم تدميرا ﴿ **عسى ربكم أن يرحمكم** ﴾ أى لعل الله يرحمكم ويعفو عنكم إن تبتم وأنبتم ، وهذا وعد منه تعالى بكشف العذاب عنهم إن رجعوا إلى الله ، «عسى» من الله واجبة ﴿ **وإن عدتم عدنا** ﴾ أى وإن عدتم إلى الإفساد والإجرام عدنا إلى العقوبة والانتقام ﴿ **وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** ﴾ أى جعلنا جهنم محسبا وسجنا للكافرين لا يقدرون على الخروج منها أبد الآبدين »[1] .

هذا وقد ذكرت أقوال المفسرين تشبه ما ذكرناه وأقوال لم نذكرها لضعفها الشديد مع خشية الإطالة ، والحق أن هذه التفسيرات فيها نظر ، ولنا عليها وجوه اعتراض ، فمن هذه الأقوال ماورد فى آثار ضعيفة ، ومنها ما هو يخالف الثابت تاريخيا ، بتقديم أو بتأخير ويتنافى مع الحقائق الصحيحة ، أو ما هو ظاهر البطلان لاضطرابه وكذلك قصر الآيات فى تفسيرها على زمن ما قبل الإسلام ، فقط ، متجاهلين أسلوب المستقبل الوارد فى الآيات أو نسيان تكرار هذا الأمر ﴿**وإن عدتم عدنا** ﴾ أو عدم توجيه الآيات إلى الموعظة المقصودة منها .

لماذا قص الله عز وجل علينا هذه الآيات ؟ وما فائدة أن يخبر الله تعالى عن إفساد بنى إسرائيل وعقابهم ؟

(١) صفوة التفاسير ، تأليف محمد على الصابونى جـ ٢ ص ١٥٢ ، ١٥٣ ط دار القرآن الكريم بيروت سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م « الرابعة » .

الجواب : إن الأخبار بذلك ، فيه حكم ومنه فوائد ، وله دروس وفيه عبر ، وهذا شأن القرآن الكريم « عظة واعتبار » ومنهما : أن الله - تعالى - لا يظلم الناس شيئا ، وإنما يعاقبهم على ما يكون منهم من إفساد ويعفو عن كثير ، وأن رحمته مفتوحة للمفسدين متى أصلحوا وأنابوا إليه .

* تنبيه العقلاء فى جميع الأمم أن يحذروا من مواقعة المعاصى التى تؤدى بالأمة إلى الهلاك وأن يحذروا أممهم من ذلك ، ويبصروهم بعواقب العصيان والإفساد فى الأرض حتى لا يعرضوا أنفسهم لعقوبة الله - تعالى - .

* بيان أن الأمم المغلوبة تستطيع أن تستعيد قوتها ، وأن تسترد مجدها السالف إذا صحت عزائمها على طاعة الله تعالى والعمل بما جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

* تنبيه اليهود - من خلال القرآن الكريم - المعاصرين للنبى عليه الصلاة والسلام ومن على شاكلتهم من المشركين ، إلى سنة من سنن الله - تعالى - فى خلقه ، وهى أن الإفساد فى الأرض والانصراف عن طاعته - سبحانه - والتعدى لحدوده والمخالفة لأوامره والعصيان لرسله ، كل ذلك يؤدى إلى الخسران فى الدنيا والآخرة ، فعلى اليهود وغيرهم من الناس أن يؤمنوا بمحمد ﷺ الذى ثبتت نبوته ثبوتًا لا شك فيه ، حتى يسعدوا فى دنياهم وأخراهم »[1] .

* من سنة الله تعالى أن يمن على الذين استضعفوا فى الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين ، متى استقاموا على طريقه وخافوا مقامه ونهوا أنفسهم عن الهوى ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾[2] .

* لا يجوز قصر الآيات على ما سبق فقط ، لأن القرآن الكريم معطاء ، ولا يزال يعطى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ، ص ٦٣٦ ، ٦٣٧ بتصرف .
(٢) سورة غافر : ٥١ .

يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ [١] .

كما لا يجوز تماما قصر هذه الآية عليهم أو على ماضيهم وما سبق ﴿ **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها..** ﴾ [٢] ومعلوم أنها سنة من سنن الله العامة والماضية التى لا تتبدل ولا تتغير .

*** الراجح في تفسير الآيات :**

أقول : إن تفسير هذه الآيات - كما ذكره المفسرون - اجتهادى - وليس توفيقي، إذ لم يرد فى السنة فيها شيء ولم يصح عن رسول الله ﷺ حديث فى بيان المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى إسرائيل فى مرتى الإفساد الذى قاموا به ، وإلا لذكره المفسرون فى كتبهم .

- الإفساد فى الأرض قد حدث من بنى إسرائيل كثيرا :

ومنه النزاع بينهم ، أى بين أسباط إسرائيل ، وسبطى يهوذا وبنيامين ومن ذلك تحريفهم للتوراة وتركهم للعمل بما فيها من أحكام وقتلهم الأنبياء واعتداؤهم على الذين يأمرون بالقسط من الناس وشيوع الفواحش والرذائل فيهم واتهامهم الأنبياء، ومحاولتهم قتل « عيسى بن مريم » عليه الصلاة والسلام واتهامهم لأمه ، وأكلهم الربا وأموال الناس بالباطل ، وعدم تناهيهم عن منكر واستحلالهم لمحارم الله إلى غير ذلك من الرذائل التى فشت فيهم واشتهروا بها ، وهذا كله قبل الإسلام ، ثم تكرر ذلك منهم بعد الإسلام ، وهموا بقتل الرسول ﷺ ، ونقضوا عهده ، وآذوا أصحابه ، وأعانوا أهل الشرك عليهم - الخ ..

ومع كثرة الفساد كانت تكثر فيهم عواقبه ونتائج هذا الفساد :

رد فعل مباشر حتى يعلنوا عن التوبة والإصلاح ، ومن ذلك على يد ملك

---

(١) سورة فصلت ٥٣

(٢) سورة الاسراء ٧

آشور، والآشوريين « ونخو - فرعون مصر » وبختنصر ، والإسكندر المقدونى وبطليموس والسلوقيين ومنهم « انطوخيوس » والرومان بقيادة بامبيوس وغابينيوس وهيرودس وأنطونيوس وفسبسيان وتيطس وتراجان وأدريانوس ويوليوس سيفيروس، كان ذلك على يد ملوك الرومان ، والواحد تلو الآخر ثم عقوبتهم جزاء ما اقترفوه - على يد النبى ﷺ والمسلمين بحربهم وإخراجهم من المدينة ، وقتل رجالهم فى قريظة ، وسبى نسائهم وذراريهم وأموالهم ،وإخراجهم من الجزيرة العربية كاملة فى عهد « عمربن الخطاب» رضى الله عنه ، وفتح بيت المقدس بعد ذلك وفى العصر الحديث ، لقى اليهود - فى بعض العهود - ألوانا من التعذيب وصنوفا من القتل والتشريد فى بريطانيا على يد الملك الإنجليزى «يوحنا » والملك إدوارد الأول وفى فرنسا فى عهد لويس التاسع وفيليب الجميل ونابليون ، وفى إيطاليا على يد البابوات والشعب الإيطالى ، وفى أسبانيا من الملوك والشعب الأسبانى ، فى عهد الملك « فرديناند » وزوجته « إيزابيلا » وفى روسيا بعد الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ م ومن أبرز المذابح التى أوقعها الروس باليهود مذبحة سنة ١٨٨١ م سنة ١٨٨٢ م ثم بعد معرفة البروتوكولات - وقد فضح نياتهم ، عمت المذابح وفى ألمانيا ومن آخر مالاقوه فيها على يد « هتلر » .. وحروبهم مع العرب .. الخ .

وإنما المقصود بالمرتين - فى الآية - هو أظهر مرتين حدث فيهما الإفساد منهم ، ومما يدل على أن هذا الافساد وقد تكرر منهم ، وأنهم عوقبوا عقب كل مرة ، قوله تعالى - بعد ذلك - ﴿ **وإن عدتم عدنا**﴾ وكذلك مما يدل على أن التسليط عليهم مستمر إلى يوم القيامة بسبب كفرهم وفسوقهم ، قوله تعالى : ﴿ **وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب** .. ﴾ (١) فما هما المرتان ؟ (٢) .

(١) سورة الأعراف : ١٦٧ .

(٢) راجع بتوسع بنو إسرائيل فى القرآن والسنة من ص ٦١٤ إلى ص ٦٤٥

وعند تحديد المرتين ، وترجيح القول فى ذلك ، لابد أن نضع فى حسباننا الآتى :

(أ) الرجوع إلى التاريخ الصحيح هو الذى يفيدنا فى بيان المقصود من مرتى الإفساد اللتين قضى الله بهما إلى بنى إسرائيل فى الكتاب ، وفى بيان المراد من العباد الذين سلطهم الله عليهم عقب إفسادهم الأول والثانى

(ب) اختلاف أنظار المؤرخين والمفسرين فى المقصود من مرتى إفسادهم ، وفيمن سلطه الله عليهم ، على حسب ما يتراءى لكل ناظر ، فيما حدث من بنى إسرائيل من فساد ، وما رتبه الله عليه من عقوبات .

(جـ) تعميم الآيات على الماضى والحاضر والمستقبل ، إذ لا دليل يمنع ذلك .

(د) ماتحمله الآيات من بشارة وعظة وما فيها من حكمة .

فنقول وبالله التوفيق :

(أ) فى تفسير الآيات - بالنسبة لما قبل الإسلام - بالرجوع إلى التاريخ الصحيح الذى يتلائم مع القرآن ، نقرر أن الإفساد الأول - من بنى إسرائيل - تمثل فى معصية الله والاعلان عنها ،والتكبر عن الطاعة والاستعلاء على الناس بغير حق واتهام الأنبياء والاعتداء على الذين يأمرون بالقسط من الناس وشيوع الفاحشة فسلط الله عليهم « جالوت » وجنوده فجاس خلال الديار ، وضرب عليهم الخراج والذل فسألوا الله تعالى أن يبعث لهم ملكا يقاتلون فى سبيل الله ، فبعث الله طالوت فقاتلوا جالوت فنصر الله بنى إسرائيل ، وقتل « جالوت » بيد داود الذى ملك بنى إسرائيل بعد ذلك - ورجع إلى بنى إسرائيل ملكهم ، فجعل الله الكرة لبنى إسرائيل وجعل لهم الدولة والغلبة وأمدهم بالأموال والبنين والعدد والعُدد والرخاء والقوة والأمان والاطمئنان ، خاصة فى ملك داود وازدادت حالتهم رقيا ومنعة فى عهد ابنه سليمان .

ثم عاد بنو إسرائيل للإفساد فى الأرض مرة ثانية - ومن ذلك - قتلهم زكريا ويحيى - عليهما السلام - ومحاولتهم قتل « عيسى » - عليه السلام - وتحريفهم التوارة ، وتركهم العمل بما فيها ، ووقوعهم فى ألوان من الشرك والمعاصى ، وحب الدنيا ، فعاودهم الله بالعقوبة - على هذه أيضا - فسلط عليهم « بختنصر» - كما يرى ابن عباس وقتادة « رضى الله عنهما » الذى خرب المسجد ، ودمر وقهر وأذل وغلب ، وسبى وقتل ، وسامهم سوء العذاب أكثر من مرة . كما يحتمل أن يكون المسلط عليهم - فى المرة الثانية - هم الرومان بقيادة تيطس » سنة ٧٠ م لأمور أهمها :

أولا : أن الذى يتتبع التاريخ يرى أن رذائل بنى إسرائيل فى الفترة التى سبقت تنكيل الرومان بهم أشد وأكبر من رذائلهم التى سبقت إذلال « بختنصر » لهم وبالتالى كان تسليط الرومان عليهم أنكر وأقسى ، فهم على سبيل المثال قبيل بطش الرومان بهم بقيادة « تيطس » كانوا قد قتلوا من أنبياء الله زكريا ويحيى - عليهما السلام - وحاولوا قتل عيسى - عليه السلام - وكانت الرذائل والمنكرات قد فشت فيهم ، مما أدى إلى لعنهم على لسان « عيسى عليه السلام » بسبب ذلك ، فكانت ضربات الرومان القاصمة لهم .

ثانيا : المفسرون يذكرون أن تسليط الله عليهم « بختنصر » فى المرة الثانية من مرتى الفساد كان سببه قتلهم ليحيى - عليه السلام ، ولا يستقيم هذا ، لأن «بختنصر» كان سابقا على « يحيى » فى الزمن بأكثر من خمسة قرون ، والذين كانت أورشليم تحت سيطرتهم فى عهد « يحيى » عليه السلام ، هم الرومان ، وقد قتله بنو إسرائيل ، كما قتلوا أباه « زكريا - عليه السلام » فى عهدهم كذلك وإنما يستقيم القول بأن المسلط عليهم « بختنصر » إذا لم يحدد الفساد بقتل «يحيى» أو زكريا عليهما السلام ، وعم على فساد بنى إسرائيل من بعد موت سليمان عليه السلام - وقد تنازعوا فيما بينهم واستمر الصراع طويلا ، حتى قضى الآشوريون

على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق . م ، وقضى بختنصر على مملكة يهوذا وهو على قيادة البابلين - سنة ٥٨٨ ق . م، وتاريخهم بعد ذلك ما هو إلا سلسلة من المآسى والنكبات والعقوبات ، التى حلت بهم من الشعوب المختلفة ، فى شتى مراحل التاريخ بسبب فسادهم وإفسادهم فى الأرض .

ثالثا : ضربات الرومان - فى ذاتها - كانت أقسى وأشد على بنى إسرائيل من ضربات « بختنصر » لهم والنكبة التى أنزلها الرومان باليهود أشنع بكثير من النكبة التى أنزلها بهم « بختنصر » ولأنهم بعد تنكيل « بختنصر » بهم وسجنهم فى أسره زهاء خمسين عاما عادوا إلى أورشليم مرة أخرى بمساعدة « قورش » ملك الفرس وبدءوا يتكاثرون من جديد أما بعد تنكيل الرومان بهم ،فلم تقم لهم قائمة ، ومزقوا فى الأرض شر ممزق ، وانقطع دابرهم كآمة ، وقضى على كيانهم كدولة أو ما يشبه الدولة، ولم يبق لهم تاريخ - فيما بقى من العصور - إلا ملحقا بتاريخ الممالك التى نزلوا فيها .

وإذن فما أنزله « تيطس » ومن بعده الرومان باليهود يعتبر - فى رأينا - أشد وأقسى - فى ذاته وآثاره - مما أنزله بختنصر بهم ، بل لعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا : إن ضربة « تيطس » الرومانى لهم هى أكبر عقوبة حلت بهم منذ موت « سليمان عليه السلام » سنة٩٧٥ ق . م ، حتى أواخر القرن الأول الميلادى .

ولهذه الأسباب نرجع أن يكون المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى إسرائيل عقب إفسادهم الثانى فى الأرض ، هم الرومان بقيادة (تيطس) ومع هذا فكون (بختنصر) ليس ببعيد - كما بينا ، فالاحتمال قائم ، ولكن الأول أولى، ومع ترجيحنا بأن المسلط عليهم فى المرة الأولى هو « جالوت » وجنوده على التحقيق ، وقد استندنا فى اختيارنا لهذا الرأى إلى أمور من أهمها ما يلى :

أولا : بالنسبة لجالوت اتفق ذلك مع القرآن الكريم عند عرضه لقصة القتال الذى دار بين « طالوت » قائد بنى إسرائيل » وبين « جالوت » قائد أعدائهم ،

وفيه ما يدل على أن بنى إسرائيل كانوا قبل ذلك مقهورين مهزومين من أعدائهم ، حتى طلبوا من نبـيهم أن يبعث عليهم ملكا يقودهم إلى القـتال ، وقد ألحوا على القـتال مما يدل دلالة قـوية أنهم قبل قـتـالهم لجالوت كـانوا قد هزمـوا على أيدى أعدائهم هزائم منكرة ، اضطروا مـعها إلى الخروج من ديارهم ومـفارقة أبنائهم . قال تعالى: ﴿ **ألم تر إلى الملأ من بـنى إسرائـيل من بعـد مـوسى إذ قالـوا لبنى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبـيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم الـقتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ..** ﴾ [١] .

ثانيا : صرح بعض المفسرين بأن الأعداء الذين أخرجوا بنى إسرائيل من ديارهم وأبنائهم قوم جالوت وأنهم كانوا قد غلبوا بنى إسـرائيل وقتلوا عددا كبيرا منهم ، وذلك قـبل أن تعـود الكرة لبنى إسـرائيل عليـهم بقـيـادة طالوت . قـال الإمـام الألوسى: « وكان سبب طلب بـنى إسرائيل من نبيهم أن يبعث لهم مـلكا ليقاتلوا فى سبيل الله ، أن أعداءهم العمالقة قوم جالوت ، ظهروا عليهم وتغلبوا على كثير من بلادهم ، وضربوا عليهم الجزية » [٢] .

ثالثا : قوله تعالى : ﴿ **ثم رددنا لكم الكرة عليهم** ﴾ صريح فى أن الله - تعالى - نصـر بنى إسرائيل بعـد أن تابوا وأنابوا على أعـدائهم الذين قهـروهم وأذلوهم وجاسوا خلال ديارهم .

وهذا المعنى ينطبق على ما قصه القـرآن الكريم علينا من أن بنى إسرائيل بقيادة طالوت قد انتصروا على « جـالوت » وجنوده ومن أن « داود » قد قتل جالوت ، قال تعالى : ﴿ **ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ عـلينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ..** ﴾ [٣] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٤٦ .

(٢) تفسير روح المعانى ، للألوسى جـ ٢ ص ١٤١ بتصرف .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٠ ، ٢٥١ .

ولقد كان هذا النصر نعمة لبنى إسرائيل ، لأنه أتاهم بعد أن خرجوا من ديارهم وأبنائهم ، وبعد أن اعترضوا على اختيار طالوت ملكا عليهم ، وبعد أن قاتل مع طالوت عدد قليل منهم ، ولا شك أن النصر فى هذه الحالة أدعى لطاعة الله تعالى وشكره على آلائه .

رابعا : قوله تعالى : ﴿ **وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا** ﴾ أكثر ما يكون انطباقا على عهد حكم « داود » وابنه « سليمان » عليهما السلام لبنى إسرائيل ، الذى ازدهرت فيه مملكتهم ، وعز سلطانهم ، وأمدهم الله خلاله بالأموال الوفيرة والبنين الكثيرة ، وجعلهم أكثر من أعدائهم قوة وعددا .

أما بعد هذا العهد فقد انقسمت مملكتهم إلى قسمين : مملكة يهوذا ، ومملكة إسرائيل واستمرتا فى صراع ونزاع - كما بينا .

خامسا : بالنسبة لترجيح « تيطس » على « بختنصر » بعد الإفساد الثانى - فقد كان ذلك حسب تحقيق تاريخى ، قد ذكرناه [١] .

* كان هذا الكلام فيما يرتبط بتفسير الآيات قبل الإسلام .

وقفة ثانية مع الآيات : لقد ذكرنا - بفضل الله عز وجل - تفسير الآيات على المعنى الذى ذهب إليه المفسرون - قبل الإسلام - وأنهما - أى الإفسادين وعقوبتهما قد تما على نحو فصلنا فيه وبينا الراجح منه .

ولكن لا يفوتنا أن هذه الآيات بمعناها لا تزال حية تتجدد بتجدد الأيام ، يقصد بها العظة والاعتبار وأن المقصود من سياق الآيات ، إنما هو بيان سنة من سنن الله فى الأمم حال صلاحها وفسادها ، وقد ساق القرآن الكريم هذا المعنى بأحكم عبارة ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها** ﴾ ولا شك أن هذه السنة ماضية فى الأمم دون تبديل فى كل زمان ومكان .

---

(١) راجع بتوسع : بنو إسرائيل فى القرآن والسنة من ص ٦٤٥ إلى ص ٦٥١

ومادام هذا هو المقصود من سياق الآيات ، ففهمه لا يتوقف على تجديد مرتى إفسادهم وتجديد المسلط عليهم عقب كل مرة ويعجبنى فى هذا المقام قول الحافظ ابن كثير : وفيما قص الله علينا فى كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهما ، وقد أخبر الله عنهم لما طغوا وبغوا ، سلط الله عليهم عدوهم واستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء»[1].

وقول الإمام الرازى : « واعلم أنه لا يتعلق كثير غرضى فى معرفة أولئك الأقوام بأعيانهم ، بل المقصود هو أنهم لما أكثروا من المعاصى سلط الله عليهم أقواما آخرين فقتلوهم وأفنوهم » [2] .

وقول « أبى حيان » فى البحر المحيط : « وأعلم الله بنى إسرائيل فى التوارة أنه سيقع عصيان وكفر للنعم وأنه سيرسل عليهم أمة تغلبهم وتقتلهم وتذلهم ثم يرحمهم بعد ذلك ، ويجعل لهم الكرة ، ويردهم إلى حالهم الأولى من الظهور فتقع منهم المعاصى ، وكفر النعم والظلم والقتل والكفر بالله من بعضهم ، فيبعث الله عليهم أمة أخرى تخرب ديارهم وتقتلهم وتجليهم جلاء مبرحا ، ودل الوجود بعد ذلك على هذا الأمر » [3] ولعله يقصد بالأخرى قبائل اليهود فى المدينة ، وما نزل فى سورة الحشر والأحزاب وغيرهما .

وما قاله صاحب الظلال« الشهيد سيد قطب » وهذه الحلقة من سيرة بنى إسرائيل لا تذكر فى القرآن إلا فى هذه السورة وهى تتضمن نهاية بنى إسرائيل التى صاروا إليها ودالت دولتهم بها وتكشف عن العلاقة المباشرة بين مصارع الأمم وفشو الفساد فيها ، وفاقا لسنة الله ، وأنه إذا قدر الهلاك لقرية جعل إفساد

(١) تفسير ابن كثير ،جـ ٣ ص ٢٥ بتصرف .
(٢) تفسير الأمام الرازى جـ ٢٠ ص ١٥٦ بتصرف .
(٣) تفسير البحر المحيط جـ ٦ بتصرف .

المترفين فيها سببا لهلاكها وتدميرها .. بفساد بنى إسرائيل وظلمهم غلبوا وهزموا، فلما ذاقوا ويلات الغلب والقهر والذل فرجعوا إلى ربهم وأصلحوا أحوالهم ، وفى الوقت ذاته استعلى الفاتحون وغرتهم قوتهم ، فطغوا هم الآخرون وأفسدوا فى الأرض غير الله الكفة ، فأدال الله للمغلوبين من الغالبين ، ومكن للمستضعفين من المستكبرين ﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين.. ﴾ .

فلما تكرر منهم الفساد سلط عليهم فى المرة الآخرة - ما كان أقسى بمراحل من الأولى - فكان الدمار الذى أهلك المال والديار ، إنه الدمار الشامل الكامل الذى يطغى على كل شىء والذى لا يبقى معه شىء ولا يبقى على شىء « وليتبروا ماعلوا تتبيرا » ولقد صدقت النبوءة ووقع الوعد فسلط الله على بنى إسرائيل من قهرهم أول مرة ، ثم سلط عليهم من شردهم فى الأرض ، ودمر مملكتهم تدميرا ولا ينص القرآن على جنسية هؤلاء الذين سلطهم الله على بنى إسرائيل ، لأن النص عليها لا يزيد فى الفترة شيئا والعبرة هى المطلوبة هنا وبيان سنة الله فى الخلق هو المقصود ويعقب البيان على النبوءه الصادقة والوعد المفعول ، بأن هذا الدمار قد يكون طريقا للرحمة « عسى ربكم أن يرحمكم » إن أفدتم منه عبرة . فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد فى الأرض فالجزاء حاضر والسنة ماضية «وإن عدتم عدنا » .

ولقد عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها، ثم عادوا إلى الإفساد فسلط عليهم عبادا آخرين ، حتى العصر الحديث فسلط عليهم «هتلر» ولقد عادوا اليوم إلى الافساد فى صورة إسرائيل التي أذاقت العرب - أصحاب الأرض- الويلات وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ، تصديقا لوعد الله القاطع ، ووفاقا لسنته التى لا تتخلف .. وإن غدًا لناظره قريب ! » (١) .

(١) فى ظلال القرآن ، للاستاذ / سيد قطب ،جـ ٤ ص ٢٢١٤ .

وهذا الذى قاله الشهيد « سيد قطب » هو منطق الحق ، وعين الإنصاف ، ومكان العبرة ومحل التوفيق بين القديم والحديث فى تفسير الآيات ، وهو ليس بدعا فى هذا القول ، وإنما سبقه إلى هذا « ابن عباس - رضى الله عنهما» فقال - فى قوله تعالى : ﴿ وإن عدتم عدنا ﴾ فعادوا فسلط الله عليهم المؤمنين [١] .

وكذلك ، قال « قتادة - رضى الله عنه » : قد عاد بنو إسرائيل فسلط الله عليهم هذا الحى ، محمد ﷺ وأصحابه يأخذون منهم الجزية عن يد وهم صاغرون» [٢] .

هذا - ومعناه : إن عدتم إلى معصيتى ، ومخالفة أمرى ، وانتهاك حرماتى مرة ثالثة بعد أن تداركتكم رحمتى ، عدنا عليكم بالقتل والتعذيب ، وإحلال الذل والصغار بكم، وتسليط الأعداء عليكم يسومونكم سوء العذاب فى الدنيا .

ولقد عادوا إلى المعاصى ، فعاد الله عليهم بالعقاب ، فقد كذبوا محمدا ﷺ وكتموا ما جاء بشأنه فى التوارة والإنجيل وهموا بقتله ، فسلطه الله عليهم جزاء بغيهم وغدرهم فقتل بنى قريظة وأجلى عن المدينة بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وضرب الجزية علي الباقين منهم ، فكانوا يعطونها للمسلمين عن يد وهم صاغرون .

ثم عادوا إلى فسادهم مرارًا فى العصور التى تلت صدر الإسلام ، فسلط الله عليهم عبادا آخرين أذلوهم وشردوهم ، ومازال اليهود موضع سخط الناس وازدرائهم وبغضهم، لأنانيتهم وعنصريتهم ، وسوء طباعهم وإفسادهم فى الأرض، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ﴾ .» [٣].

---

(١) تفسير الدر المنثور جـ ٤ ص ١٦٣ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٦ .

(٣) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص ٦٤٠ بتصرف .

من أجل هذا أجد انطلاقة بتعميم الآية وعدم قصرها على ما قبل الإسلام ، أو على زمن قد مضى ، بل إنها تحكى واقعا معاصرا ، عشنا بعضه ، ولم يكتمل دوره أو لم تأت مرته الآخرة بعد .

أقول : مع الرضى بما سبق ذكره والاعتقاد بصحته وترجيحه ، وقد حاولنا الجمع بين السابق واللاحق ، فإن هذا لا يحول دون الاجتهاد فى الآيات ، ولا يقف حجر عثرة أمام تفسيراجتهادى حديث يرى أن المرتين ، كلتيهما بعد عصر النبوة ، تمت أولاهما ، وبقيت أخراها ، وهو على النحو التالى .

« مما لا شك فيه أن اليهود دمروا أكثر من مرة قبل الإسلام بعد إفسادهم وعلوهم ، وقبل نزول الآيات ولا غرابة كذلك أن يكون فساد بنى إسرائيل وعلوهم ، ثم تدميرهم بعد الإسلام إذ ليس هناك ما يمنع أن يكون الفساد والعلو ثم التدمير لمرتين بعد نزول الآيات .

والواقع أن المتعمق فى الآيات يجد أن المرتين اللتين أشارت إليهما آيات الإسراء فى علو اليهود وإفسادهم ثم تدميرهم هما بعد نزول آيات الإسراء .

وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ **وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا** ﴾ واللام فى لتفسدن لام الاستقبال والتوكيد واللام فى ولتعلن كذلك لام الاستقبال والتوكيد والملاحظ أنه عبر عن فسادين ولكنه وصف أحد العلوين بأنه كبير و إذا أداة ظرفية تدل على أن الأمر سيقع فى المستقبل ، ولا علاقة لما بعدها بما قبلها فوجود كلمة إذا فى الآية تدل على أن الفساد والعلو ثم التدمير آت وأنه لم يمر ، كما أن استعمال إذا للمرة الثانية يدل على إنها آتية لم تمر ، كذلك .

ثم يقول الله تعالى : ﴿ **فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار** ﴾ أى أن الذين سيتولون تدمير اليهود هم من المؤمنين ، إذ أن الله سبحانه وتعالى حين يضيف كلمة العباد لذاته ، تكون فى

موضع التشريف ، ويختص بها المؤمنين ، كقوله تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا .. ﴾ (١) و﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم..﴾(٢) و ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده..﴾ (٣) .

وأعظم منزلة للنبى ﷺ أنه « عبد الله ورسوله » وفى التشهد « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » وهذا التشريف والتكريم الإيمانى لا ينطبق على البابليين ولا على الرومان أو غيرهم - ممن حارب اليهود قبل الإسلام - لأنهم جميعا من الوثنيين ، وإنما ينطبق هذا الوصف على رسول الله ﷺ وأصحابه الذين جاءوا إلى المدينة ولليهود فيها نفوذ سياسى واقتصادى ، وكان من أول أعماله ﷺ فى المدينة إبرام المعاهدة السياسية بينه وبين اليهود والتى نصت على أن اليهود جماعة مستقلة ، وأن المسلمين جماعة مستقلة ، فلما غدر اليهود ونقضوا العهد - كعادتهم ودأبهم - سلط الله عليهم المسلمين فجاسوا خلال الديار اليهودية وتغلغلوا فيها وأزالوهم عن المدينة وخيبر وتيماء فزال سلطانهم ، ثم تدمير علوهم من خلال معارك بنى قريظة وبنى النضير ومعارك خيبر الشهيرة ، وتأتى سورة الحشر لتؤكد هذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله . فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، فاعتبروا ياأولى الأبصار ﴾ (٤) حتى تم إخراج اليهود من الحجاز فخرج قسم منهم إلى أذرعات من أرض الشام حتى تبدأ المرة الثانية من علوهم وفسادهم ويقول الله تعالى : ﴿ وكان وعدا مفعولا ﴾ يعنى أنه تم تدمير العلو الأول فى عهد النبى ﷺ ، والوحى يتزل وأتمه أصحابه من بعده ، حتى فتح « عمر بن الخطاب رضى الله عنه » بيت المقدس واستلم عمر مفاتيح المسجد الأقصى من بطريرك القدس « صفرونيوس » وأعطاه العهد ، وصلى عمر

(١) سورة الفرقان : ٦٣ . (٢) سورة الزمر : ٥٣ .
(٣) سورة الاسراء : ١ (٤) سورة الحشر : ٢

ابن الخطاب وأبو عبيدة وكبار الصحابة والجنود المؤمنون بعد أن قاموا بتنظيف المسجد وتطهيره وكانت تلك هى الصلاة الثانية ، بعد أن صلى فيه النبى ﷺ ليلة الاسراء والمعراج إماما بالأنبياء ، الصلاة الاولى فتقررت مسجديته فى القرآن الكريم ، وأصبح من يومها منارة ودار إيمان، ومحجة زوار ، ومحراب صلاة .

ثم مضت الأيام وانقلبت الأحوال .

ثم تحدثت الآيات بعد ذلك عن المرة الثانية ، وأن الله سبحانه وتعالى سيجعل لليهود الكرة عليهم ، على من ؟

على الذين جاسوا الديار أول مرة « والكرة » الدولة والسلطة وحين أراد الله لليهود أن يكروا استعمل كلمة « ثم » وهى - كما هو معروف للترتيب مع التراخى ، ولم يكن شىء من هذا مع البابليين ، وإنما كانت الكرة على أبناء من جاسوا خلال الديار ، وهم المسلمون أو العرب المسلمون ، فقد كر اليهود على بلاد الشام وفلسطين منها، وهذا هو الذى قد حدث ونعيشه الآن ، ويعانى منه المسلمون ،كل المسلمين ، وبعد أن جعل الله لهم الكرة قال : « وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا » لقد عاش اليهود منذ أن غضب الله عليهم وهم فى بلاء متصل وعذاب مستمر ، فقبل الإسلام كان عذاب البابليين لهم والرومان ، وبعد الإسلام أخرجهم المسلمون من الجزيرة العربية ثم بدأت أوروبا تعذبهم فى أسبانيا وفى بقية أقطارها حتى جاء المسلون فأنقذوهم من الأسبان ، واستمر العذاب لهم حتى هذا القرن ولقد عاش اليهود فى ظل دولة الإسلام عبر القرون آمنين مطمئنين تحفظ لهم دماؤهم وأموالهم ولكنهم لم يحفظوا الجميل .

وحتى نرى مبلغ صدق الآية ونرى إعجازها بأعيننا نجد دولة اليهود اليوم تعيش على البنين الذين يأتونها من أطراف الأرض ليمدوها بالجند ، ومن روسيا بالذات، واجتماع اليهود من كثير من دول العالم ، كان من آخرهم يهود «الفلاشة» وترى الأموال من دول الغرب تأتيها بمساعدات مذهلة حتى تستمر فى عدوانها وطغيانها

وجبروتها ، ثم يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾ ولذلك فإن أكبر قوة عسكرية فى الأرض تساند دولة اليهود فى حال نفرتها وحربها .

إذن هذه هى المرة الثانية من العلو ، فما بال الفساد ؟ وحتى يتحقق الفساد فنرى اليهود فى دولتهم يرتكبون أفظع الجرائم بحيث فاقوا كل أنواع العذاب التى عانوا منها فى زعمهم أو عاناه غيرهم ، ولذلك يحذرهم الله فيقول لهم : ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾ وهذا الاحسان دنيوى يجازون عليه فى الدنيا ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق ﴾ (١)

واليهود قد أساءوا فقتلوا النفس الإنسانية وعذبوها ، ويتموا الأطفال وسجنوا النساء ،بل لم يرحموهم من القتل ، وهدموا البيوت ، واغتصبوا الأرض ومن قبلها العرض وأقاموا المستعمرات ،وحرقوا المسجد الأقصى فى ٢١ أغسطس ١٩٦٩م . . والأقصى عند الله عظيم ودنسوا مسجد الخليل - عليه السلام - وارتكبوا جريمة الجرائم فى مسجد الخليل يوم أن عمدوا إلى كتاب الله فمزقوه وداسوه بالأقدام ، وهم قد أخذوا لبنان غدرا وخيانة وارتكبوا فيها مالم يرتكبه أحد من البشر قبلهم ومعهم « الموارنة » الذين يرتكبون جرائمهم باسم الصليب ، وباسم المسيح - والمسيح منهم براء - وفعلوا ما فعلوه في المسلمات وأطفال المسلمين فى مخيمى « صبرا وشاتيلا » .

وهنا تأتى عقوبة الله لهم على ما اقترفوه من الآثام والجرائم ، بتفسير من الآيات ، أن دولتهم لن يطول فسادها ولا علوها ، فيقول الله : ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾ وهنا ، حين يخبر الله عن زوال دولتهم استعمل « الفاء » للعطف مع التعقيب ، ولم يستعمل « ثم » والتعقيب لكل شىء بحسبه وما يناسبه ، وهو يدل

(١) سورة البقرة : ٢٠٠ .

على السرعة فى حصول المقصود « فإذا جاء وعد الآخرة » أى لذهاب علوهم الثانى تصبح وجوه بنى إسرائيل سيئة ، ويبشرنا ربنا ، جلت قدرته ، أننا سندخل المسجد الأقصى كما دخلناه أول مرة ، وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى دخولنا المسجد مرتين ، والمرتان بعد نزول الآيات ، المرة الأولى : الفتح العمرى للمسجد حين دخله باسم الله والإسلام والمرة الثانية : هى هذه التى ننتظرها ونحن على أبوابها ، حيث سيدخل المسلمون المسجد فاتحين - إن شاء الله تعالى للمرة الثانية، ويقرر الله أننا سنتبر أى ندمر ونهلك علو اليهود المادى والمعنوى ، ومما تجدر الإشارة إليه أن فلسطين لم تعرف العمارات ذات الطوابق التى تصل إلى عشرين طابقا أو أقل أو أكثر إلا فى ظل اغتصاب اليهود لها ، ولذلك فإن هذه العمارات الشاهقة التى يقيمونها فى الأرض المباركة سيلحقها التدمير والخراب ووعد الآخرة هذا قد لاحت أماراته ، وظهرت بشائره ، إذ أنه له صلة وثيقة باجتماع اليهود والتفافهم حول المسجد الأقصى ، وسكناهم فى فلسطين ، فقد قال تعالى - فى آخر سورة الاسراء : ﴿ **وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا** ﴾ [1] وهكذا أسكن بنو إسرائيل فى الأرض شتاتا ، حتى اقترب وعد الآخرة ، تجمعوا من كثير من البلاد « لفيفا » أى جماعات ملتفة، وهكذا يأتى اليهود مهاجرين إلى فلسطين ليتم وعد الله فيهم ، ومع ذلك فالآيات تحذر اليهود من محاولة العودة للفساد والتعالى فيقول الله لهم : ﴿ **وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** ﴾ وتأتينا البشرى من الله بعد أن يفهمنا ربنا أن القرآن يهدى إلى الطريق السوى والحياة الصحيحة تأتى البشرى بالنصر ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعلمون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا** ﴾ [2] كما جمع سبحانه وتعالى بين البشارة لنا والإنذار لليهود فى آخر السورة بقوله تعالى : ﴿ **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما**

---

(١) سورة الاسراء : ١٠٤ .

(٢) سورة الاسراء : ٩ .

أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ﴾ (١) .

ونهاية المطاف مع اليهـود ، كما أخبر النبى ﷺ فقال : « لا تقـوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يقول الحجر والشجر : يامسلم ياعبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغـرقد فإنه من شجر اليهود » (٢) والغرقد شجرة صغيرة كثيفـة الأغصان تزرع الآن فى كل أنحاء فلسطين ولا يزال يسمونها « الغرقد » ولها أسماء أخرى فى بقيـة أنحاء فلسطين ، ويزرعها اليهودبأيديهم ، فلا سبـيل لتثبـيت دولة اليهود ، لأن أى مـحاولة للصلح سـتفشل عن طريق اليـهود أنفسـهم بالحقـد والتآمر والخـديعة ويقرر الله أنه لاعـقل عندهم فيـقول : ﴿ لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ (٣) ا . هـ (٤).

***

---

(١) سورة الاسراء : ١٠٥ .

(٢) سبق تخريجه

(٣) سورة الحشر : ١٣ .

(٤) راجع : زوال إسرائيل حتمية قرآنية للشيخ أسعد التميمي إمام المسجد الأقصى سابقًا ، ص ١٦ : ٢٣ بتصرف ط المختار الإسلامى .

الخاتمة

هؤلاء هم اليهود .. أعداؤنا .. بل أشد الناس عداوة لنا ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود .. ﴾ (١) إنهم الذين غضب الله عليهم ، ولعنهم ، لأسباب كثيرة ، منها : تركهم العمل بما علموا ، فهم لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ، ولا يتبعون الحق فى أقوالهم وأفعالهم ، وأحوالهم - إنهم نبذوا كتاب الله عز وجل ، ونقضوا عهده ، وكفروا بآيات الله تعالى ، ونقضوا ميثاقه ، وسمعوا كلام الله فحرفوه من بعد ما علموه ، وقالوا على الله بغير علم ، وبدلوا أمره - سبحانه وتعالى - وآمنوا بالجبت والطاغوت ، وقالوا إنهما أهدى من الإسلام ، وفرقوا بين الله عز وجل ورسله، وادعوا أنهم قتلوا المسيح - عليه السلام - واتخذوا العجل ، وقالوا سمعنا وعصينا ، واعتدوا فى السبت ، وقتلوا الأنبياء ، وكتموا شهادة الله عز وجل ، واتبعوا أهواءهم ، وبدلوا نعمة الله كفراً ، وأحبوا المال أكثر من حبهم لله ، ولم يقبلوا الحكم بما أنزل الله عز وجل ، وقالوا إن الله فقير ، ويده مغلولة ، وكذبوا على الله تعالى، وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون ، بمخالفتهم موسى عليه السلام - وافترائهم على عيسى - عليه السلام - ومؤامراتهم على محمد ﷺ ، وقولهم الإثم، وأكلهم المال الحرام ، وادعائهم أن عزيراً ابن الله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً - هذا بعض ما وصفهم به القرآن الكريم (٢) .

وهم الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وتكاتموا أحكام التوراة ، ونقضوا العهود مع النبى ﷺ ، وألبوا عليه القبائل وتآمروا على قتله ﷺ ، وفتنوا المؤمنين، وجرائمهم لاتعد ولا تحصى ، كما حدثتنا به السنة النبوية الكريمة ،

(١) سورة المائدة : ٨٢

(٢) راجع سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والتوبة .

والسيرة العطرة الشريفة . (١)

ثم هم الذين حرفوا التوراة ، وألفوا التلمود ، واخترعوا البروتوكولات ، آمنوا بالأساطير "القبالا" قتلوا ، وأفسدوا ، واستغلوا الإعلام ، وأفسدوا النساء، وانتهكوا الأعراض ، وقضوا على الدين والأخلاق ، وخططوا بكل وسيلة للسيطرة على العالم، والكيد للإسلام ، والقضاء على المسلمين ، إنهم أعداء ، فماذا نريد منهم ؟ هل سيرحموننا ، أو يعطفون علينا ، أو يعالنوننا بخططاتهم ، أو يعلموننا بمؤامراتهم ؟ ! ! لا وألف لا ، هؤلاء هم فأين نحن ؟

إنهم بأموالنا يعادوننا ، وبنفطنا "البترول" يحاربوننا ، ومن أعمالنا يسخرون منا ، وبغفلتنا يهزموننا ، وبأفعالنا التى تغضب ربنا ينتقم بهم منا ، ويكرهوننا وتتغيظ قلوبهم منا ونحن نحبهم ، ويعزون علينا ونحن نذل لهم ، ويؤذوننا ونحن نصادقهم .

يقتلون آلاف المسلمين فى كل مكان ، ولا يتحرك أحد منا ، ولا حياة لمن تنادى ، ويباد الفلسطينيون بمختلف الوسائل ، ولا تسمع لدعاة الإنسانية أى استنكار ، وإعلامهم الفاسد - بكل أساليبه - لا يروج له مثلما يروج له عندنا - نحن العرب المسلمين ، يعرض علينا سنين طويلة وتنغص بها صالات العرض السينمائى والتليفزيونى، فماذا فعلنا ؟

وإخواننا العرب ابتعدوا عن دينهم ، ولهثوا وراء شهواتهم ، وأعطوا الصورة السيئة للمسلم - وهو فى الحقيقة لا يمثل إلا نفسه - فاتخذها أعداء الإسلام مثالا للمسلمين ، وصورة للإسلام .

وفدت إلينا أجهزة الإعلام فلم نستعملها إلا فى كل ما هو تافه وحقير ، ووردت إلينا "عربسات" - القمر الصناعى - فلم نستخدمه إلا فى نقل المباريات

(١) انظر بحثنا فى : "اليهود فى القرآن والسنة"

الرياضية، والمهرجانات السينمائية والفنون الشعبية ، والحفلات التافهة ، وهذه مصيبة تضاف إلى مصائبنا الكثيرة ! ! ونحن نحارب الدين ، ونمنعه من المدارس إلا النذر اليسير ، ونطور الأزهر أو ندهوره ، ونقلد الغرب ، وننشئ المدارس الأجنبية ، ونتكالب على أوربا ، وقوانين الغرب ، ونترك شريعة رب العالمين .

إنهم يجتمعون ويتحدون ، ونحن نرفض أن نتحد ونعتصم - كما أمر الله - ونأبى إلا الانقسام والتمزق ، والفرقة قد ضربت أطنابها بيننا ، ننفذ سياسة أعدائنا بإحكام أو بغباء ، حاولوا إسكاتنا فغلبناهم بتكميم أفواه الدعاة ، وسبقناهم بسجنهم وتعذيبهم وقتلهم ، وقد ساومنا على إيماننا ، واستسلمنا للباطل ، وأعنا الأعداء ، ورضخنا للعملاء ، دافعوا عن باطلهم ، وتركنا الحق الذى نحن عليه ، تمسكوا بالعقيدة، وهاجمناها، وأدركنا أن "الأمم المتحدة" تخدم مصالح اليهود، ومع ذلك احتكمنا إليها ، فكانت الخصم والحكم . ولا نعلم ما هو السبب الذى يدفع الدول الإسلامية للارتماء بأحضان هذه الهيئة اليهودية ، إلا العمالة والتواطؤ!! ونسينا اللجوء إلى رب العالمين ، والاحتكام إلى كتابه المبين .

العالم يقدم السلاح لليهود ، ثم يشجب أعمالهم . وينكر أفعالهم ، ويعترض ويرفض ، ويعرب عن بالغ أسفه ، ويعلن عن تحدى إسرائيل لمشاعر العالم ، ثم يقدمون الغذاء والكساء والخيام للعرب ! !

إنهم - أى اليهود - عليهم الدعاية ، ونحن علينا تطبيق البرنامج الذى وضعوه، وشراء ما اخترعوه ، والتزين بما صنعوه . من دواعى التفسخ والفجور، وموجة الانحلال والسفور ، وخرجت عندنا النساء ، متزينات بشتى الأزياء ، مولعات بالكافرات من النساء، متبرجات، مبتذلات خارجات على الفضيلة ، زاريات على الشريعة ، مستهترات بالعفة والطهر ، ناقمات على الحجاب والصون، مؤثرات الظلمات على النور، ولم يعلمن أنها مخططات اليهود .

إنه عار الأبد ، وإهمـال الولد ، وتحلل الأسر ، وتفكك المجتمع ، وانـفصام العرى، وقلب الموازين ، واضطراب أنظمـة الحياة ، فما الفرق بين المسلمـة وغير المسلمة ، ومن وراء هذا كله ، وأين نحن ؟ ؟ ! ! !

«لقد نجحت الصهيونية فى استغلال وسـائل الإعلام لتحقيق حلم اليهود بإقامة دولة إسرائيل ، بل ولقد نجـحت فى إقناع الرأى العام بالوقوف إلى جانبـها ومدها بكل أسبـاب القوة وزرعوا القناعـة لديه ، بأن المناديين بالعودة إلى فلسطين ليـسوا سوى عصابات إرهابية تمتهن القتل والتخريب ، و الخ ! !

ومع ذلك أقـول : إن هذا الغـزو الفكرى الصـهيـونى ، والعـداء العـسكرى اليهـودى، مهما كـانا من الشراسة ،و الحنكة والتـخطيط ، فلن يؤثر على سلوك المسلمين الصالحين ، ولكن الضرر البالغ جـاءنا من المحسوبين على الإسلام ، فهم الذين أسـهمـوا فى إنجاح خطط اليـهود ! ! وارتـكبوا جـريمة كبـرى بحق دينهم وأمتـهم ، ولن تتغير الحـال ويصلح المآل ، حتى يصطلح هؤلاء مع الله سبـحانه وتعـالى ، ويدخلوا شعـوبهم في هذا الصلح، ويسـيروا مـعاً إلى هدف واحـد ، بوسيلة واحدة ، وهى "الإسلام".

إن الهدف الذى يرمى إليه اليهود واضـح مكشوف ، وهو القضاء على الإسلام قضاء مـبرماً ، وإعادة المسلمين إلى حظيـرة الكفر ،والشرك من جديد ، كـما قال تعالى : ﴿ولن ترضى عنك اليهـود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [1] وهذا لن يحدث - بـإذن الله تعالى - لأن الله عـز وجل بحفظ دينه وإظهـاره على الدين كله، كما قال تعالى : ﴿ هو الذى أرسل رسـوله بالهدى ودين الحق ليظهـره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة : ١٢٠

(٢) سورة الصف : ٩

وإذا أردنا الحل فإنه لـن يكون بتلك الرايات القومـية ، أو المناهج العلمـانية ، أو القـوانين الوضعـيـة ، ولا بالخطب والبيـانات والمؤتمرات والقـرارات - وإنما يكون بالتمسك بكتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه - ﷺ - وبصراطه المستقيم ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها »[1]

***

(١) النفوذ اليهودى فى الأجهزة الإعلامية - ص ١٤٨ ١٥١ بتصرف .

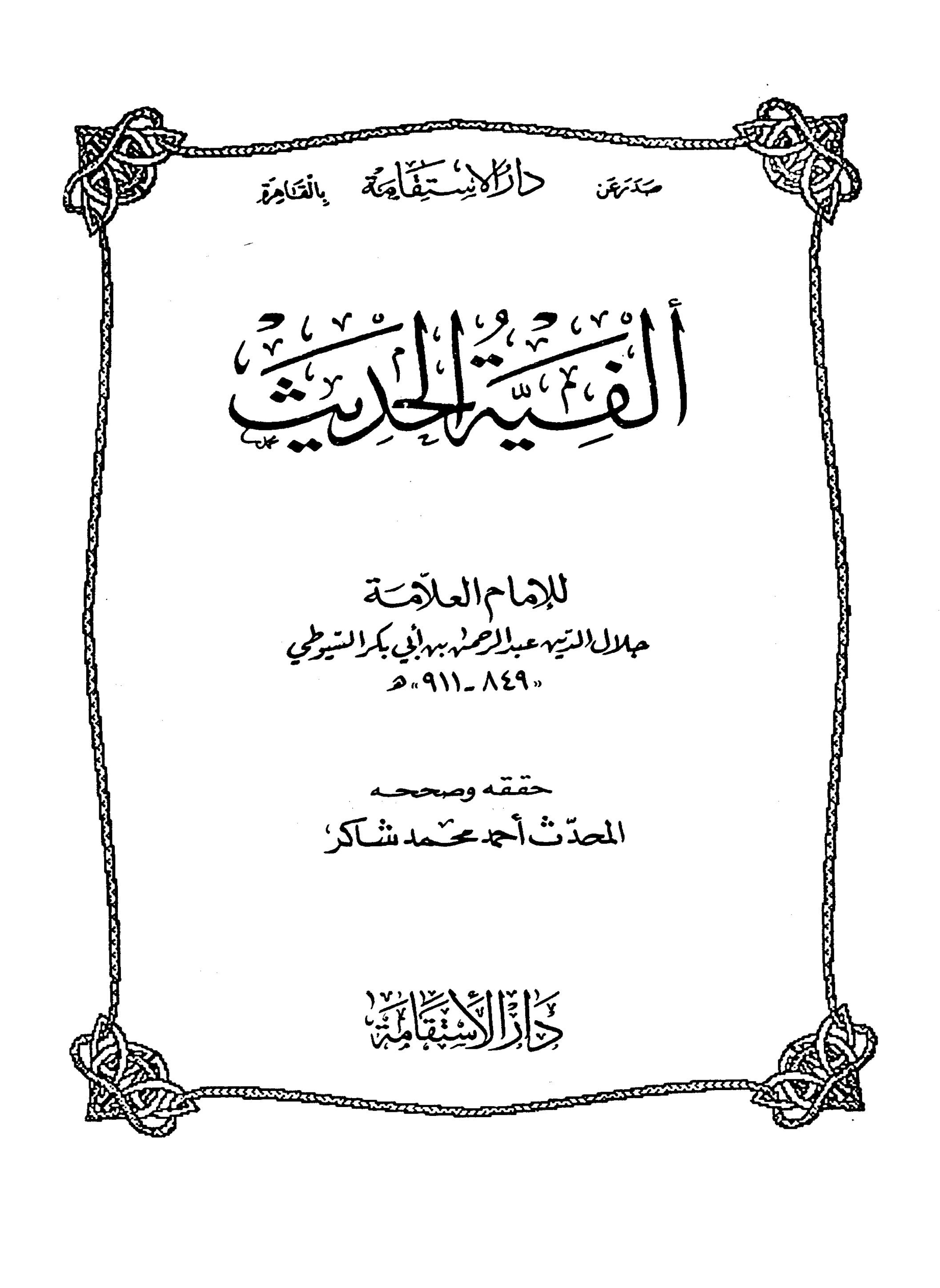
الفهرس

المبحث الثالث :

التلمود

المبحث الرابع :

بروتوكلات حكماء صهيون



صدر عن دار الاستقامة بالقاهرة

ألفية الحديث

للإمام العلامة

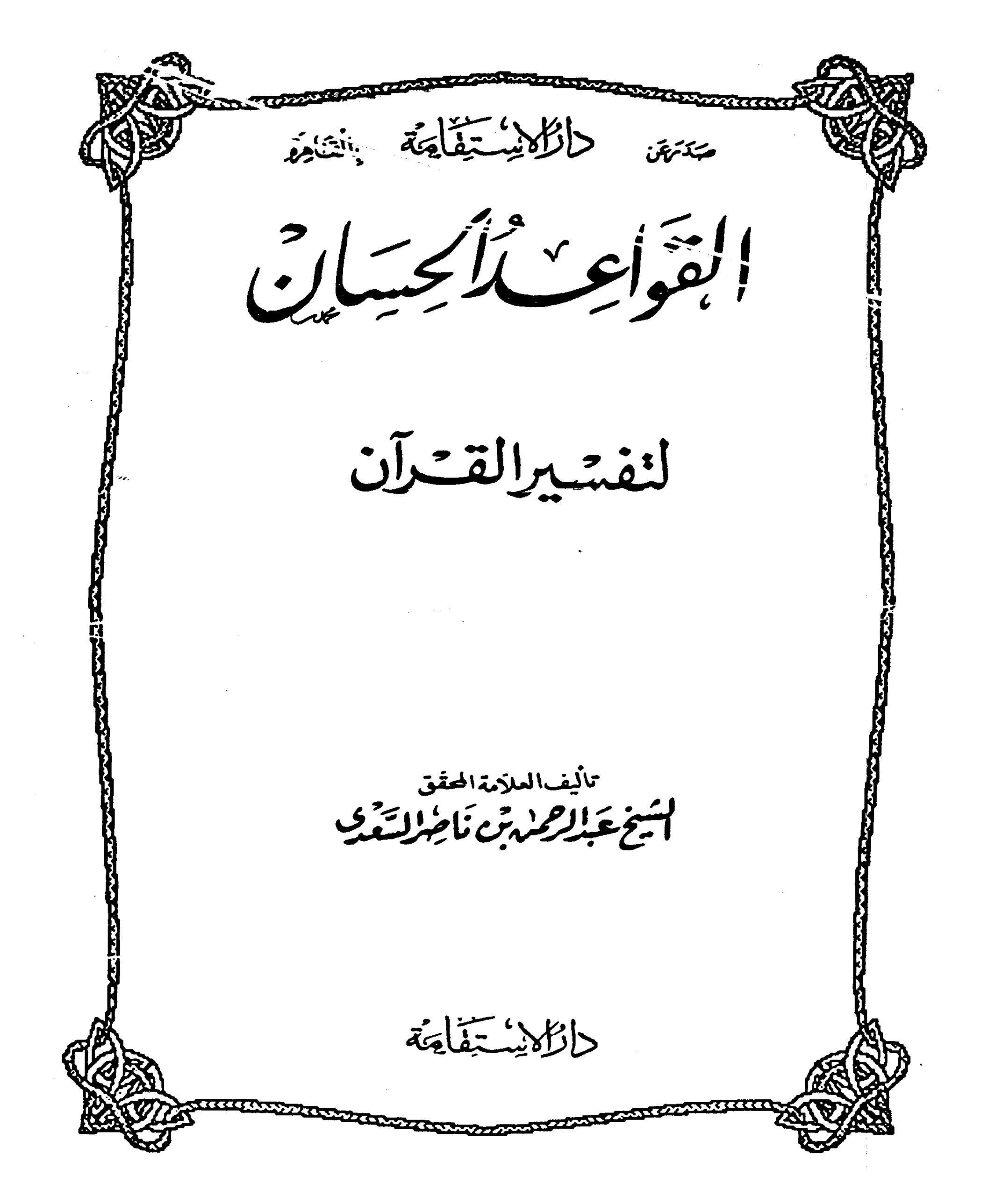
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

«٨٤٩ - ٩١١» هـ

حققه وصححه

المحدث أحمد محمد شاكر

دار الاستقامة



صدر عن دار الاستقامة بالقاهرة

القواعد الحسان

لتفسير القرآن

تأليف العلامة المحقق

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

دار الاستقامة